٩٦٩

مصر والمسألة الشرقية

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

الدكتور محمد محمود السروجي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

جامعة الاسكندرية
مكتبة الطالب
رقم ١٥٥٧٩ ط
كلية الاداب

مطبعة المصري
ت ٣٧٤٠٦ اسكندرية

١٢ ٤ ٧٩

تصدير

كتب الكثيرون من المؤرخين من مختلف الجنسيات عن المسألة الشرقية التى كانت مثار اهتمام ساسة أوربا فى القرن التاسع عشر . وقد تناولها كل منهم من زاويته الخاصة . فبعضهم كان يغلب المصالح الروسية على ما عداها من المصالح ، والبعض الآخر كان يرى وجهة نظر انجلترا أو فرنسا أو النمسا أو المانيا أو غيرها من الدول .

ولكن لم يسبق أن كتب عن هذه المسألة من وجهة النظر المصرية ، لا سيما فيما يتعلق بأحداثها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وقد حاولت منذ سنوات أن اميط اللثام عن دور مصر فى تلك المسألة ، خصوصا وأن مصر طرفا فيها سواء رضيت بذلك أم لم ترضى . فهى بحكم خضوعها للحكم العثمانى تجد نفسها فى بعض الأحيان مدفوعة الى التورط فيها ، على غير إرادتها ، وانما استجابة لرغبات الباب العالى . ثم هى من ناحية أخرى لا تنسى أنها محط أنظار الدول الأوربية ، ويتصارع حولها النفوذان الانجليزى والفرنسى .

ولقد عنيت فى دراستى هذه بتوضيح موقف مصر من ثورة كريت ، ومن الحرب التى دارت رحاها فى تلك الجزيرة وموقف الدول الاوربية من هذه الحرب . وأبرزت بصفة خاصة دور مصر فى هذا النزاع .

وعندما تعرضت لثورة دول البلقان ضد الحكم العثمانى ، وقيام الحرب بين الصرب والدولة العثمانية ، ألقيت المزيد من الضوء على موقف مصر من هـذا

الصراع ومساهمتها فيه . وما استتبع ذلك من ضغوط أوربية عليها كى تستمر مصر على موقفها أو لتعدل عنه . وهى فى كلا الحالتين لم تستطع أن تخرج من معترك السياسة الأوربية دون جروح .

وكانت الحرب التركية الروسية فى عام ١٨٧٧ من أكبر الأخطار التى تعرضت لها الدولة العثمانية . إذ كادت فى تلك الحرب أن تنهار انهياراً تاما لولا تدخل انجلترا . وقد بينت مدى المساعدات التى قدمتها مصر . وكيف حارب المصريون دفاعا عن العثمانيين فى جبهة نهر الطونة فى حرب غير متكافئة .

ويجب الإشارة هنا إلى أن الدور الذى قامت به مصر فى المسألة الشرقية لم يحظ باهتمام المؤرخين من قبل . بل إن بعض الكتاب الذين تناولوا بالدرس تلك الحروب التى نشبت بسبب المسألة الشرقية لم يشر إلى اسم مصر أو للدور الذى قامت به ، بل اقتصر كل كلامهم عن الدولة العثمانية فقط . ولهذا فإن معالجتى لموقف مصر إزاء هاتين الحربين جديد كل الجدة .

وخلصت من هذا البحث إلى أن مصر كانت تحاول أن تستهدف فى سياستها خلال تلك الفترة مما تراه من مصلحتها بقدر الإمكان ، مع مراعاة للالتزامات المفروضة عليها بمقتضى للفرمانات . فقد حاول والى مصر أن يستفيد من تلك المساعدات التى قدمتها مصر فى الحصول على المزيد من الامتيازات التى تطلق يديه فى حكم مصر . وإن كان تمتع الخديو اسماعيل بهذه الامتيازات لم يكن فى صالح مصر فى معظم الأحيان . كما حاول والى مصر أن ينج من أطماع الدول الأوربية ، ولكن سياسته ما كانت تساعده على تحقيق ذلك .

وقد استطاعت مصر أن تقوم بجهد كبير فى النواحى السياسية والحربية ، فخاضت قواتها غمار حروب عديدة لم يكن لنا فى أغلبها ناقة ولا جمل . اللهم

التوسع فى افريقية . وهذه الجهود الضخمة ، رغم كونها ولاية عثمانية لا تتمتع إلا بقدر من الحكم الذاتى ، ورغم أن عدد سكانها كان يتراوح بين ٥ ، ٦ مليون نسمة ، تدلنا على مدى القوة الكامنة فى الشعب المصرى .

وفى الختام أشير إلى أن هذا الموضوع قد اعتمدت فيه - بصفة أساسية - على الوثائق التى لم تنشر من قبل ، من وثائق عربية وتركية وانجليزية وفرنسية وأمريكية ونمساوية ، إلى جانب الوثائق الأخرى المنشورة . بل إن جزءا كبيرا من الوثائق التركية التى اعتمدت عليها لم تترجم إلا حديثا جدا ، ولم يتناولها البحث من قبل .

وأرجو أن اكون قد وفقت فى هذا البحث ، والله ولى التوفيق .

القاهرة فى ٢٠ سبتمبر ١٩٦٦ — المؤلف

محمد محمود السروجى

مقدمـــة

المسألة الشرقية
فى
النصف الاول من القرن التاسع عشر

منذ أواخر القرن الثامن عشر بدأ الضعف والانحلال يتطرق إلى كيان الدولة العثمانية فأخذت دويلات البلقان التى خضعت لحكمها تتطلع إلى الخلاص من الحكم التركى وإلى الاستقلال ، كما تحركت مطامع الدول الأوربية لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية فيما بينها، بل لقد طالبت بعض هذه الدول بطرد العثمانيين كلية من أوربا. ولقد شغلت هذه المسألة أذهان ساسة أوربا طوال القرن التاسع عشر . وأصبحت حجر الزاوية فى سياسة أوربا فى ذلك الوقت وأثرت فى مجريات الأحداث الأوربية تأثيراً خطيراً .

فالمسألة الشرقية من هذه الناحية مدينة بوجودها إلى عوامل ثلاثة تكاتفت لابرازها على النحو الذى ظهرت به . وهذه العوامل الثلاثة : هى ضعف الدولة العثمانية ، وظهور الحركات القومية فى دويلات البلقان الخاضعة لحكم العثمانيين ، وأخيرا طمع الدول الأوربيـة فى ممتلكات الدولة العثمانية ومحاولتها استغلال الحركات القومية لصالحها .

وفى الفترة ما بين ١٧٨٨ و ١٧٩١ تعرضت الدولة العثمانيـة لهجوم مشترك شنته النمسا والروسيا عليها، وتمكنت الروسيا فى ذلك الوقت من استقطاع بعض

الممتلكات التركية شمالى البحر الأسود . وإذا كانت كل من الروسيا والنمسا قد عملت على سرعة انهيار الدولة العثمانية تحقيقا لمطامعها فى ممتلكات الرجل المريض ، فقد وقفت انجلترا منذ ذلك الوقت موقف المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، وظلت تعتنق تلك السياسة طوال الثلاثة أرباع الاولى من القرن التاسع عشر . وكانت وجهة نظر انجلترا فى هذا الشأن تتلخص فى أن الدولة العثمانية تسيطر على الطريقين التجاريين الرئيسيين المؤديين إلى الشرق . وأن بقاء هذين الطريقين فى حوزة الدولة العثمانية الضعيفة لايهدد المصالح الانجليزية بالخطر، وأن وقوع هذه المناطق فى أيدى دولة قوية إنما يهدد انجلترا فى الصميم . فكان من مصلحة انجلترا إذاً الإبقـــاء على الوضع السياسى للدولة العثمانية كما هو والمحافظة عليه بمختلف السبل .

وهذه السياسة التى استنها الوزير الانجليزى بت Pitt بازاء الدولة العثمانية ، فرضت على انجلترا تشكيل سياستها طبقاً لسياسة روسيا تجاه الباب العـــالى . وسنجد أن معظم الحروب التى قامت خلال القرن التاسع عشر ، إنما قامت بسبب المسألة الشرقية ، وكان السبب المباشر لقيامها ثورة القوميات المسيحية فى البلقان على تركيا للحصول على مزيد من الاستقلال فى إدارة شئونها ، أو بدافع من روسيا الدولة الصقلبية الكبرى . والتى كانت تدعى حماية مصالح دول البلقان (الصقالبة الصغار) .

بدأت ثورات البلقان بثورة الصرب ضد الحكم العثمانى فى سنة ١٨٠٤ ، وتزعم الثورة أحد الصربيين ويدعى قره جورج «أى جورج الأسود» وكانت ثورة عانية استمرت ثمانى سنوات أرغمت فى نهايتها الدولة العثمانية على منح الصرب الاستقلال الذاتى ، وذلك بمقتضى المعاهدة التركية الروسية فى سنة ١٨١٢ .ولكن

سرعان ما فشلت حركته . فتبناها وأكملها من بعده ميلوس أوبرينوفيتش فى سنة ١٨١٥ . واستطاع بجهاده أن يحصل على الاستقلال التام لبلاده .

وفى سنة ١٨٢٠ ثار اليونانيون مطالبين باستقلالهم عن تركيا . وقام الأتراك باستخدام منتهى الشدة والعنف لاخماد الثورة ، ورأت الروسيا أن تستغل هذه الفرصة للانقضاض على الدولة العثمانية لمؤازرة الثوار اليونانيين ، وخشيت كل من انجلترا والنمسا أن يؤدى تدخل الروسيا إلى ابتلاع البلقان وانهيار الدولة العثمانية ، ولهذا اتفقا على أن يحولا بمختلف السبل دون وقوع الصدام بين تركيا والروسيا . وأعلنتا فى نفس الوقت أن ثورة اليونان مسألة داخلية تهم السلطان العثمانى وحده ، وأن مصلحة السلام الأوربى فى عدم تدخل قوات أجنبية فى هذه الثورة حتى لا تزيدها اشتعالا .

وعندما ازدادت ثورة البلقان شدة استنجد السلطان العثمانى بمحمد على لاخماد الثورة فى الموره ، وقد لبى محمد على طلب السلطان وأرسل جيشا كبير العدد تحت قيادة ابراهيم أنزل باليونانيين خسائر فادحة أثارت ثائرة الدول الأوربية وعلى رأسها الروسيا التى رأت ضرورة التدخل لمنع تلك المذابح التى تهدد اليونانيين بالفناء .

لم تجد انجلترا بدآ من التدخل فى النزاع مكرهة حتى لا تنفرد الروسيا بحل المشكلة وحدها ، فأشارت على النمسا القيام بعمل مشترك للضغط على الباب العالى ليعدل عن موقف التشدد وأن يستجيب لرغبات اليونانيين فى الاستقلال، ولكن النمسا حرصاً منها على التمسك بسياسة تأييد الملوك الرجعيين ضد رعاياهم وجدت أن من صالحها عدم التدخل والابتعاد عن النزاع .

وعندما أخفقت انجلترا فى ضم النمسا إلى جانبها، لجأت إلى الروسيا واتفقت الاثنتان فى اتفاقية وقعت لهذا الغرض فى ٤ ابريل سنة ١٨٢٦ على العمل سويا لحث الدولة العثمانية على منح اليونانيين استقلالا ذاتيا . وقد فشلت الجهود التى بذلتها الدولتان لحمل السلطان العثمانى على الاستجابة إلى مطالبها فاضطرت الدولتان إلى عقد معاهدة بالاشتراك مع فرنسا فى ٦ يوليه سنة ١٨٢٧ باستخدام القوة لارغام تركيا على حل المسألة اليونانية بما يحقق المطالب القومية لليونانيين . وتم للدول الثلاث القضاء على الاسطولين المصرى والعثمانى فى موقعة نفارين فى ١٢ أغسطس سنة ١٨٢٧ ، وترتب على ذلك تحقيق استقلال اليونان استقلالا تاماً وبصفة نهائية عن الدولة العثمانية . وكان معنى هذا أيضاً تخلص اليونان من النفوذ الروسى ، فاليونان بعد أن حصلت على استقلالها حرصت كل الحرص على الدفاع عنه وصيانته ، مراعية فى ذلك مصلحتها أولا وقبل كل شيء دون أن يكون لمصالح الدول الكبرى أى تأثير عليها، فاستقلال اليونان عن الدولة العثمانية يعنى استقلالها أيضاً عن النفوذ الروسى . وكذلك كان الشأن بالنسبة لسائر دول البلقان التى استقلت عن تركيا .

كان حصول اليونانيين على الاستقلال التـــام صدمة لساسة الروسيا . فالاستقلال التام قد فوت على روسيا فرصة التدخل من حين لآخر فى شئون الدولة العثمانية ، وانتحال الأسباب لشن حرب عليها بحجة الدفاع عن مصالح اليونانيين . وقد ساء روسيا أن تخرج من هذه الحرب صفر اليدين ، ولم تستطع تحقيق مطامعها فى الممتلكات العثمانية . ولهذا لانعجب إذا ما أقدمت على شن حرب على تركيا فى أوائل عام ١٨٢٨ دون مقدمات ولم تعبأ باحتجاج كل من انجلترا وفرنسا على هـذا العمل . وتمكنت القوات الروسية من هزيمة الجيش

العثمانى والوصول إلى مدينة أدرنة القريبة من العاصمة الآستانة . وتحت تهديد الجيش الروسى للعاصمة وقعت الدولة العثمانية معاهدة أدرنة (١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩) التى خولت للروسيا الاستيلاء على بعض الأراضى التركية المتاخمة لمنطقة القوقاز .

على أن هذه السياسة التقليدية التى سارت عليها الروسيا سنوات طويلة ، ألا وهى سياسة إضعاف الدولة العثمانية والقضاء عليها ، وإثارة دول البلقان ضدها قد اعتراها تغيير جوهرى فى العشر سنوات التى أعقبت عام ١٨٢٩ . كان الجالس على عرش الروسيا فى ذلك الوقت القيصر نقولا . وقد رأى مستشاروه بثاقب نظرهم أن سياسة الروسيا فى محاربة الدولة العثمانية وتشجيع دول البلقان على الثورة طلبا للاستقلال لن تجر على الروسيا سوى الخسارة ، لأن هذه الدولة التى كانت تشعر بحاجتها إلى معونة الروسيا عند خضوعها للحكم التركى لن تلبث أن تتنكر للروسيا بعد حصولها على الاستقلال . فمن صالح الروسيا إذاً أن تنتهج سياسة المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، ففى ظل هذا الكيان الضعيف تستطيع الروسيا أن تحقق مصالحها طبقا لما عقدته مع تركيا من معاهدات. زد على ذلك أن بقاء الامبراطورية العثمانية فى أوربا بالنسبة للروسيا يفوق فى أهميته الأسباب التى تدعو لتجزئتها . وكذلك فإن انهيار الدولة العثمانية ليس من صالح الروسيا فى شىء [1]. وأنه إذا أرادت التوسع فليكن على حساب ممتلكات الدولة العثمانية فى آسيا . وقد حظيت هذه السياسة الجديدة بتأييد النمسا فى ذلك الوقت .

وعلى النقيض من الروسيا وقفت فرنسا ، فسياستها فى الفترة ما بين ١٨٣٠

---

١ - اميل خورى وعادل اسماعيل: السياسة الدولية فى الشرق العربى. جـ٢ ص ٦٥

و ١٨٤١ اتسمت بالعداء لتركيا والعمل على تصفيتها والقضاء عليها . ودل على ذلك تصرفاتها الهدامة بإزاء تركيا . ففى سنة ١٨٣٠ احتلت الجزائر التى كانت تعتبر ولاية عثمانية . وجزء من الامبراطورية العثمانية . كذلك شجعت والى مصر محمد على فى الخروج عن طاعة السلطان وتأييد مطالبه فى ضم بلاد الشام الى حكمه.

وفى أواخر عام ١٨٣١ غزت القوات المصرية الشام تحت قيادة ابراهيم فسقطت فى أيديها المدن الشامية الواحدة بعد الأخرى. ثم عبرت جبال طوروس وقضت على القوات التركية فى قونية . وبذلك أصبح الطريق ممهداً أمام القوات المصرية لدخول الآستانة لو أرادت ذلك . وفى ذلك الوقت لجأ السلطان العثمانى الى انجلترا لانقاذه من الخطر المحدق به . وتلكأت انجلترا فى إجابة مطالب السلطان لأنها كانت تخشى بتدخلها أن تثير حربا أوربية لا مبرر لها . وعندما أصبحت العاصمة التركية مهددة بالسقوط التجأ السلطان العثمانى مضطرا الى عدوته التقليدية الروسيا لانقاذه من السقوط المحقق . فرحبت الروسيا بهذه الفرصة النادره وبادرت بارسال أسطولها الى مياه الآستانه كما أنزلت قواتها على الشاطىء الأسيوى المواجه للعاصمة ، لتحول بينها وبين قوات محمد على الرابضة فى بلاد الأناضول .

وفى ذلك الوقت بدأت كل من انجلترا وفرنسا تضغط على السلطان العثمانى كى يستجيب الى مطالب محمد على فضاً للنزاع، فاضطر الى التنازل لمحمد على عن بلاد الشام بأكملها . وقبل أن تنسحب القوات الروسية من تركيا بعد زوال الخطر عقدت مع الباب العالى معاهدة سرية تعرف باسم هنكياراسكلسى (٨ يوليو سنة ١٨٣٣) تعهدت فيها الدولتان بمعاونة كل منهما الأخرى فى حالة الاعتداء عليها

كذلك نصت على موافقة الدولة العثمانية على إغلاق مضيق الدردنيل فى وجه السفن الحربية عند الحاجة .

اعتبرت معاهدة هنكيار اسكلسى ذروة ما بلغته السياسة الروسية من نجاح بإزاء الدولة العثمانية ، فالإشراف على منطقة المضايق الذى كان حلم روسيا القيصرية القديم والذى طالما شنت من أجله الحروب ، وسفكت فى سبيله الدماء ، قد أصبح حقيقة واقعة بمقتضى تلك المعاهدة . ولكن هذا النصر السياسى الذى أحرزته الروسيا قد أقلق بال انجلترا ، ودعاها الى القيام بعمل سريع لحرمان روسيا من ثمرة هذا الانتصار ، فأوضحت للباب العالى بأنها مازالت تتمسك بسياسة المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، وأن فى مقدوره أن يعتمد على معونة انجلترا وتأييدها بدلا من الاعتماد على معونة الروسيا عدوته التقليدية .

لم تنته الأزمة المصرية العثمانية بتسليم السلطان العثمانى لمحمد على بحكم الشام . فالباب العالى لن يهدأ له بال إلا إذا حرم محمد على من ثمرة انتصاره ، فسيثيرها حربا شعواء ضد واليه الثائر ، وستضطر إنجلترا إلى الوقوف بجانبه حتى لاتتيح الفرصة للروسيا للانفراد بحل النزاع بما يحقق مصالحها . فقام السلطان العثمانى بإثارة أهل الشام ضد الحكم المصرى ، ثم أرسل قواته لمواجهة قوات مصر بالشام لإثارتها . وأخيرا أصدر أمره بالزحف على الشام وطرد الجيش المصرى منه .

خشيت انجلترا وفرنسا أن يؤدى هذا الموقف إلى تدخل روسيا العسكرى لمساعدة السلطان العثمانى ، وحزمتا أمرهما على القيام بعمل مشترك لإنقاذ الدولة العثمانية ، خصوصا وأن قوات مصر قد استطاعت أن تنزل بالقوات التركية خسائر فادحة وأن تأسر منها قرابة ١٥ ألف مقاتل . فى نفس الوقت الذى سلم فيه قائد الأسطول العثمانى نفسه بما تحت قيادته من قوة بحرية إلى محمد على بالاسكندرية.

ظن محمد على أن الامر قد استتب له وأن الدولة العثمانية أصبحت تقع تحت رحمته ، فليس هناك قوات برية أو بحرية تحمى حدودها ولا منقذ للسلطان العثمانى

من الوقوع فى قبضة محمد على سوى الدول الاوربية الكبرى . وأمام هذا الخطر الذى يتهدد تركيا من قبل محمد على تارة ومن قبل الروسيا تارة أخرى ، رأت الحكومة أن الموقف لا يحتمل التأخير، وأنه يجب القيام بعمل ايجابى حاسم لإنقاذ الدولة العثمانية من التفكك والانهيار ولحرمان محمد على من ثمرة إنتصاراته تمشيا مع سياستها فى المحافظة على كيان الدولة العثمانية .

وإذا كانت انجلترا تميل إلى اتخاذ موقف الشدة والعنف من محمد على فكانت فرنسا ترى غير هذا الرأى ، وتود مساعدة محمد على بالقدر الذى يسمح له بالاحتفاظ بما تحت يده من أقطار .

وعندما عرفت انجلترا بميول فرنسا نحو مساعدة محمد على وأنها ستكون عقبة فى سبيل تنفيذ ماعزمت عليه تجاهاتها ودعت كل من النمسا والروسيا وبروسيا لتوقيع اتفاقية لندن سنة ١٨٤٠ والتى نصت على منح محمد على ولاية مصر وراثية فى ذريته، بالإضافة إلى ولاية عكا مدى الحياة . وأن يتخلى عما عداها من الأراضى الخاضعة لحكمه . فإذا امتنع عن تنفيذ ذلك فى ظرف عشرة أيام سحبت منه ولاية عكا وتركت له ولاية مصر . وإذا رفض قبول هذا العرض فعلى الدول الموقعة على الاتفاقية إتخاذ ماتراه من إجراءات كفيلة بحل المسأله بالشكل التى تراه .

اعتمد محمد على على معونة فرنسا دون أن يعلم مدى إمكانياتها فى ذلك، ودون أن يدرى أنها لن تستطيع الوقوف أمام تصميم انجلترا. فأضاع بذلك ولاية الشام، وبدأ الأسطول الانجليزى يلعب دوره فى إثارة أهل الشام وفى ضرب المدن الشامية ، وإنزال القوات الانجليزية والتركية بها . وتلا ذلك محاصرته للشواطىء المصرية وتهديد ميناء الإسكندرية. وأمام هذا الضغط العسكرى وإزاء تجاهل فرنسا لوعودها لمحمد على أن أضطر أخيرا إلى التسليم لرغبات الدول العظمى بشرط أن

تصبح مصر وراثية فى أسرته وهكذا استطاع بالمرستون أن ينفذ رغبته وأن يحافظ للدولة العثمانية على كيانها ، وأن يمنح محمد على استقلالا ذاتيا فى إدارة شئون مصر مع تبعيتها للباب العالى .

كذلك نجح بالمرستون فى أن تعقد الدول الكبرى اتفاقا فى ١٣ يوليه سنة ١٩٤١ ينص على تعهد هذه الدول والسلطان بعدم السماح لأية سفن حربية تابعة لدول أجنبية من دخول مضيق البسفور والدردنيل وبذلك قضت إنجلترا على معاهدة هنكيار اسكلسى السرية التى سبق أن عقدتها الروسيا مع الدولة العثمانية والتى خولت لها حق التحكم فى منطقة المضايق وفق مشيئتها .

وفى ذلك الوقت بدأ القيصر الروسى يتقرب إلى إنجلترا ويوضح لها بأن الدولة العثمانية مشرفة على السقوط وأن الأجدر بهما أن يتفقا سويا على تقسيم ممتلكاتها فيما بينهما فتأخذ انجلترا مصر وكريت وتأخذ الروسيا القسطنطينية. ولكن هذا العرض لم يجد قبولا لدى إنجلترا فى ذلك الوقت لاعتناقها مبدأ المحافظة على كيان الدوله العثمانية، ولخشيتها من اقتراب الروسيا من شواطىء البحر المتوسط وما يحمله من احتمال تهديد قوات الروسيا للاسطول الانجليزى فى هذا البحر .

واذا كانت انجلترا لم تقبل العرض الروسى فى ذلك الوقت فقد اضطرتها الظروف فى الحرب العالمية الاولى الى التسليم بوجهة النظر الروسية فى معاهدة سايكس بيكو سنة ١٩١٦ .

حرب القرم

١٨٥٣ - ١٨٥٦

تعتبر حرب القرم من الحروب الفريدة فى نوعها فى التاريخ وذلك لعده أسباب

أولا: أن انجلترا خاضت حروبا مختلفة دفاعا عن مصالحها وتحقيقا لمطامع توسعية وخرجت من هذه الحروب منتصرة بعد أن ضمت إلى إمبراطوريتها ممتلكات جديدة . ولكن هذه الحرب دخلتها انجلترا دفاعا عن كيان الدولة العثمانية وأنفقت فيها الكثير من الاموال وضحت بأعداد كبيرة من جنودها دون أن تحقق شيئا. وقد شعرت انجلترا بخيبة أمل كبيرة بعد انتهاء تلك الحروب، وحاولت أن تخفى هذا الشعور وراء تصريحات وزير خارجيتها الذى أعلن بأن انجلترا لم تدخل هذه الحرب لتحقيق مطامع شخصية وإنما دخلتها دفاعا عن مبدأ ولاشىء غير المبدأ

ثانيا : أن هذه الحرب هى آخر الحروب الاوربية التى اتبعت فيها أساليب الحرب القديمة . فرغم وقوعها فى منتصف القرن التاسع عشر ، وفى وقت عرفت فيه أوربا بعض الأساليب الحربية الحديثة، إلا أن هذه الحرب ظلت بعيدة كل البعد عن تلك الأساليب .

ثالثا : أن حرب القرم قامت لسبب دينى ظاهر ، رغم انتهاء الحروب الصليبية وعهد الحروب الصليبية منذ أمد غير قريب .

ما من شك فى أن لحرب القرم أسباب عديدة ، فبعضها مباشر والبعض الآخر غير مباشر . فأهم الأسباب الغير مباشرة هـو ضعف الدولة العثمانية ، وازدياد الوعى القومى لدى القوميات الخاضعة لحكمها فى شبه جزيرة البلقان بشكل أدى

إلى إضطراب الأحوال فى تلك المناطق وإلى ثورة تلك القوميات من حين لآخر طلبا للاستقلال أو لزيادة ما تتمتع به من استقلال ذاتى فدول البلقان كانت أشبه ببرميل من البارود معرض للانفجار فى أى وقت إذا ما ارتفعت حرارة المنطقة نتيجة عوامل داخلية أو أخرى خارجية فى أغلب الأحيان .

كذلك شجع هذه القوميات على الثورة ماحصل عليه اليونانيون من استقلال تام فى نهاية الربع الأول من القرن الماضى . فهذا المثل الحى دفع سائر القوميات الاخرى أن تحذو حذو اليونان واعتقدت بأن هذا لن يكلفها أكثر من القيام بثورة تدعو إلى تدخل الدول الأجنبية كما حدث بالنسبة لليونان .

كما أن العامل الدينى لعب دورا هاما فى هذه المنطقة ، فدول البلقان دول مسيحية خاضعة لحكم سلطان مسلم ، وكانت معظمها تدين بالمذهب الأرثوذكسى وهو مذهب الكنيسة الشرقية . وكان القيصر الروسى يعتبر الرئيس الأعلى للكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، فهو من هذه الناحية يعد الزعيم الروحى لهذه الدول فعن هذا الطريق استطاعت الروسيا أن تؤثر فى هذه الدول وأن توجه النواحى الدينية وجهة سياسية اتخذت أشكالا متعددة ، وذلك تحقيقا لأطماعها فى ممتلكات الدولة العثمانية .

أما عن موقف النمسا من هذه الأحداث فيتخلص فى أنها كانت تطمع فى كسب نفوذ لها فى دول البلقان على أقل تقدير. ولكن كان يزاحمها فى هذا المجال الروسيا. فنواياها التوسعية على حساب تركيا لم تعد خافية عليها. ولهذا فهى تخشى أن تتمكن النمسا أن تحل محل الدولة العثمانية فى تلك الدول المتطلعة إلى الإستقلال وقد وجدت أن الروسيا تستغل العامل الدينى أقصى الحدود، وتفسر بنود معاهدة كوتشك كنارجى (١٧٧٤) التى عقدت بينها وبين تركيا بشأن بناء كنيسة فى الآستانة تكون تحت حمايتها

تفسيرا أخرج هذه المعاهدة عن النطاق المرسوم لها فزعمت بأن هذه المعاهدة تعطيها الحق فى تمثيل الطوائف المسيحية فى بلاد البلقان وفى الدفاع عن مصالحها ، ومعنى هذا السماح لنفسها بالتدخل من حين لآخر فى شئون الدولة العثمانية بحجة حماية تلك المصالح .

وفى يناير سنة ١٨٥٣ أقترح القيصر نيقولا على سفير انجلترا بالآستانة السير هاملتون سيمور أن تتعاون مع انجلترا والروسيا فى تقسيم ممتلكات الباب العالى بعد أن اتضح له أن الدولة العثمانية مشرفة على الانهيار وان من صالح الدولتين التفاهم فما بينهما بشأن الممتلكات العثمانية بالطرق الودية. وأن هذا التقسيم من وجهة نظر الروسيا يتلخص فى منح بلاد اليونان الاستقلال فى ظل الحماية الروسية . وأن يسمح لها باحتلال الآستانة فقط فى مقابل استيلاء انجلترا على مصر .

لم يلق هذا العرض قبولا لدى إنجلترا التى كانت لاتزال تتمسك بسياستها التقليدية فى المحافظة على كيان الدولة العثمانية وإن كانت هذه المحادثات قد أسفرت عن شيء فهو زيادة تخوف إنجلترا من نوايا الروسيا إزاء الباب العالى .

وفى هذا الجو المشحون بالشكوك والريب برزت فى الأفق مشكلة جـــديدة تدور حول أحقية كل من الروسيا وفرنسا فى امتلاك مفاتيح كنيسة بيت لحم فى فلسطين . فكل من الدولتين تدعى أن من حقها دون سواها إمتلاك هـــذه المفاتيح وإدارة أماكن الحج ببيت المقدس، فالروسيا تزعم لنفسها حق حماية مصالح المسيحيين الأرثوذكس، وفرنسا تدعى لها منذ الحروب الصليبية حق حماية مصالح لمسيحيين فى هذه البقعة . ولم يكن هذا النزاع حول تلك المسألة الدينية إلا ستارا يخفى خلفه النوايا السياسية لكلا الدولتين .

وكان من الممكن الوصول الى تفاهم مع الروسيا بشأن منحها مفاتيح كنيسة بيت

لحم لو اقتصرت مطالبها على هـذا الطاب دون سواه . ولـكن مما جعل الامور تزداد تعقيدا أن الروسيا قد أرسلت بالأمير الروسى منشيكوف الى الآستـانة - لا ليطالب بهذا الحق فحسب - وإنما ليطالب أيضا باعتراف الدولة العثمانية بحق الروسيا فى حماية المسيحيين البلقانيين .

رفضت تركيا الاستجابة الى مطالب الروس وأصرت على الرفض ، وحاول السفير الانجليزى بالآستانة أن يزحزح الباب العالى عن إصراره ، وأن يستجيب فقط الى رغبة الروسيا فى منحها مفاتيح بيت المقدس دون أن يسلم لها بمـا تدعيه من حق حماية الرعايا المسيحيين بالبلقان . ولـكن الباب العالى اعتقادا منه بأن انجلترا لن تتركه وحيدا فى حالة قيام حرب بينه وبين الروسيا أصر على موقفه ورفض التساهل مع المندوب الروسى . مما ترتب عليه انسحاب هذا المندوب من الآستانة وتراكم السحب فى سماء العلاقات بين الدولتين التركية والروسية، وعززت الروسيا موقفها هذا باحتلال قواتها لولايتى الافلاق والبغدان (مولدافيا وولاشيا).

خشيت النمسا من وقوع صدام بين الدولتين ، كما أفزعها احتمال انتصار الروسيا فى تلك الحرب، وما يستتبع ذلك من وقوع البلاد البلقانية التى تطمع فيها فى أيدى الروسيا . ورأت أن تقوم بمحاولة لإنقاذ السلام ومنع نشوب الحرب . فدعت إلى عقد مؤتمر من الدول المعنية بالأمر فى فينا لمحاولة التوفيق بين وجهات النظر المتعارضة ، ووفق المؤتمر الى صيغة ترضى الطرفين المتنازعين ، وذلك بإعلان حماية المسيحيين فى البلقان دون الاعتراف بحق الروسيا فى التدخل فى شئونهم . وعندما قدمت هذه الصيغة للسلطان العثمانى رفضها رفضا باتا . وبذلك أصبح قيام الحرب متوقعا بين لحظة وأخرى .

وقد أثار هذا الموقف الحازم من قبل السلطان العثمانى موجة من التحرش

والاستفزاز أدت فى النهاية إلى إعلان تركيا الحرب على الروسيا فى ٤ أكتوبر سنة ١٨٥٣ دون أن تتمكن الحكومة الانجليزية من منعها، رغم ما بذلته من جهود فى هذا السبيل . كان لابد أن تهب انجلترا لنجدة الدولة العثمانية للمحافظة عليها من ناحية ولمعارضة التوسع الروسى من ناحية أخرى .

أما فرنسا فى عهد الإمبراطور نابليون الثالث فقد وجدت فى هـذه الحرب فرصة ذهبية لكسب النصر تخليدا لاسم نابليون . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقيام فرنسا بمساندة انجلترا فى هـذه الحرب سيؤدى إلى تخلص فرنسا من بنود معاهدة فينا سنة ١٨١٥ التى فرضت عليها قيودا ثقيلة، ومن ناحية ثالثة فدخول فرنسا الحرب تدعيما للمصالح الفرنسية فى الشرق . لكل هذه الأسباب مجتمعة وجدت فرنسا من صالحها أن تخوض تلك الحرب .

أما عن النمسا التى عملت جاهدة على الحيلولة دون قيام تلك الحرب فكانت مترددة بين الدخول فى غمارها وبين الوقوف على الحياد . ولكن كيف تقف على الحياد . والحرب تدور على حدودها ؟ على أى حال ظلت النمسا متمسكة بموقف الحياد رغم تطور الأحداث .

وإذا انتقلنا إلى بروسيا نجد أن ملكها لا يرغب الدخول فى حرب ، ويرى أن بروسيا أضعف من أن تزج بنفسها فى حرب أوربية قد تزيدها ضعفا. وهذا غير ما كان يراه بسمرك، وظلت بروسيا كذلك بمنأى عن هذا الصراع .

أرسلت كل من إنجلترا وفرنسا قطعا من أسطوليها إلى مياه الدردنيل فى آخر اكتوبر سنة ١٨٥٣ لتدعيم موقف تركيا ولحماية الآستانة. ولكن هذا العمل لم يحل بين الأسطول الروسى وبين القضاء على الأسطول التركى فى البحر الأسود . فثارت الدولتان (إنجلترا وفرنسا) وأعلنتا الحرب على الروسيا فى مارس سنة ١٨٥٤ ،وكانت المشكلة التى تواجه الدولتين هى اختيار ميدان القتال ، فإرسال

الأسطولين الانجليزي والفرنسي فيه حماية للأستانه فقط . ولكن لابد من القيام بعمل عسكري يوقف اعتداء الروسيا على تركيا . ولما كانت القوات الروسية قد استولت على ولايتي الافلاق والبغدان (مولدافيا وولاشيا) فقد خشيت روسيا أن يؤدي بقاؤها فيها إلى إغضاب النمسا وإلى دخولها الحرب في صف انجلترا وفرنسا ، ولهذا أسرعت بسحب قواتها منهما، فأرسلت النمسا جزءا من قواتها للمحافظة عليها ريثما تنتهي الحرب ، وكان من الممكن أن يؤدي انسحاب الروسيا من الولايتين إلى انتهاء الحرب . ولكن انجلترا وفرنسا وجدتا أن انتهاء الحرب على هذا الوضع دون الوصول إلى نتيجة حاسمة ودون القضاء على خطر التهديد الروسي بصفة نهائية ، عمل تنقصه الحكمة فلابد إذاً من مواصلة الحرب وأن يختار لها ميدان صغير لأن الحلفاء لم يكونا على استعداد لخوض حرب طويلة الأمد وعلى نطاق واسع وكذلك كان الشأن بالنسبة للروسيا ، فلم تستطع في ذلك الوقت تجنيد أكثر من ٢٥٠ ألفا جندي .

وفي المفاوضات التي دارت بين النمسا وفرنسا في ذلك الوقت حددت الاهداف المقصودة من هذه الحرب في النقاط الاربع الآتية :

أولا ـ وضع ضمان أوربي لولايتي الدانوب (الافلاق والبغدان) محل حماية الروسيا لهما .

ثانيا ـ تقرير حرية الملاحة في نهر الدانوب .

ثالثا ـ إعادة النظر في اتفاقية المضايق سنة ١٨٤١ لصالح توازن القوى في أوربا .

رابعا ـ تنازل الروسيا عن إدعائها حق حماية الرعايا المسيحيين الدولة العثمانية، وبدلا من هذا تأخذ الدول الأوربية وعداً من السلطان العثماني بتحسين حالة رعاياه المسيحيين .

وفى حقيقة الأمر كان الروس قد وافقوا على النقاط الثلاث الأولى والأولى والثانية والرابعة ولكنهم رفضوا النقطة الثالثة وهى التى قامت من أجلها الحرب. إذ اعتبر الحلفاء أن تفوق قوة الروسيا البحرية فى البحر الأسود له أثره دون ريب على تركيا وهذا بدوره سيؤثر على التوازن الدولى فى أوربا .

اختارت انجلترا وفرنسا وتركيا ميناء سباستبول الروسى ليكون مركزا للعمليات الحربية ضد روسيا ، ففى القضاء على قوة الروسيا البحرية فى البحر الأسود تحقيق الهدف الثالث من الأهداف التى رمت اليها الحرب . وتمكن الحلفاء من انزال ما يقرب من ٣٥ ألف جندى فى شبه جزيرة القرم . وتصدت لهم القوات الروسية لمنعهم من التقدم فى الزحف نحو ميناء سباستبول ، ولكنهم لم يفلحوا وتمكنت القوات الغازية من إنزال الهزيمة بالروسيين فى موقعة ألما . وبعد ذلك بدأ الحلفاء فى فرض الحصار على الميناء من ناحيتى البحر والبر، ولكنه لم يكن حصاراً محكما إذ تمكنت الروسيا من إمداد المدينة من حين لآخر بما تحتاج اليه من مؤن وذخائر . وكذلك نجح القائد الروسى منشكوف فى مقاومة قوات الحلفاء وانزال الخسائر الفادحة بها . كما أن الأساطيل المتحالفة لم تستطع أن تلعب دورا ايجابيا فى المعركة ، فلو أنها تمكنت من اغراق الأسطول الروسى فى مياه سباستبول إلا أن هذا العمل قد سد الميناء فى وجه تلك الأساطيل ، ولم تقدر مدفعيتها الوصول إلى تحصينات الميناء واستحكاماتها نظرا لقصر مداها . استمات الطرفان فى الدفاع فلم يتمكن الروس من طرد الحلفاء من شبه جزيرة القرم . كما لم يستطيعوا هم بدورهم الاستيلاء على سباستبول ، فظلت الكفتان متعادلتان حتى يونيه سنة ١٨٥٥ . وفى ذلك الوقت دخلت مملكة سردينيا (بيدمونت) الحرب إلى جانب الحلفاء .

ورغم تفوق الحلفاء فى القوات البرية وفى العدد والعـــدة فقد فتكت بهـا الأمراض وسقط منها صريع الكوليرا أضعاف ما سقط بسلاح العدو كان لابد إذاً للحلفاء أن يلجـأوا إلى الضغط السياسى على الروسيا لإنهـاء الحرب بعد أن عجزوا عن إنهائها بحد السيف. واشترطت فرنسا لمواصلة الحرب فى ذلك الوقت دخول النمسا إلى جانبهم فى الحرب ، فتهديد النمسا للروسيـا حربيا سيجبرهـا على وضع قوات حربية كبيرة على حدودها مما سيؤثر تأثيرا خطيرا على الوضع الحربى فى شبه جزيرة القرم . ومع أن النمسا كانت تميل إلى الضغط على الروسيا لقبول النقاط الأربع التى أشرنا اليها من قبل إلا أنها كانت لا تريد أن تذهب فى ضغطها إلى حد دخولها فى غمار الحرب . وبذلك رأت النمسا عقـد معـاهدة مع انجلترا وفرنسا تنص على أنه إذا لم توافق الروسيا على النقاط الأربع وتوقيع الصلح مع الحلفاء قبـل أن ينقضى عام ١٨٥٥ ، فعلى الدول الحليفة التشاور فيما بينها لاتخـاذ الاجراءات الكفيـلة بتحقيق ما تصبوا اليـه من أهداف . وما أن وقعت النمسا هذه المعاهدة إلا وأعلنت الروسيا فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٥٤ قبولها للنقط الأربع المشار اليها .

فوت دخول النمسا الحلف إلى جانب انجلترا وفرنسا على الدولتين الأخيرتين فرصة القيام بعمل حربى لتدمير سباستبول وتحديد قوة الروسيا الحربية بعد أن قبلت الروسيا النقط الأربع . وأخيراً اتفق الحلفاء فيما بينهم على ضرورة اعتراف الروسيا بالتنازل عن تفوقها فى البحر الأسود . وكانوا يودون رفض الروسيا لهذا المطلب حتى تضطر النمسا إلى خوض غمار الحرب إلى جانبهم ، ولكن قبـــول الروسيا الاعتراف بذلك فوت على الحلفـــاء فرصة ثانية لإرغام النمسا على الدخول فى الحرب . وكان على الحلفاء إذاً أن يعقدوا مؤتمرا فى فينا للتشاور فى شروط الصلح .

وسرعان ما تغير موقف فرنسا فجأة من قبول فكرة الصلح إلى التصميم على مواصلة القتال، ولو أدى هذا إلى أن يخوض نابليون الثالث غمارها بمفرده ضد الروسيا فنابليون كان - فى ذلك الوقت - فى حاجة ماسة إلى نصر خارجى يدعم مركزه فى فرنسا ولكن تغير الأوضاع الداخلية فى الروسيا بموت القيصر نقولا واعتلاء خليفته الاسكندر الثانى الراغب فى الصلح قد وضع حداً لتهور نابليون.

وفى ١٩ مارس سنة ١٨٥٦ اجتمع مؤتمر فينا وعرض مشروع تحديد قوة الروسيا الحربية فى البحر الأسود على بساط البحث، ورفضت الروسيا هذه الفكرة من أساسها وانقاذاً للموقف اقترح أن تحتفظ الروسيا بأسطول كبير العدد فى البحر الأسود على أن يسمح للحلفاء فى نفس الوقت بالدخول بأساطيلها فى هذا البحر. وأخيراً رفضت الروسيا فى ٤ يونيه الموافقة على تحديد قواتها البحرية. ورفضت النمسا فى نفس الوقت الدخول فى حرب ضد الروسيا لإرغامها بالقوة على قبول مبدأ التحديد وبعد أن فشلت النواحى السياسية فى حل النزاع لجأت كل من فرنسا وانجلترا ثانية إلى الاحتكام إلى قوة السلاح. ونجحت الدولتان فى مهاجمة سباستبول واسقاطها فى ٨ سبتمبر. وقد أوقع هذا النصر الدولتين الانجليزية والفرنسية فى حيرة شديدة فهل تكتفى بهذا النصر الهزيل، وتقبل الصلح على الشروط السابقة، أم تواصل الحرب ضد الروسيا حتى تقضى على قوتها وبذلك تتمكن الدولتان من فرض ما تريانه من شروط وإذا استقرتا على فكرة الحرب، فى أى الميادين ستهاجم الروسيا؟ كل هذه الآراء جالت بخاطر ساسة الدولتين. فبالمرستون كان يرى الاستمرار فى الحرب، بينما مل نابليون الثالث مواصلة الحرب. وفى نفس الوقت كان يريد استصلاح الروسيا، بل والدخول فى حلف معها، إعتقاداً منه بأن مثل هذا الحلف سيطلق يد فرنسا فى أوربا من جديد.

خشيت النمسا من حدوث هذا التقارب بين الروسيا وفرنسا لأنه سيتيح لفرنسا فرصة التدخل فى شئون ايطاليا لصالحها وعلى حساب النفوذ النمساوى. ولهذا قررت التدخل الحاسم فى الموقف، وذلك عن طريق فرض النقط الاربع كما فسرها الحلفاء من قبل على الروسيا. ووجه اليها إنذاراً رسمياً بذلك. كما قررت بالاشتراك مع انجلترا وفرنسا فى ضمان سلامة الدولة العثمانية. وقد فسر بول قيصر الروسيا النقطة الأولى فى صالح النمسا، وذلك باقتطاع بسارابيا من الروسيا وإبعادها عن مصب نهر الدانوب.

أما النقطة الثالثة فقد فسرت بحيدة البحر الأسود. ولم يكن هذا التفسير مجحفا بحق الروسيا، فقد دمر أسطولها فى مياه سباستبول، ولم يكن لها فى حقيقة الأمر قوة بحرية فى ذلك الوقت. وعندما قدم للروسيا الانذار النمساوى، أخذت الروسيا فى المساومة ولكنها لم تفلح واضطرت إلى توقيع مقدمات الصلح فى أول فبراير سنة ١٨٥٦.

مؤتمر باريس

وفى ٢٥ فبراير سنة ١٨٥٦ انعقد مؤتمر الصلح فى باريس لتوقيع الشروط التى اتفق عليها وهى :

اولا ـ احترام استقلال تركيا وعدم المساس بمتلكاتها. وفى حقيقة الأمر فمعاهدة باريس هى أول معاهدة من نوعها توقع عليها الدولة العثمانية لا تنتقص من ممتلكاتها أو تعمل على اضعاف قدرتها الدفاعية، بل لقد بوأت تلك المعاهدة العثمانية مركز أكبر من ذى قبل. وضمنت وقوف الدول الاوربية إلى جانبها ضد الروسيا، واعترفت باستقلالها فى إدارة شئونها الداخلية.

ثانيا ـ إعلان حيدة البحر الاسود، وهذه الحيدة كانت فى واقع الأمر

حقيقة مسلم بها فى ذلك الوقت ، فلم يعد للروسيا قوة بحرية فى البحر الأسود تجعلها تعارض بشكل جدى فى موضوع الحياد . وبتسليم الروسيا بهذا المبدأ لم تعد تهتم كثيراً بالشئون الاوربية وذلك لفترة خمسة عشر عاما بل يمكننا القول بأنها قد أهملتها اهمالا يكاد يكون تاما ، وذلك لشعورها بالمرارة من موقف الدولتين الكبيرتين انجلترا وفرنسا منها . فالبحر الأسود بصفة خاصة والمسألة الشرقية بصفة عامة هى حجر الزاوية بالنسبة للسياسة الروسية منذ القرن الثامن عشر ، فتحطيم المشروعات الروسية فى هذه المنطقة قد دفع الروسيا إلى الاهتمام بالشئون الآسيوية والانصراف عن الشئون الاوربية . وترتب على ذلك توسع الروسيا فى أواسط آسيا وتضخم حجم الامبراطورية الروسية فى ذلك الوقت .

ثالثا - أن تتعهد الدولة العثمانية بتحسين أحوال رعاياها المسيحيين فى البلقان، على ألا تتدخل أية دولة خارجية فى شئونها الداخلية . ولكن يبدو أن السلطان العثمانى لم يفِ بهذا التعهد وظلت أحوال الرعايا المسيحيين موضع شكوى بصفة مستمرة .

رابعا - الاعتراف بحرية الملاحة فى نهر الطونة (الدانوب) وكان هذا نجاحا للنمسا . فاستطاعت إبعاد الخطر الروسى عن مصب نهر الدانوب ، ولكنها فى نفس الوقت خسرت صداقة الروسيا إلى الأبد .

خامسا - الاعتراف بحق الدولة العثمانية فى اغلاق مضيق البوسفور والدردنيل فى وجه المراكب الحربية لسائر الدول . وهذا البند جزء متمم لحياد البحر الأسود ولمبدأ احترام سيادة تركيا واستقلالها .

سادسا - تعديل الحدود بين الروسيا وتركيا .

سابعاً - فى حالة حدوث خلاف بين الدولة العثمانية وغيرها من الدول ، يجب قبول مبدأ التحكيم لفض الخلاف قبل أن يستفحل خطره ويؤدى إلى نشوب حرب أوربية .

ثم ظهرت المسألة الشرقية بعد ذلك فى صور أخرى مختلفة كثورة كريت (٦٦/١٨٦٧) على الحكم العثمانى ، وفى حرب الصرب (١٨٧٦) وفى الحرب التركية الروسية (٧٧/١٨٧٨) ، وهى موضوع هذا الكتاب .

ولقد وجدت مصر نفسها - سواء رضيت بذلك أم لم ترض - مسوقة إلى أن تكون طرفا فى تلك المشكلة من زاويتين :

الأولى : أن مصر بحكم كونها ولاية عثمانية مطمع وهدف للدول الاستعمارية الطامعة ، بل إنها كانت فى كل التقسيمات المقترحة من نصيب بريطانيا .

والثانية : أن مصر كانت مرغمة بحكم الفرمانات أن تساعد الباب العالى فى حروبه ضد أعدائه والثائرين عليه . وهذا السبب دفع مصر إلى أن تقف موقفين متناقضين فى وقت واحد . فهى فى نفس الوقت الذى تتوق فيه إلى الاستقلال عن الباب العالى والتخلص من الحكم العثمانى ، تقوم بضرب الحركات التحررية التى تقوم بالثورة على السلطان العثمانى من أجل حريتها واستقلالها . فمصر بحكم خضوعها للباب العالى لم تكن لديها الحرية فى أن تتبع السياسة التى تراها صالحة لها إذا ما تعارضت مع مصالح السلطان .

ولم يكن اشتراك مصر فى اخضاع الثورات التى تقوم ضد الباب العالى فى مصلحتها ، بل على العكس من ذلك ، فقد كبدتها خسائر كثيرة فى الأموال والأنفس فى أوقات كانت فيه البلاد تمر بأزمات مالية واقتصادية شديدة . كما

الفصل الأول

تدخل مصر السياسى والعسكرى

كانت جزيرة كريت تابعة لحكم البندقية قبل الغزو التركى لها فى عام ١٦٤٥ . وكانت وطأة حكم البنادقة شديدة حتى أن أهل الجزيرة كانوا يتمنون زواله ويتوقون إلى تغيير هؤلاء الحكام بآخرين غيرهم ، وليكن الأتراك العثمانيين المجاورين لهم . فالحكم العثمانى فى نظرهم أفضل من حكم البنادقة فانه لن يكون أسوأ منه على أى حال . ولم تقم الدولة العثمانية بمحاولة جدية للاستيلاء على الجزيرة إلا فى عام ١٦٤٥ فأنزلوا فى مدينة خانية Canea قوة حربية قوامها ٥٠ ألف رجل . وفى السنة التالية سقطت مدينة ريتمو Retimo. وفى عام ١٦٤٨ قاموا بحصار العاصمة كنديا Candia فترة طويلة من الزمن تعتبر من أطول فترات الحصار التى عرفها التاريخ إذ استمرت أكثر من عشرين عاما إلى أن سقطت فى عام ١٦٦٩ نتيجة للجهود القوية التى قام بها الوزير التركى أحمد كوبريلى .

وبسقوطها خضعت كل الجزيرة للحكم العثمانى فيما عدا ثلاث مدن فى الشمال هى : جرابوسا Grabusa وسودا Suda واسبينالونجا Spinalonga فظلت كنقط ارتكاز لنفوذ البندقية . وما أن أشرف عام ١٧١٨ حتى سقطت هذه المراكز الثلاثة فى يد الأتراك ، وخلصت الجزيرة كلها للحكم العثمانى .

خضعت إذاً جزيرة كريت للحكم التركى وعم الهدوء والسكينة أنحاءها إلى أن قامت الثورة اليونانية فى عام ١٨٢١ - إذا استثنينا محاولة قامت فى عام ١٧٧٠

سوء نظم الحكم العثماني في كريت

وأخمدها الأتراك العثمانيون بكل عنف وشدة . ويذكر باشلي[1] R. Pashley بأن نظم الحكم التي خضعت لها جـ يرة كريت تعتبر من أسوأ النظم التي طبقت في أيه- ن ولايات الامبراطورية عثمانية .

وفي عام ١٨٢١ إندلعت نيران الثورة في بلاد اليونان فتزعم أهل أسفاكية Sfakia الثورة في جزيرة كريت بعد مذبحة خانية Canea ، وسرعان ما ناصبوا الأتراك العداء ، وسيطروا على كل المناطق المكشوفة بالجزيرة ، وأرغموا الأتراك العثمانيين والمسلمين على الالتجاء إلى المدن الحصينة فطلب السلطان العثماني مساعدة محمد علي والي مصر ، فبعث إلى الجزيرة بسبعة آلاف جندي ألباني[1] . واستمرت الأعمال العدوانية قائمة حتى عام ١٨٢٤ دون أن يحرز أحد من الطرفين نتائج حاسمة ، إلى أن استطاعت الدولة العثمانية إرسال المزيد من الإمدادات القوية أرغمت بها الثوار على الخضوع .

وفي عام ١٨٢٧ حدثت موقعة نوارين ، ثم أعلن استقلال اليونان عن الباب العالي . وبالرغم من ذلك أصرت الدول الأوربية ؛ انجلترا وفرنسا وروسيا على عدم ضم الجزيرة إلى اليونان .

كما كانت سياسة الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت تتفق مع سياسة الحكومة الانجليزية تجاه تلك المسألة ، لأن سياستها كانت قائمة على معارضة السياسة الروسية في تلك المنطقة من العالم . ولما كانت الحكومة الروسية تحبذ سياسة تقسيم ممتلكات الباب العالي لتظفر بمنطقة المضايق ، حتى يجد لنفسها منفذا إلى البحر المتوسط ، كان

---

1 - R. Pashley : Travels in Crete 1837.

١ ـ دفتر ٧ معية تركي ، ترجمة التلغراف التركي رقم ٣٠٠ من الجناب العالي إلى ولده ابراهيم باشا في ١٩ من ذي الحجة ١٢٣٦ (١٦ سبتمبر ١٨٢١) .

من الطبيعى أن تعارض الحكومة الفرنسية تلك السياسة التى تعرض مصالحها ونفوذها الأدنى فى تلك المنطقة للخطر .

ولما قامت الثورة فى اليونان فى عام ١٨٢١ مالت الحكومة الروسية إلى مناصرة الثوار اليونانيين ضد الحكم العثمانى : ولكن سبقتها الحكومة الانجليزية فى الاعتراف بحكومة الثوار فى مارس عام ١٨٢٢ حتى لا تنفرد روسيا وحدها بحل مشكلة اليونان .

وفى معاهدة أدرنه (سبتمبر ١٨٢٩) قررت الدول الثلاث انجلترا وفرنسا وروسيا إستقلال اليونان استقلالا داخليا تحت السيادة العثمانية ولكن كلا من إنجلترا وفرنسا وجدتا فى وضع اليونان الجديد فرصة سانحة تمكن الحكومة الروسية من إستغلاله للتدخل فى شئون اليونان الداخلية . فقررت الدول الثلاث انجلترا وفرنسا وروسيا (فى سبتمبر ١٨٣١) استقلال اليونان استقلالا تاما عن الباب العالى ولكنها لم ترغب فى انفصال كريت عن الدولة العثمانية. كما أن هذا العمل لا يتفق مع السياسة الرجعية التى ارتبطت بها الحكومتان الروسية والنمسوية. وهى السياسة التى ترمى الى القضاء على الحركات التحررية والمحافظة على الحقوق الشرعية لأصحابها ولهذا لم توافق الدول الأوربية الثلاث (انجلترا وفرنسا وروسيا) على ضم كريت إلى اليونان . ولكنهم أدركوا فى نفس الوقت أن من الضرورى إحداث بعض التغييرات التى يتطلبها الموقف . فأخذوا موافقة السلطان محمود الثانى على منح محمد على والى مصر حكم الجزيرة . وصدر بذلك فرمان سلطانى فى ٢٠ ديسمبر عام ١٨٢٢ .

ولقد قوبل هذا التغيير فى تبعية حكم الجزيرة إلى والى مصر ببعض الارتياح من جانب سكان الجزيرة، ~~إذ أنه على الأقل سيقضى على الارتياح من جانب سكان~~

الجزيرة إذ أنه على الأقل سيقضى على الحكم التركى السيء الذى عانوا منه الشىء . ومنذ ذلك الوقت ، أى من عام ٨٣٢ تمتعت الجزيرة بفترة طويلة من الحكم المستقر المستنير على يد حاكمها الالبانى مصطفى باشا حتى عام ١٨٥٢ . وفى تلك الفترة قام هذا الحاكم ببعض الاصلاحات بالجزيرة لتشجيع الزراعة واصلاح الطرق والقضاء على العصابات حتى أطلق على فترة حكمه اسم « الحكم الذهبى لكريت »(١) .

وفى عام ١٨٤٠ رجع حكم الجزيرة مرة أخرى إلى السلطان العثمانى بمقتضى معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وبذلك انقطعت صلة مصر بكريت حتى عام ١٨٦٦ . ولكن من حسن الحظ لم يحدث هذا التغيير فى تبعية الجزيرة أى أثر فيها ، إذ استمر حكم مصطفى باشا قائما حتى عام ١٨٥٢ . وبعد ذلك بأربع سنوات قام أهل كريت بثورة إحتجاجا على صدور فرمان سلطانى فى فبراير عام ١٨٥٦ يسوى بين المسلمين والمسيحيين فى الحقوق والواجبات ـ ورفض المسيحيون إلقاء ما بأيديهم من السلاح إلا بعد أن أصدر الباب العالى فى يولية سنة ١٨٥٨ فرمانا آخر يمنحهم بعض الامتيازات ويعدهم فيه بتحسين أحوالهم . وفى عام ١٨٦٤ عقد الاهالى مؤتمرا عاما للنظر فى مطالبهم ، ثم رفعوا قرارات هذا المؤتمر إلى والى الجزيرة لعرضها على حكومة الآستانة . وكان رد السلطان على هذه المطالب عنيفا إذ أمرهم بالخضوع لسلطة الوالى دون أية معارضة .

---

(١) انظر كتاب الدكتورة زينب عصمت راشد : كريت تحت الحكم المصرى (١٨٣٠ - ١٨٤٠)

أسباب قيام الثورة

قام أهل كريت بتكوين جمعية (١) الغرض منها الدفاع عن حقوق الكريتيين ضد الدولة العثمانية . وفي مايو عام ١٨٦٦ تقدمت هذه الجمعية بالتماس إلى السلطان عبد العزيز يطالبون فيه بتخفيف الضرائب والمكوس الجركية وإصلاح الطرق وتحسين الموانى ، وبناء المدارس ، وإنشاء بنك زراعي ، ومراعاة التسامح الديني والحرية الشخصية (١) . وفي انتظارهم رد السلطان بدأوا يثيرون الشغب والاضطراب في انحاء الجزيرة تعزيزا لمطالبهم .

وهناك أسباب أخرى للثورة ترجع بصفة عامة إلى الأمل الذى كان يراود سكان الجزيرة لنيل استقلالهم (٢) واتحادهم مع اليونان منذ أن استقلت استقلالا تاما عن الباب العالي في سبتمبر عام ١٨٣١ . وذلك نتيجة لتدخل الدول الأوربية الثلاث انجلترا وفرنسا وروسيا . ولهذا كانوا يتحينون الفرص للخروج على الباب العالي وإيجاد حالة من الاضطراب تدعو الى مثل هذا التدخل من الدول الأوربية كما حدث في مسألة اليونان (٣) .

---

(١) - محفظة ٢٨١ عابدين . مذكرة مقدمة من ثوار كريت إلى قناصل الدول الأوربية محرم سنة ١٢٨٣ .

(٢) Douin; Hist. du Règne du Khedive Ismail vol. 1 p 352.

(٣) محفظة ٢٨١ عابدين . من شاهين كنج قائد العساكر المصرية العام الى مهردار الخديوى في ١٩ ربيع أول ١٢٨٣ (اول أغسطس ١٨٦٦) .

F O. 78-1911 Lord Lyons to Earl of Clarendon No. 268 Constantinople. July 17, 1866.

وقد شجع الثوار على المضى فى هذا السبيل تدخل الدول الأوربية إلى جانبهم، وكذلك بعض الجماعات الايطالية مثل جماعة غاريبالدى . إذ على أثر اتحاد سياسة ايطاليا مع سياسة بسمرك فيما يتعلق بالمسألة الشرقية ، وهى السياسة التى كانت ترمى إلى تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ، أخذت بعض تلك الجماعات الايطالية تثير الهياج فى بلاد الأفلاق والبغدان وشبه جزيرة البلقان والصرب والجبل الأسود . وقامت كريت تطالب بأكثر مما كانت تطالب به من قبل معتمدة على معاونة اليونانيين (١) أيضا . كذلك كانت تصرفات القنصل الروسى واتصالاته بالكريتيين تدعو الى الكثير من الشك والريبة (٢) .

كان سوء الحكم العثمانى للجزيرة من الأسباب الهامة التى أدت الى قيام الكريتيين بالثورة فيذكر اسماعيل فى تقريره (٣) عن حالة كريت الى القبوكتخدا (وكيل اسماعيل بالاستانة) كامل بك بأنه « لم يكن قيام الأهالى المسيحيين هذه المرة وتحزبهم وما أعلنوه من طلبات بسبب الدين . وليس هو من قبيل التعصب والعصيان الدينى . وإنما السبب الحقيقى هو أنهم لم يروا - لغاية الآن - من الموظفين الذين يعينون فى الجزيرة ولا من طوائف العساكر حسن المعاملة ولا

---

(١) محفظة ٢٨١ عابدين . مذكرة مقدمة من ثوار كريت الى قناصل الدول الأوربية بتاريخ محرم ١٢٨٣ .

(٢) محفظة ٢٨١ عابدين فى محرم ١٢٨٣ نقلا عن جريدة لاموند .

(٣) محفظة ٢٨١ عابدين . من شاهين كنج قائد العساكر المصرية العام الى مهردار الخديو فى ١٩ ربيع أول ١٣٨٣ (أغسطس ١٨٦٦) .

(٤) دفتر ٢٤ عابدين . وثيقة رقم ٨٨ من الجناب العالى الى القبوكتخدا (كامل بك) فى ١٤ ربيع آخر ١٢٨٣ (أغسطس ١٨٦٦) .

رعاية خاطر . فضلا عن سوء الادارة وعدم تمتع الأهالى بالأمن والراحة » .

ومع ذلك فلنأخذ كلام والى مصر اسماعيل بشيء من الحذر إذ لا نستطيع أن ننفى وجود تعصب دينى لدى المسيحيين من سكان الجزيرة كما جاء بهذا التقرير. بل يتضح من تقرير آخر رفعه شاهين كنج (قائد الحملة المصرية بكريت) الى والى مصر أن هؤلاء المسيحيين قد تجمعوا فى كنائسهم وأخذوا على أنفسهم مواثيق غليظة « بألا يأتمنوا المسلمين على سر ولا يخلصوا فى ولائهم وطاعتهم ولو أدى ذلك إلى فنائهم وانقراضهم عن آخرهم »[1] . ولكن يبدو أن اسماعيل قد نفى وجود التعصب الدينى لدى سكان الجزيرة حتى لا تكون حجة ضده إذا ما طلب ضم الجزيرة اليه .

ومما ساعد أيضاً على قيام الثورة[2] قلة عدد الجنود العثمانيين بالجزيرة إذ كانوا يتكونون من ثمانية عشر طابورا يتراوح عدد كل واحد منها ما بين ٣٧٥ و ٥٠٠ جندى . كما كانت حالتهم سيئة « فلم يستوفوا مرتبات أربعة أشهر على الأقل . وهم فى حالة يرثى لها ، وأكثرهم من العساكر الجدد ، وقد ابتدأوا يتدربون على الأعمال العسكرية بعد وصولهم الى خانية الأمر الذى أسقطهم من عيون النصارى[2] » .

أضف إلى ذلك أيضا أن الحاجة الى النقود قد ألجأت قائد الحامية العثمانية

---

(١) دفتر ٢٤ عابدين من اسماعيل سليم الى الجناب العالى فى ٢٤ محرم ١٢٨٣ (يونيه ١٨٦٦).

(٢) محفظة ٢٨١ عابدين من شاهين كنج قائد العساكر المصرية العام بكريت الى مهردار الخديو فى ٢٩ ربيع أول ١٢٨٣ (أغسطس ١٨٦٦) .

الى الامتناع عن دفع قيمة التعيينات التى يقوم المتعهدون الكريتيون بتوريدها للجنود العثمانيين . وقد أغضب هذا العمل تجار الجزيرة ، وأصبح كل من والى الجزيرة والقائد العام أمام مشكلة عسيرة الحل ، فخزينة الجزيرة خاوية ولا يستطيع الوالى امداد الجيش بما يحتاج اليه . كما كانت الدولة العثمانية لا تعير اهتماما كبيراً للطلبات الملحة التى يرسلها القائد العام الى الآستانة لحثها على إرسال الأموال اللازمة للصرف على الحملة . وأخيراً يتحرك المسئولون بالآستانة بعد أربعين يوما من الالحاح ويرسلون له ألفى كيس (١٠٫٠٠٠ جنيه) مع « التنبيه المؤكد بألا يطلب غيرها . وأنه إذا طلب بعد ذلك فسوف لا يرسل له بشيء [١] » .

مساعدة مصر الحربية

خشيت الدولة العثمانية على ممتلكاتها فى شرق أوربا بعد اعتلاء الأمير شارل من أسرة هوهنزلرن عرش رومانيا (١٦ ابريل ١٨٦٦) ، ولهذا رأت أن تعزز قواتها الحربية فى تلك المنطقة بجنود اضافية . وفى أثناء المحادثات التى دارت بين السلطان عبد العزيز واسماعيل بشأن فرمان الوراثة ، طلب السلطان من اسماعيل تزويده ببعض الفرق الحربية لتوزيعها على تلك المنطقة . فوعد اسماعيل بامداده بعدد من الجنود يتراوح بين ١٢ و ١٥ الف جندى . وفى ٢٩ مايو ١٨٦٦ أبحرت البواخر المصرية تحمل الدفعة الأولى من الجنود وتتكون من آلايين من المشاة تضم حوالى ٨٠٠٠ جندى [٢] وبطارية ميدان تحت قيادة علي غالب .

---

(١) دفتر ٢٤ عابدين وثيقة رقم ٨٨ من الجناب الخديو إلى القبوكتخدا فى ١٥ ربيع آخر ١٢٨٣ .

(2) Aff. Etrang. Corr. Polit. Autrey au Ministre des Aff. Etrang. No. 38 Alex. 9 Juillet, 1866.

وقد قبل اسماعيل مضطراً مساعدة الباب العالى فى إخماد ثورة كريت كما تقتضى بذلك الفرمانات . ويعبر اسماعيل عن هذا الشعور فى مذكرة أرسلها إلى قائد قواته بكريت يقول « والصحيح أننا ما كنا نريد أن تكون عساكرنا حيث هى اليوم وأوربا مرتبكة فى أمورها والدولة هى فيما هى فيه من الأحوال ، ولكن كيف العمل ومسألة الوراثة هى التى دعتنا إلى ذلك » [1] أى أن اسماعيل كان يرمى من وراء تقديم تلك المعونة الحربية تسهيل مهمته فى الحصول على الفرمان الذى يحقق رغبته فى وراثة عرش مصر .

ولكن ارسال تلك المساعدة الحربية قد أحدث صدى سيئاً فى الدوائر الفرنسية والانجليزية على السواء ، إذ صرح وزير خارجية فرنسا لنوبار باشا بأن مساعدة مصر الحربية للباب العالى ستجرها إلى ارتباكات سياسية ، وأن الحكمة تحتم على والى مصر أن ينتهز أول فرصة لسحب قواته من تلك الجهات دون أن يسبب للباب العالى أى ضرر [2] . كما أن الحكومة الانجليزية لم ترحب بتلك الخطوة كذلك . وقد علق دزريلى وزير خارجية انجلترا عليها بقوله « بأن تركيا لم تهاجم كما أنها ليست فى حالة خطر قيام حرب حتى تبادر مصر بارسال معونتها العسكرية [3] » .

وكان لتوجيهات نوبار باشا أثرها فى تصرفات اسماعيل فحاول جاهداً نقل

---

(١) محفظة ٢٨١ عابدين. من اسماعيل الى شاهين باشا قائد العساكر المصرية بكريت (مذكرة غير رسمية) فى ١٩ ربيع أول ١٢٨٣ .

(2) Douin; Hist. du Règne.. Vol. I. p. 352.

(٣) المصدر السابق .

القوات المصرية السابق ارسالها إلى الآستانة فى ٢٩ مايو سنة ١٨٦٦ الى كريت بعد أن طلب منه السلطان عبد العزيز معاونته فى إخماد ثورة الجزيرة ، على أن يتولى اسماعيل نقل القوات العثمانية الموجودة بكريت على نفقته الخاصة لتحل محل القوات المصرية المنسحبة من الآستانة . برر هذا الطلب « بأن العساكر المصرية قد تعودت على الجو الحار ويجب عدم تعريضها للأجواء الباردة الممطرة ولا إقامتها فى الخيام [1] » .

وقد أظهر اسماعيل إلى القبوكتخدا (ممثلة لدى البلاط العثمانى) عدم رضاه عن إرسال القوات المصرية الى وارنة وشمنى أو المملكتين (الأفلاق والبغدان) وأمره بأنه فى حالة ما إذا تعذر نقل الجنود المصرية الى كريت بحجة زيادتها عن الحاجة هناك فليبلغ أولى الأمر بالآستانة « بأنه يوجد بالآستانة كثير من الاوردي التركية الموجودة بها لمجرد الفخفخة ، فليرسلوا المقدار اللازم الى وارنة وشمنى والمملكتين (الأفلاق والبغدان) من هؤلاء الجنود ولتحل مكانهم فى الاستانة العساكر المصرية [2] » .

بل لقد طلب اسماعيل صراحة عدم إرسال جنود مصر إلى وارنة وشمنى والأفلاق والبغدان ليظل بمنأى عن ميدان السياسة الأوربية . ولا مانع من

---

(١) دفتر رقم ٢٤ عابدين وثيقة رقم ١٥ من الديوان الخديو الى القبوكتخدا فى ١٥ صفر ١٢٨٣ (يونيه ١٨٨٦) .

(٢) دفتر ٢٤ عابدين . وثيقة رقم ١٧ من الديوان الخديو الى القبوكتخدا فى ١٥ صفر ١٢٨٣ (يونيه ١٨٦٦) .

إرسال الجنود المصرية الى كريت ما دامت الحاجة تدعو اليهم [١] . كما أرسل أيضاً الى على غالب باشا قومندان الجنود المصرية بأن يرفض الذهاب بجنوده إلى وارنة وشمنى والأفلاق والبغدان ، وأن يقول للمسئولين الأتراك « بأن الأوامر القطعية الصادرة إلى من أفندينا تقضى على بألا أذهب بالجنود الى جهة طونة (أى نهر الطونة) وأن ألتزم الاقامة هنا [٢] » .

أى أن اسماعيل قد وطد العزم على سحب الجنود المصرية من الميدان الاوربى وحصر عملياته الحربية داخل نطاق الجزيرة حتى لا يتعرض لغضب حكومتى انجلترا وفرنسا عليه . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان اسماعيل لن يجنى شيئا من معاونته للسلطان فى الميدان الأوربى ولا من الزج بنفسه فى مشاكل البلقان ، إذ ليس من الممكن أن يتنازل الباب العالى لمصر عن جزء من تلك المنطقة نظير خدماتها للدولة العثمانية اذا ما فكر اسماعيل - وكانت له أطماع واسعة - فى طلب تلك المكافأة كما فعل محمد على من قبل عندما قام باخضاع ثورة المورة . كما كان اسماعيل - نتيجة لتوجيهات نوبار التى أشرنا اليها - قد خشى القيام بعمليات حربية فى تلك الجهات تكون من شأنها اقحام مصر فى معترك السياسة الأوربية ، وفى المسألة الشرقية على وجه الخصوص . تلك المسألة التى كانت تحرص الدول الأوربية بصفة عامة ، وانجلترا وفرنسا بصفة خاصة ، على عدم اثارتها مما قد يترتب عليه تدخل تلك الدول الأوربية لإبعاد القوات المصرية

---

(١) دفتر ٢٤ عابدين . وثيقة رقم ١٩ من الديوان الخديو الى كامل باشا فى ١٥ صفر ١٢٨٣ (يونيه ١٨٦٦) .

(٢) أمين سامى باشا . تقويم النيل (عصر اسماعيل) المجلد الثانى . الجزء الثالث ص ٦٥٢ إرادة لعلى غالب باشا فى غاية صفر ١٢٨٣ (يوليه ١٨٦٦) .

بالقوة كما حدث فى حرب المورة فى عهد محمد على .

هذا بالإضافة إلى أن اسماعيل قد حاول عن طريق مساعدته للباب العالى فى اخماد ثورة كريت ضم تلك الجزيرة الى مصر . وان فى التعليمات التى أصدرها إلى شاهين كنج (قائد القوات المصرية بكريت) والتى أشرنا اليها من قبل خير دليل على رغبة اسماعيل فى ضمها لحكمه عن طريق جذب قلوب سكان الجزيرة إليه بالمال والمعاملة الحسنة . وكان الأمل يراود اسماعيل لتحقيق هذا الحلم كما حدث فى عهد جده محمد على (من ١٨٣٢ إلى ١٨٤٠) ، حيث تمتع سكان الجزيرة بفترة من الهدوء والسكينة لم ينعموا بها من قبل .

غادرت القوات المصرية مدينة الاسكندرية فى ٢٢ يولية سنة ١٨٦٦ وعددها ٧٣٥٤ رجلا (١) بقيادة الفريق شاهين باشا متجهة إلى كريت وذلك بعد

---

(١) مجلة الجيش المصرى ، المجلد ٧ العدد ٢٧ (اكتوبر ١٩٤٤) كانت تلك القوات على النحو التالى :

القائد العام الفريق شاهين باشا

المجموع	عدد		
	١	اللواء اسماعيل صادق باشا	قائد
	٢٠	أركان حرب وتوابع اللواء	
٢١			
		٣ جى آلاى بيادة	
	١	اسماعيل كامل بك	أميرالاى
	١	خورشيد حسنى بك	قائمقام
	١١٦	أركان حرب وأقسام الآلاى	

=

تردد [1] من اسماعيل نتيجة للأثر السيء الذى أحدثه نبأ إعتزامه ارسال

المجموع	عدد	
	١٢٣٠	١جى أورطة: اسماعيل رسمى افندى بكباشى
	١٢٩٥	٢جى أورطة: سعيد ناصف « «
	١١٢٦	٣جى أورطة: عبد الله صالح « «
	٧٢٠	٤جى أورطة: مصطفى أفندى
٤٤٨٩		
		١١جى آلاى بيـاده
	١	خالد بك أميرالاى
	١	عثمان رفقى بك قائمـام
	٥٠	أركان حرب وأقسام الآلاى
	٧٢٦	١جى أورطة : سيد قنديل افندى بكباشى
	٧٢٣	٢جى أورطة : عبد الرزاق افندى بكباشى
	٧٤٣	٣جى أورطة : على صبرى افندى بكباشى
٢٢٤٤		
		أورطة طوبجيـة
	٦٠٠	٤بطاريات و٢٤ مدفعا: لطيف شحاته افندى
٦٠٠		
٧٣٥٤		

(1) Aff. Etrang. Corr. Polit. Autrey au Ministre. No. 38 Alex. 9 Juillet, 1863.

قواته الحربية لمساعدة الباب العالى لدى الحكومتين الانجليزية والفرنسية [١] .
وقد اتصل اللورد ليونز Lord Lyons سفير انجلترا بالصدر الاعظم عالى باشا وأبلغه وجهة نظر الحكومة الانجليزية فى الالتجاء الى القوة العسكرية لإخماد الثورة . وأبرز له النتائج الخطيرة المحتملة للتصادم بين المسلمين والمسيحيين . وناشده بأن يلتجىء الى مختلف السبل للوصول الى تسوية للمشكلة دون استخدام القوة [٢] .

وما أن علم قنصل اليونان الجنرال بمصر زيجومالاس Zygomelus بسفر الحملة حتى بادر إلى مقابلة اسماعيل (٢٤ يوليو سنة ١٨٦٦) لمعرفة الاسباب التى دعت الى إرسالها . فأبلغه اسماعيل بأنه لا يستطيع الامتناع عن مساعدة الباب العالى ولكنه - فى نفس الوقت - أصدر أوامره إلى قائد القوات المصرية فى كريت بضرورة احترام الكنائس وعدم التعرض للأهالى بسوء والوقوف - بكل عناية - على أسباب الثورة وعرضها على حكومة الجزيرة . [٣] ثم حاول القنصل استدراج إسماعيل للوقوف على سياسته إزاء مشكلة كريت فقال له « إن الدولة العليا تنفق على هذه الجزيرة مصاريف زائدة جدا مع أن إيرادها قليل . وحيث أن مسألة كريت أخذت تكتسب أهمية وخطورة زائدين من الناحية السياسية ، أفلا يكون من المناسب أن تمنحها الدولة (العثمانية) حريتها وتتركها وشأنها ؟ فما هو رأيكم

Douin, Hist. du Règne ... Vol. I. p. 353 (1)

F. O. 78 - 1911 Lord Lyons to Earl of Clarendon. (2)
No. 268 Constantinople, July 17, 1866.

Politis; Un projet d'Alliance . . p. 20. (3)

فى هذا ؟ »[1] فأجاب إسماعيل بقوله « إن إيرادات كريت قليلة ومصروفاتها كثيرة ، وأن الظروف الحاضرة تقضى على الدولة العلية بأن تحتفظ هناك بقوه حربية كبيرة وتضطرها الى تحمل نفقات زائدة الآن . وهذه المسألة ستكون بابا لفتح المسألة الشرقية التى تدور على الألسن فى هذين اليومين . ولايمكن للدولة العلية أن تقبل فتح هذا الباب . هذ هو رأيى . »[2]

وفى نهاية الحديث اتجه القنصل الى هدفه مباشرة فقال لاسماعيل « وصل الى علمى أن أهالى الجزيرة يرغبون فى الانضمام الى الادارة المصرية فاذا أجيبوا الى طلبهم وألحقوا بالادارة المصرية فلن يصبح هناك وجود لمسألة كريت أو لفتح باب المسألة الشرقية[3] » . فرد عليه اسماعيل بدهاء شديد محاولا إبعاد فكرة ضم الجزيرة الى مصر عن ذهن القنصل الجنرال اليونانى فقال « الواقع أن مصروفات الجزيرة المذكورة كثيرة وايراداتها قليلة ، وحالتها تتطلب الاحتفاظ بقوة عسكرية كبيرة بها ، وهذا يزيد فى مصروفاتها . أما ما ستتحمله مصر من هذه النفقات فمن الطبيعى أن يكون على قدر طاقتها وأن الدولة العثمانية سوف لا تكلفها بأكثر من طاقتها[4] » .

كما أبلغ الجنرال اوترى M. Outrey قنصل فرنسا بمصر اسماعيل بأنه قد

---

(١) دفتر ٢٤عابدين وثيقة ٨٨ رسالة خاصة من الجناب الخديو الى القبوكتخدا فى ٢٢ ربيع آخر ١٢٨٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

وقع فى خطأ جسيم بتدخله فى المشاكل السياسية الخارجية للامبراطورية العثمانية. وأن هذه التضحية بالأموال والأنفس من شأنها إضعاف مصر دون أن تستطيع تقوية الباب العالى (١) . وكان من سياسية فرنسا التى تسعى الى تحقيقها ، جعل مصر دولة قوية ومستقلة استقلالا ـ يكاد يكون تاما ـ عن الباب العالى ، لكى توازن بين نفوذها فى مصر والنفوذ الانجليزى المتزايد فى القسطنطينية .

وقبل أن نخوض فى تفاصيل المعارك الحربية التى دارت بين القوات العثمانية والمصرية من جهة وبين الثوار من جهة أخرى ، يجب أن نلم إلمامة سريعة بحالة الجزيرة من الناحيتين الطبيعية والسياسية لأهميتها الكبيرة فى تفهم الأحداث التى ستكون مسرحة لها .

ـزيرة كريت

يبلغ عدد سكان جزيرة كريت فى عام ١٨٦٦ حوالى ٣٤٤٫٠٠٠ نسمة منهم ١٠٨٫٠٠٠ مسلم والباقى من المسيحيين (٢) « وأن العداوة بين المسلمين والنصارى لا يمكن إنكارها ، وأن هـؤلاء السكان وخصوصاً المسلمين منهم يرغبون فى تبعيتهم لمصر (٣) . وإذا لم يوفق النصارى الى الاستقلال فانهم يفضلون مصر على سائر الدول (٤) » . وإن كان سبب الثورة هو رغبة نصارى الجزيرة فى

---

(1) Douin; Hist. du Règne ... Vol. I. p. 354

(٢) محفظة ٢٨١ عابدين الى المعية السنية فى ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٣ (اكتوبر ١٨٦٦) .

(٣) محفظة ٢٨١ عابدين من شاهين كنج قائد العساكر المصرية العام الى مهردار الخديو فى ١٩ ربيع أول ١٢٨٣ (أغسطس ١٨٦٦) .

(٤) المصدر السابق .

نيل الاستقلال [١] .

وينقسم المسيحيون الى فريقين : فريق محب للسلم وآخر ثائر يؤازره ويحرضه المتطوعون من الضباط اليونانيين [٢] والايطاليين وغيرهم . ولا يألوا الفريق المحب للسلم جهدا فى مساعدة الفريق الثائر المعتصم بالجبال مساعدة فعالة، وذلك بامداده بالمؤن والذخائر والعتاد التى تصل إلى الجزيرة سراً من بلاد اليونان على المراكب اليونانية . كما أن كلا الفريقين قد أقسم على عدم الولاء للسلمين [٣] . ويبلغ القادرون على حمل السلاح من المسيحيين حوالى الأربعين ألفا ، ويمكن زيادتهم الى الستين ألف .

أما من ناحية طبيعية أرض الجزيرة فهى وعرة المسالك لكثرة ما بها من الجبال والوهاد ، حتى أن هناك بعض المناطق التى لا يمكن السير فيها إلا الواحد خلف الآخر . وإن من أصعب الأمور فى حالة نشوب الثورات نقل الجيوش المنظمة بمعداتها وأثقالها من مكان إلى آخر ما لم تتخذ الترتيبات اللازمة للسيطرة على قمم الجبال المشرفة على الممرات والمضايق التى سيسلكها الجيش [٤] .

كما أن الثوار لا يحاولون فى حروبهم مقابلة الجنود النظامية وجهاً لوجه ،

---

(١) المصدر السابق .

(2) Politis, Un projet d' Alliance entre L'Egypte et la Grèce en 1867. p 37

(٣) محفظة ٢٨١ عابدين . من اسماعيل سليم الى الجناب العالى فى ٢٤ محرم ١٢٨٤ (يونيه ١٨٦٧) .

(٤) محفظة ٢٨١ عابدين إلى المعية السنية فى ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٣ .

بل أنهم يلجأون الى التحصن خلف المتاريس فى أماكن صعبة المرتقى ، ويقف خلف كل متراس منها جماعة مكونة من ٥٠ إلى ٦٠ نفراً يترقبون وصول العدو، حتى إذا مامر أمامهم آخر جندى من جنوده قاموا باطلاق الرصاص عليهم من المؤخرة . وكلما شنت الجنود النظامية عليهم الهجوم أخـذوا يتفرقون خلف الصخور ثم لا يلبثون أن يعيدوا الكرة مرة ثانية (١) .

وبالرغم من محاصرة القوة البحرية العثمانية لسواحل الجزيرة بتسع قطع حربية - فى أول الأمر - لمنع وصول الأسلحة والمحرضين والمتطوعين اليها ، فقد استطاع الثوار الحصول على مختلف أنواع الأسلحة والذخائر من بلاد المورة وسائر الجزر اليونانية ، نتيجة لاهمال رجال البحرية العثمانية . كما وصل إلى الجزيرة من اليونانيين بالتدريج ما يقرب من تسعة آلاف رجل ممن يتقنون فن الحرب والقتال (٢) .

ومما ذكرنا نجد أنه مما شجع على نمو الثورة فى الجزيرة طبيعة أرضها ، وقلة عدد الجنود بها ، وبغض سكانها للحكم العثمانى ، وتشجيع اليونانيين والايطاليين لها ، وعطف قناصل الدول الاوربية على الثوار ، وكراهيتهم للدولة العثمانية (٣) .

ويمكن تقسيم سياسة اسماعيل إزاء مسألة كريت الى فترتين :

الفترة الأولى : وتبدأ من نزول القوات المصرية إلى أرض الجزيرة ،

---

(١) المصدر السابق .

(٢) محفظة ٢٨١ عابدين الى المعية السنية فى ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٣ .

(٣) محفظة ٢٨١ عابدين من شاهين كنج الى مهردار الخديو فى ٢٨ أغسطس ١٨٦٦ (١٦ ربيع ثانى ١٢٨٣) .

وتتضمن ما قام به اسماعيل من محاولات عديدة فى مختلف الميادين لضم كريت إلى حكم مصر .

الفترة الثانية : وتبدأ بعد انتصار القوات المصرية على الثوار والانتقام لشرفها العسكرى فى موقعة أبى قرون الثانية . وعندما تبين لاسماعيل استحالة تحقيق مشروع ضم الجزيرة ، ونظراً للموقف السلبي الذى وقفته فرنسا التى كان يأمل فى الاعتماد على مساعدتها فى تنفيذ هذا المشروع ، فقد عمل جاهداً على سحب جيوشه من الجزيرة والتخلص من تلك المشكلة التى أثقلت كاهل مصر وخسرت بسببها الكثير من الأموال والأنفس .

الفصل الثانى

سياسة اسماعيل إزاء مسالة كريت

الفترة الأولى

أرسل اسماعيل ، شاهين كنج على رأس حملة إلى كريت (٢٥يوليوسنة١٨٦٦) يحمل توجيهات من والى مصر اسماعيل بالعمل على اجتذاب قلوب الأهـــالى بالجزيرة نحو مصر بمختلف الطرق . فما أن استقر بالجزيرة حتى أخذ يطوف على قناصل الدول الأوربية ويزور الأهـالى والوجهـاء من المسلمين والمسيحيين والعلماء والقساوسة والمساجد والكنائس والمستشفيـات وفقراء اليهود ، وأخذ يتصدق على الفقراء من كل دين وذلك لإيجاد علاقة طيبة مع سكان الجزيرة (١). ورد له الزيارة فى معسكره قناصل الدول ووجهاء القوم وأعيانهم (٢) .

وربمـا كانت هذه السيـاسة السليمة التى سار عليهـا شاهين كنج تتفق مع مقتضيـات الأحوال والظروف السائدة فى الجزيرة فى ذلك الوقت . إذ « لم

---

(1) Aff Etrang. Corr. Polit. No. 44 Autrey au Ministre des Aff. Etrang. Alex. 27 Aout, 1866.

(٢) محفظة ٢٨١عابدين من شاهين كنج إلى مهردار الخديوى فى١٩ربيع أول سنة ١٢٨٣ (أغسطس ١٨٦٦)

تكن القوات الموجودة بالجزيرة من مصرية وتركية تكفي لتأديب الثوار وإخضاعهم(١) ».

ومما يدل على رغبة اسماعيل فى ضم كريت إلى حكم مصر اهتمامه البالغ بشئون الجزيرة ، فأرسل إلى شاهين كنج (قائد القوات المصرية بالجزيرة) بمذكرة سرية دون فيها بعض الأسئلة الهامة التى جالت بخاطره والتى يحاول أن يجد لها جوابا مرضياً ، ليكيف سياسته المستقبلة على ضوء تلك المعلومات فطلب منه أن يكتب له بالتفصيل عن نشأة تلك المشكلة ، وعن الأسباب التى دفعت سكان الجزيرة إلى مناصبة الحكومة التركية العداء . وكذلك عن الآراء التى تجول بخاطر الثوار ، وعن مآربهم ، وعن المعاملة التى سبق للحكومة العثمانية أن عاملت بها أهل كريت من مسلمين ومسيحيين ، ومن موالين ومخالفين ، وعن معاملتهم الآن وكذلك إفادته عن التدابير التى ترى الدولة العثمانية إتخاذها إزاء تلك المشكلة . ويطلب منه التحقق من وجود تدخل أجنبى فى تلك الثورة . وهل هى ثورة دينية؟ وما هدفها ؟ وهل هناك عداوة بين المسلمين والمسيحيين تدعو لهذا الصراع ؟ وما هو رأى سكان الجزيرة من مسلمين ومسيحيين فى حكومة مصر وخصوصا رأى المخالفين منهم ؟ (٢).

أى أن اسماعيل لم يرسل شاهين كنج على رأس القوات المصرية إلى جزيرة كريت للقيام بالعمليات الحربية اللازمة لاخماد الثورة فى حدود سلطته كرجل

(١) محفظة ٢٨١ عابدين من الجناب العالى إلى شاهين كنج (مذكرة غير رسمية فى ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٨٣ (٢٨ يوليو ١٨٦٦) .
(٢) المصدر السابق .

من رجال الحرب فحسب ، بل إن مهمته فى الجزيرة كانت مهمة سياسية أكثر منها عسكرية .

وإذا ألقينا نظرة على المذكرة[1] (غير الرسمية) التى أرسلها اسماعيل إلى قائد الحملة المصرية بكريت أدركنا السياسة التى اختطها اسماعيل لنفسه تجاه تلك المسألة، والتى تعبر عن وجهة نظره فى الفترة الاولى منها فيقول « إن مما هو غير خاف عليكم أنه مهما تكن سياستنا مجارية للسياسة العثمانية فى خطتها فان موقع بلادنا يوجب علينا أن تكون سياستنا موافقة لما تقتضيه ظروف الأحوال والأوقات، وبما أننا واثقون من حسن إدارتكم وكمال درايتكم .. لم نر حاجة إلى بعث تعليمات مخصوصة من هذه الجهة ، وانما نبين لكم ما يجول بخاطرنا من الأمور التى يلزم أن تنظر بعين التدقيق وانعام الفكر . وذلك على سبيل التذكير.

« ان هؤلاء الاستانبوليين غريبو المشارب وعجيبو الأطوار . ومن أجل ذلك لا يبعد عنهم أنهم حين يدخلون فى الحرب مع مخالفيهم ، وتشتد الحالة بينهم فيقع فى أيديهم أسرى من موظفين وعسكر ووجوه بلدة وقساوسة وغير ذلك أن ينكلوا بهم ، ويفظعوا من قتل وضرب وتعذيب وصلب ، بتهمة أنهم من نصارى المحاربين المخالفين لهم ، ويحسبون بزعمهم الفاسد أنهم يحسنون بذلك صنعاً، كما لايبعد أن يكلفوكم باجراء تلك الفظائع .

« فإذا كلفوكم بشيء من ذلكم فادفعوا تكليفهم بالتى هى أحسن ، كأن تقولوا لهم إن عملنا نحن المكلفين به هو أن نسوق ما يقتضى سوقه من العساكر

---

(١) محفظة ٢٨١ عابدين من الجناب العالى إلى شاهين كنج (مذكرة غيررسمية) فى ١٥ ربيع أول سنة ١٢٨٣ (٢٨ يوليو ١٨٦٦).

لساحة القتال حين الحاجة . وإبداء التأسف باسم الانسانية على ما يقع من القتلى من كلا الطرفين أثناء الحرب . وأما أن نقتل الأسرى أو نعدمهم أو ننكل بهم فهذا شيء آخر ليس من عملنا . ويجوز ألا يكلفوكم لأول وهلة ، بل يعمدون إلى أخذ رأيكم فيه أولا . وحينئذ تردون ذلك التكليف وتتجنبونه قائلين : إن تدخلنا بهذا وإبداء الرأى فيه خروج عن حدود وظيفتنا ودعوهم حينئذ وما يعملون، وإياكم وموافقتهم أو الاشتراك معهم فيه.

«كذلك يجب عليكم أن تنتبهوا لكى لا تقع أحوال مغايرة للانسانية من عساكرنا ، كأن تقع بأيديهم أسرى من المحاربين فتستفزهم الحمية الخرقاء لأن ينتقموا منهم وينكلوا بهم أو يسبوا ما هو مقدس فى دينهم ومحترم فى تقاليدهم » .

وصلت القوات المصرية إلى خانية عاصمة كريت فى ٢٥ يوليو سنة ١٨٦٦ واتخذت لها مكانا على أبواب المدينة وعلى مقربة من القوات التركية . وقد حاول الجانب التركى وعلى رأسه محافظ الجزيرة توحيد قيادة الجنود التركية والمصرية، ولكن رفض شاهين قائد القوات المصرية بالجزيرة هذه المحاولة - تنفيذا لسياسة اسماعيل - محتجا بأنه سيكون من نتيجة ذلك التوحيد اضطراب الادارة العسكرية، نظراً لعدم إلمام الجنود المصريين باللغة التركية . وكذلك الحال بالنسبة للعساكر التركية فانهم لا يفهمون العربية(١) ، وبذلك فشل الاقتراح بصفة مؤقتة ، وأن كانت الحكومة التركية حريصة على إدماج القوتين المصرية والتركية حتى لا تنفرد

---

(١) محفظة ٢٨١ عابدين من شاهين كنج قائد العساكر المصرية العام إلى مهر دار الخديو فى ١٩ ربيع أول سنة ١٢٨٣ (أغسطس ١٨٦٦) .

القوات المصرية بموقف معين يضر بمصالحها فى الجزيرة .

وفى أول أغسطس سنة ١٨٦٦ سافر الفريق شاهين على رأس أربع أورط ويصحبه المشير التركى اسماعيل محافظ كريت إلى اقليم أبى قرون ، وهو من أقوى المعاقل بالجزيرة ، حيث يعتصم الثوار به . كما تلقى الفريق التركى عثمان أمراً بالتوجه إلى اقليم ريتمو Retimo ثم مالبث أن عاد محافظ كريت إلى خانية تاركا القوات المصرية وحدها فى مركز أبى قرون بعد أن وضع ثلاث أورط فى وريسيس Vrises تحت قيادة اللواء اسماعيل صادق ، وهى منطقة غير صحية عرضت عدداً كبيراً من الجنود للمرض ورفض محافظ الجزيرة - رغم الحاح شاهين قائد القوات المصرية - نقل الجنود المصرية إلى جهة أخرى ، ولم يصرح إلا للمرضى منهم فقط .

وقد وصلت القوات المصرية إلى هذه المراكز دون أن يعترضها أحد من الثوار ، وذلك نتيجة لسياسة اللين التى سار عليها قائدها شاهين منذ قدومه إلى الجزيرة . ولكن ماكان لهذه السياسة أن تدوم فترة طويلة ، إذ ما أن وطئت أقدام القوات المصرية أرض الجزيرة ، حتى أعلن السلطان العثمانى رفضه (١) المطالب التى تقدم بها سكان الجزيرة (أول أغسطس ١٨٦٦).

هذا من جهة ومن جهة أخرى فان المعاملة الطيبة التى كان الجانب المصرى يعامل بها أهل كريت كانت تقابل من الجانب التركى بمعاملة سيئة وبأعمال السلب والنهب (٢) . ولهذا أدرك القائد المصرى شاهين أن من العسير عليه الاحتفاظ

---

(1) Douin. Hist du Règne ... Vol. p. 357

(2) Aff Etrang. Corr. Polit. No. 44 Outrey au Ministre des Aff. Etrang. Alex. 27 Aout, 1866.

بموقفه السلمى فترة طويلة . وكان يأمل أن يستمر الموقف على ما هو عليه مدة شهر أو شهرين إلى أن يدركه الشتاء ، حيث يخلد الثوار فيه إلى الهدوء والسكينة ، وذلك لنفاد ما لديهم من المؤن والذخائر ؛ ولصعوبة الاعتصام فوق قمم الجبال فى ذلك الوقت من السنة [١] .

ويبدو واضحا من السياسة التى حاول الخديو اسماعيل اتباعها فى كريت إنه كان يرمى إلى ضم الجزيرة لحكم مصر بالطرق الودية ودون الالتجاء إلى استخدام القوة . وقد صرح لقنصل فرنسا الجنرال بمصر أوترى Outrey بأنه يرى أن تحل مشكلة كريت بالتوفيق بين الطرفين ، وهذا أفضل من استعمال العنف . وفى نفس تلك المحادثة أوضح اسماعيل للقنصل الجنرال الفرنسى بأن ليست له أية رغبة فى ضم الجزيرة اليه [٢] . ولكن القنصل الفرنسى كان يشك كثيرا فى صحة هذا الزعم ، ويتبين ذلك من انتهاج الجيش المصرى سياسة مغايرة لتلك التى يتبعها الجيش العثمانى ، إلى الحد الذى كان يذهب فيه أهالى الجزيرة إلى قائد القوات المصرية شاكين من سوء معاملة الجنود الأتراك لهم [٣] . بل لقد تمادى شاهين إلى أبعد من ذلك . إذا اتصل بزعماء الثوار ونفاوض معهم فى تبعيتهم لوالى مصر

---

(١) المصدر السابق.

(2) Aff. Etrang. Corr. Polit. No. 45 Outrey au Ministre des Aff. Etrang. Alex. 8 Sept, 1866.

(٣) محفظة ٢٨١ عابدين . تقرير من شاهين كنج بكريت إلى مهردار الخديو فى ٢٩ ربيع أول سنة ١٢٨٣ (أغسطس ١٨٦٦).

على أن يقوم بحمايتهم من والى الجزيرة ومن السلطان العثمانى (١).

ولم تكن تلك السياسة التى اتبعها اسماعيل بخصوص الجزيرة لتخفى على القنصل الفرنسى الجنرال (أوترى) . فقد أوضح لحكومته بأن هذا الموقف من قبل الجيش المصرى لايساعد - بطبيعته - الحكومة العثمانية على الوصول إلى الحل الذى تنشده لمشكلة كريت(٢) .

وقد طلب اسماعيل من القنصل الجنرال الفرنسى معرفة وجهة نظر الحكومة الفرنسية فيما يتعلق بتلك المشكلة. وأبدى استعداده التام لاتباع وجهة النظر هذه. ولكن القنصل الفرنسى كان حذرا ، فاعتذر بلباقة بأن ليست لديه أية معلومات من حكومته بخصوص هذا الموضوع(٣).

ونجد أن الثوار الكريتيين سيدركون الاختلاف فى وجهتى النظر بين كل من الجيش المصرى والعثمانى ، وسيحاولون الافادة من هذا الموقف لصالحهم . فيحاصرون القوات المصرية فى اقليم أبى قرون ، ويأخذونها على غرة وينزلون بها الخسائر ، فى نفس الوقت الذى كان فيه قائد القوات المصرية يعتقد عن جهل وقصر نظر فيما ادعــــوه الثوار بأنهم لن يطلقوا الرصاص على العساكر المصرية (٤) ..

---

(١) المصدر السابق .

(2) Aff. Etrang. Corr. Polit. No. 45 Outrey au Ministre de Aff. Etrang. Alex 8 Sept. 1866

(٣) المصدر السابق .

(٤) محفظة ٢٨١ عابدين من شاهين كنج قائد العساكر المصرية العام بكريت الى مهردار الخديو فى ٢٩ ربيع أول ٢٨٣، (أغسطس ١٨٦٦) .

وفى ذلك الوقت (أغسطس ١٨٦٦) يأخذ اسماعيل التمهيد لدى الباب العالى لضم الجزيرة إلى مصر ، مستعينا بالدهاء تارة وبالخداع تارة أخرى . فيرسل إلى الباب العالى بتقرير [1] مغرض عن شئون الجزيرة يزعم بأنه تقرير دقيق يستند إلى تحريات واسعة ودقيقة عن الأحوال السائدة فى كريت . ويستهله ببيان أسباب الثورة ، ويذكر بأنها لم تقم لتعصب دينى ، وانما السبب الحقيقى لقيامها هو سوء معاملة الموظفين والجنود العثمانيين للسكان ، ويبرهن على ذلك بالمعاملة الحسنة التى يلاقيها الجنود المصريون من سكان الجزيرة أينما ذهبوا . وكذلك ترجع إلى قلة عدد الحامية العثمانية بالجزيرة ، وعدم كفايتها العسكرية ، وسوء تموينها لقلة الأموال المخصصة لها بعكس الحال بالنسبة للقوات المصرية الموجودة معها فى الجزيرة .

ويسترسل فى تقريره إلى الحديث عن تعيين صاحب الدولة مصطفى نائلى كمندوب فوق العادة من قبل الباب العالى ومفوض لحل مشكلة كريت. ويعترض على هذا الاختيار غير الموفق لرجل كمصطفى نائلى، لأنه كما يقول اسماعيل كان أحد الولاة السابقين للجزيرة الذين عرفوا بسوء الإدارة .

ثم يتطرق إسماعيل بدهاء إلى نقطة هامة ، فيقول بأن من الخطأ أن تعتقد الدولة العثمانية أن ثورة سكان كريت « ترجع إلى رغبتهم فى الخروج من التبعية العثمانية والالتحاق بحكومة اليونان ، ولكن الواقع غير ذلك [2] » .

---

(١) دفتر ٢٤ عابدين . وثيقة رقم ٨٨ من الجناب العالى الى القبوكتخدا (كامل بك) فى ٢٥ ربيع آخر ١٢٨٣ .

(٢) دفتر ٢٤ عابدين . وثيقة رقم ٨٨ من الجناب الخديو الى القبوكتخدا (كامل بك) فى ١٥ ربيع آخر ١٢٨٣ (أغسطس ١٨٦٦).

ويدلل على هذا القول ما صرح به زعماء الثوار لقائد القوات المصرية شاهين عن رغبتهم فى البقاء تحت السيادة العثمانية ، ولكن سوء معاملة الموظفين جعلتهم « يتقدمون بالتماس إلى العتبات السلطانية يرجون فيه وضع الجزيرة تحت الادارة المصرية [١] » ولكن شاهين لم يشأ أن يتدخل فى هذا الموضوع .

ثم يحاول اسماعيل أن يموه على الباب العالى فيذكر بأن « ليس مقصده من ذكر هذه الحادثة هو الرغبة فى إحالة الجزيرة إلى الادارة المصرية [٢] ، لأن هذا ليس فى نيته لما يتطلبه من بقاء قواته بجهات مناستير وبالجزيرة وعددها أربعة آلايات بصفة دائمة مما تنوء عن حمله الخزانة المصرية . وأوضح بأنه إذا مانظرنا إلى مجموع الإيرادات السنوية بالجزيرة نجد أنها لاتتجاوز ٢٦ ألف كيس، منها ٦ آلاف تقريبا إيرادات غير ثابتة ، مع أن المصروفات السنوية للادارة العسكرية فقط تبلغ ٤٦ ألف كيس . وتحتاج الإدارة المدنية على حسب الأصول الآدارية المصرية إلى ٣٠ ألف كيس فستضطر إذاً الحكومة المصرية أن تنفق سنويا على الجزيرة ٤٠ ألف كيس أو أكثر زيادة على إيراداتها ، ولا أمل فى الاستفادة منها إلا المتاعب والمشاكل الكثيرة . وما دام الأمر كذلك فإن السعى لأخذها لايقبله أى عقل ولايجيزه ألوا الألباب [٣] . فما يقصده إذاً هو عودة الجنود المصرية قبل أن يجىء فصل الشتاء بعد أن تحل المشكلة حلا موفقاً.

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .

وإذا أمعنا النظر فى هذا التقرير نجد أن اسماعيل قد حاول فى مستهله أن يبعد عن ذهن الباب العالى أن الثورة ترجع إلى التعصب الدينى لأن هذا الاعتقاد لايخدم غرض فى ضم الجزيرة . فإذا كان سكان الجزيرة يأبون الخضوع لسيادة السلطان العثمانى المسلم ، فانهم يأبون الإنضمام إلى إدارة والى مصر المسلم أيضا .

أما عن تعرضه للقوات العثمانية ، فقد كان اسماعيل يعلم أن عددها بالجزيرة يزيد عن عدد مثيلاتها . بالإضافة إلى حسن تموينها ومعاملتها الطيبة للأهالى . وكان هذا الأمر لايخفى على المسئولين فى الحكومة العثمانية .

أما عن اعتراضه على تعيين مصطفى نائلى مندوبا فوق العادة لحل مشكلة الجزيرة ، فكان ذلك لنشاط مصطفى ولخبرته الطويلة بشئون الجزيرة ، ولوقوفه على نوايا إسماعيل فى ضم الجزيرة ، ومحاولته أحباط تلك السياسة التى اتخذها إسماعيل لتحقيق هذا الهدف ، كما سيتضح لنا فيما بعد .

كما انه قد عرض فكرة ضم الجزيرة لحكم مصر بطريقة ملتوية ، وذلك بأن أتى بها على لسان زعماء الثوار ، وأظهر إعراضه عنها لما تستلزمه إدارة الجزيره ، من تضحيات ماديه لاتستطيع الخزانة المصرية تحملها . وكان إسماعيل غير صادق فى دعواه هذه ، إذ فى الوقت الذى أرسل فيه بتقريره المشار اليه إلى الباب العالى ، أرسل بتقرير آخر مضاد إلى حسن راسم (ناظر الخاصة الخديوية الموجود باستامبول[1]) يطلعه على مضمون التقرير الأول الذى أرسل للباب العالى ، ويلفت نظره الى أن ماجاء به من أن مصر لا ترغب فى ضم الجزيرة اليها لما ستسببه من أعباء مالية ، إنما

---

(١) دفتر ٢٤ عابدين وثيقة رقم ٩١ أمر من الجناب الخديو الى حسن راسم فى ٢٥ ربيع آخر ١٢٨٣ (سبتمبر ١٨٦٦) .

قصد به التعمية لأنه لو أظهر هذه الرغبة لرجال البلاط العثمانى كما يقول، «لدفعهم الطمع إلى ابتزاز نقودنا عنها ، لذلك كتبنا رسميا مظهرين عدم رغبتنا فيها [١]» .
فكان هدف إسماعيل إذاً ضم الجزيره دون أن يتكبد الكثير من الأموال أو التضحية بالكثير من الرجال . وعلى هـــذا الأساس حاول إسماعيل السير فى سياسته .

وفى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٦٦ وصل إلى خانية القائدان التركيان على باشا ومحمد باشا ، كما أرسل الباب العالى إلى كريت مصطفى الكريتلى الذى أشرنا اليه من قبل كمندوب فوق العادة ومزود بسلطات وصلاحيات واسعة لإقـــرار الأوضاع فى الجزيرة . وكذلك صدرت الأوامر إلى القوات المصرية بالروملى بالانضمام الى القوات المصرية بكريت . وازاء هذا الموقف وجد الثوار أن الدولة العثمانية تحاول تضييق الحصار عليهم واخضاعهم بالقوة ، فاجتمعوا فى اسفاكيا Sfakia فى ٢ سبتمبر سنة ١٨٦٦ فى مساء يوم وصول المندوب العثمانى فوق العادة، وقرروا الخروج عن طاعة السلطان واعلان انضمام الجزيرة مع ملحقاتها بصفة نهائية الى اليونان [٢] . ورأوا أن يعززوا هذا القرار بالانقضاض عـــلى القوات المصرية القريبة منهم فى ٥ سبتمبر سنة ١٨٦٦ ، وكان عدد هؤلاء الثوار يقرب من ١٥,٠٠٠ ثائر [٣] . فوجهوا ضرباتهم الى الأورط الثلاث التى تحت

---

(١) المصدر السابق .

(2) Aff. Etrang. Corr. Polit. teleg. Bonnières au Ministre. Constinople 17 Sept., 1866.

(3) Aff. Etrang. Corr. Polit. teleg. Annex. à la dépèche Outrey au Ministre 27 Sept., 1866

قيادة اللواء إسماعيل صادق وحاصروها حصارا شديدا بعد أن احتلوا موارد المياه ، واستمر إطلاق النار من الجانبين طوال يومى ٥ و ٦ حتى تمزقت أكثر الخيام قطعا . وعندما علم شاهين بدقة الموقف أرسل إلى إسماعيل باشا والى مصر فى ١٠ سبتمبر سنة ١٨٦٦ رسالة (١) يقول فيها « إن الثلاث أورط الموجودة بأبى قرون، وكذلك الثلاث أورط الأخرى الموجودة معى الآن فى فستلق محصورة فى حالة حرجة للغاية ، وبإرسال الآيين جديدين قد نستطيع أن نتجنب الكارثة أما إذا تأخر وصولها فلن يستطيع ضابط أو جندى أن ينجو منها » .

وفى نفس الوقت طلب شاهين من مصطفى الكريتلى الإسراع فى نجدته . ولم يكتف الثوار بذلك بل هاجموا الدفعة الثانية من الجنود المرضى العائدين من وريسيس Vrisés فقتلوا منهم ١٥ وجرحوا ٢٢ ، كما قتلوا من حراسهم ٣٧ جنديا وجرحوا ١١ . وقد احتج شاهين علـــى هذا العمل الوحشى لدى قنصل روسيا الجنرال بخانية (٢) .

وما أن وصلت رسالة شاهين باشا إلى إسماعيل فى ١٢ سبتمبر سنة ١٨٦٦ حتى أرسل فى نفس اليوم ألفى جندى على الباخرة المحروسة لانزالهم فى كريت، ثم التوجه إلى سالونيك لاستحضار القوات المصرية بالروملى، وإنزلهم بالجزيرة أيضا بالرغم من معارضة الباب العالى (٣) وفى مساء اليوم التالى غادرت الاسكندرية باخرتان

(1) Aff. Strang. Corr. Polit Le Consul de France au Minietre Annex. à la dépèche No. 47 Alex. 10 Sept. 1866

(2) Bouin; Hist. du Règne ... vol. I P. 362

(3) Aff. .Etrang. Corr. Polit. telg. chif. Consul au France au Ministre Alex. 13 Sept. 1866

تحملان ٤٠٠٠ رجل تحت قيادة ناظر الحربية الفريق إسماعيل سليم باشا . أى أن مصر إستطاعت فى ظرف ٤٨ ساعة أن تجهز ٦٠٠٠ جندى[1] ، وما يكفيهم من المؤن والذخائر لمدة شهرين

وقد أرسل نوبار من باريس[2] (٢٨ سبتمبر ١٨٦٦) إلى سردار الخديو مهنئا والى مصر إسماعيل على السرعة التى أرسل بها الامدادات إلى كريت ، وينصحه بأن يعمل بكل الطرق للخروج من هذه المشكلة السيئة مرفوع الرأس وأنه لا يرى إلا حلا واحدا لهذه المشكلة وهو الضغط على الباب العالى لحمله على منح كريت نوعا من الحكم الذاتى تحت السيادة العثمانية مثل جزيرة ساموس ولبنان. أما إذا ضمت كريت إلى مصر فإنه يرى فى هذا العمل خسارة لمصر وسيرغمها على الدخول ـ رغم إرادتها ـ فى المشاكل الاوربية .

وقد زود والى مصر ناظر حربيته بتعليماته الجديدة وكلفه بفك حصار القوات المصرية ، على ألا يتعقب الثوار أو يأتى بأعمال تتنافى مع سياسته التى رسمها لضم الجزيرة (٣) . وفى نفس الوقت فقد بعث والى ناظر خارجيته لابلاغ تطورات الموقف إلى قنصلى انجلترا وفرنسا الجنرالين . فنقل ناظر الخارجية المصرية لقنصل فرنسا الجنرال بمصر رغبة الوالى فى الحصول على معونة فرنسا

---

(1) Affaires Etrang. Corr. Polit La Valette â Moustiéres Paris 14 Sept. 1866

(2) Dossier pe 1866. Lettre de Nubar, de Paris en du 28 Sept. 1866

(3) Aff. Etrang. Corr. Polit. Annex III de la dépèche du 27 Sept 1866 .

سواء فى الاحتفاظ بمركزه فى الجزيرة أو بالخروج منها بطريقة مشرفة [١] . ولكن قنصل فرنسا الجنرال تهرب من إبداء رأيه فى هذا الاقتراح بحجة عدم وقوفة على وجهة نظر حكومته بالتحديد [٢] .

حاول شاهين إنقاذ اللـــواء اسماعيل صادق عندما تأخر وصول النجدة التركية ، فخرج على رأس طابورين وتوجه نحو فستلقى وعندما وصل اليها أرسل أحد الطابورين إلى جهة وريسيس Vrisés تحت أمرة القائمقام عثمان رفقى . وأما الطابور الثانى فأمره بالصعود إلى أعلى قمم الجبال المحيطة بهذا المكان وذلك لحماية الطابور الاول عند مروره بأسفل الجبل . كما أنه أمر طابورا آخر تحت قيادة القائمقـــام خورشيد بالبقاء فى استحكامات فستقلى. ولما وصل الطابور المرسل لاستحضار المرضى الموجودين فى وريسيس ويبلغ عددهم ٣٠٠ مريض إلى مضيق قريب من المكان تعرض لهم الثوار بوابل من الرصاص ، ولكنهم رغم ذلك استطاعوا السير بالمرضى بين طلقات البنادق المنهمرة من الجانبين إلى أن وصلوا إلى قرية فستقلى فى حالة سيئة للغاية [٣] .

ولما علم الجنود المحاصرون بأن الثوار سيقطعون عليهم طريق المياه والتموين،

---

(1) Aff. Etrang. Corr. Polit. teleg. Chif. Le Consul de France an Ministre. Alex. 13 Sept, 1866

Aff. Etrang. Corr. Polit. Outrey au Ministre. Le Caire 17 Sept., 1866.

(٢) المرجع السابق

(٣) محفظة ٢٨١ عابدين من اسماعيل سليم ناظر الجهادية إلى الجناب العالى فى جمادى الأولى ١٢٨٣ (سبتمبر ١٨٦٦)

قرروا الانتقال إلى فالويزة . واتفق أن وصل فى تلك الليلة (٢ سبتمبر ١٨٦٦) إلى الجزيرة مصطفى نائلى المندوب العثمانى فوق العادة ، فما أن علم بأنباء الحصار حتى أرسل أحد رجاله إلى فالويزة للوقوف على حقيقة الأمر . وفى اليوم التالى أرسل لنجدتهم قوة من خانية وقنديه وريتمو . وبينما كان مصطفى يستعد لفك الحصار وصل إليه اللواء اسماعيل صادق مع جنوده المحصورين بعد أن استطاع الخروج من مأزقه ، وذلك بعد حصار دام أكثر من سبعة أيام ، ولم يكن لديهم من المؤن إلا ما يكفى ليومين فقط منذ بدأ الحصار [١] . ولم تذق هذه القوة طعم الراحة أو النوم طوال مدة الحصار ، كما لم ينقطع اطلاق الرصاص عليها آناء الليل وأطراف النهار .

كيف تمكنت القوات المحاصرة من الخروج ؟

لما وجد هؤلاء الجنود أن العدو قد حال بينهم وبين الماء ، وأن استمرارهم على هذا الوضع سيؤدى بهم إلى التهلكة ، فضل اللواء اسماعيل صادق الخروج فجأة بقواته من وريسيس والالتحام مع العدو . وقام بهذه المغامرة ودار بين الطرفين قتال عنيف ذهب ضحيته الكثير من الأنفس من الجانبين ، ولكنه لم ينجح فى الخروج من مأزقه [٢] . وفى أعقاب تلك المعركة وصل إلى اللواء اسماعيل مندوب من قبل الثوار ينذره بإجلاء الموقع ويمهله ساعة واحدة للرد عليه . فأبلغه اللواء اسماعيل بأنه قد تلقى أمراً بالرحيل ، وأنه فى إنتظار الدواب اللازمة لحمل الأمتعة والخيام . ثم عقد اللواء مجلسا عسكريا ضم جميع الضباط من

---

(1) Aff. Etrang. Corr. Polit. Annex à la depèche d'Alex. du 27 Sept. 1866.

(٢) المصدر السابق

رتبة الأميرالاى حتى رتبة الصول للتشاور فيما وجه اليهم من إنذار . وبعد استعراض الموقف من جميع نواحيه ومراعاة حاجتهم إلى المؤن والذخائر ، وافتقارهم إلى وسائل النقل . بالإضافة إلى انقطاع المواصلات بينهم وبين قيادة الجيش قرر المجلس الاستمرار فى المقاومة ثلاثة أيام أخرى عسى أن تصل فى خلالها الإمدادات والمؤن المطلوبة . وإذا ما تعذر وصول النجدة بعد إنقضاء تلك الفترة ، فسيقومون بحرق أمتعتهم والخروج فجأة من مكانهم وشق طريقهم بالقوة للوصول إلى خانية .

واستمر بعد ذلك اطلاق النار من الجانبين ، وضيق الثوار الخناق عليهم حتى أصبحوا على بعد عشر خطوات من تحصيناتهم [1] . وبعد أن انقضت الأيام الثلاثة المحددة ، أضرم الجنود النار فى خيامهم فامتدت ألسنة اللهب إلى أشجار الزيتون الكثيرة المنتشرة فى هذا المكان فسببت أضراراً جسيمة . واستعد الجنود لملاقاة العدو ، وبينما هم على هذه الحال وصل مندوب من قبل زعيم الثوار يطلب الدخول معهم فى مفاوضات للجلاء عن هذا الموقع حقنا للدماء ، وذلك بعد أن أريقت دماء غزيرة من الجانبين دون أن يصل الطرفان إلى نتيجة حاسمة . هذا بالإضافة إلى ما قاسته أسر الثوار من الجوع والنصب فوق قمم الجبال المعتصمين بها [2] .

واتفق الطرفان على أن ترحل القوات المصرية عن الموقع بكامل معداتها ، وأن تترك الأمتعة فى حراسة الثوار حيث لا توجد لديهم دواب النقل اللازمة

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

لذلك . كما تعهد الثوار بالعناية بالمرضى الذين لا يستطيعون السير والذين اضطر الجانب المصرى الى تركهم تحت الخيام . ولضمان تنفيذ تلك الشروط تبادل كل من الطرفين عشر رهائن . ثم خرجت القوات المصرية متجهة نحو فيلوبيس فدخلوها فى مساء الخميس [١] بعد أن بلغت خسائرهم ما يزيد عن المئتى قتيل [٢] .

ويبدو أن هزيمة القوات المصرية فى أبى قرون كان لها وقع سيىء على والى مصر ، إذ أنها أساءت إلى سمعة الجيش المصرى وأضعفت حجة اسماعيل فى استطاعة المصريين حكم الجزيرة ، ولذا فهو يرسل تعليمات إلى حسن راسم (ناظر خاصته والموجود بالآستانة لأغراض سياسية) بأن يكف عن التحدث مع الصدر الأعظم فى موضوع ضم كريت لأن الظرف غير ملائم ، ويشير عليه بالاقتداء بالقول المأثور « الأشياء مرهونة بأوقاتها [٣] » .

وبوصول ناظر الجهادية الفريق اسماعيل سليم إلى كريت فى صبيحة يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٨٦٦ ، اتجه إلى فيلوبيس حيث وجد الجنود المصرية تحت قيادة شاهين فى حالة جيدة ، وبعد أن وقف على سير الأحداث ، بعث بتقرير مفصل لاسماعيل عن تفاصيل ما حدث بين القوات المصرية والثوار ، كان من

---

(١) المصدر السابق .

(2 Aff. Etrang. Corr. Polit. telg. Autrey au Ministre. Alex. 22 Sept. 1866.

(٣) دفتر رقم ٢٤ عابدين وثيقة رقم ١٢٣ من الجناب الخديو الى حسن راسم فى ١٥ جمادى الأولى ١٢٨٣ (سبتمبر ١٨٨٦).

نتيجته استدعاء شاهين لقصر نظره ولتهاونه[١] وتعيين الفريق اسماعيل سليم قائداً للحملة خلفا له . وقد أبحر شاهين من كريت فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٦٦ «وأشيع بين ضباط الجيش المصرى أن سبب هذا التغير شكوى القائد العام العثمانى من تداخل شاهين مع العصاة (الثوار) فى أمور تمس حقوق الدولة [٢] » . ويبدو أن اسماعيل قد عزله لسوء تصرفه الذى أدى إلى هذه الهزيمة ، ولفشله فى سياسته إزاء الثوار ، ولإرضاء الباب العالى الذى شك فى تصرفاته . وعين مكانه اسماعيل سليم لتنفيذ نفس السياسة التى رسمها والتى سار عليها شاهين من قبل . أى أنه غير الأفراد ولم يمس السياسة .

وقد وصل فى ذلك الوقت (سبتمبر ١٨٦٦) أيضا إلى خانية القوات المصرية بسالونيك وعددها ٧٤٨٠ [٣] جنديا ، وبوصول هذه القوات إلى الجزيرة أصبح

---

(1) Aff Etrang. Corr. Polit. Autrey à la dépèche No. 52 du 9 Octobre 1866. Lettre de Mostapha Pacha en date du 1er. Djamad Awal 1283

(٢) اسماعيل سيرهنك ـ حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٩٦ .

(٣) مجلة الجيش المصرى . المجلد السابع العدد ٢٧ ص ٤٠ واليك بيانها :

المجموع	عدد		
	١	اللواء على غالب	قائد
	٢٠	أركان حرب وتوابع اللواء	
٢١			

١ جى آلاى بيادة

١	حسين عاصم	أميرلاى
١	على صادق	قائمقام

=

عدد القوات المصرية بها يقرب من ٢١ ألف مقاتل وكانت ، القوات التركيـة الموجودة بها عبارة عن ٢٤ طابورا (يتراوح عدد جنود كل طابور بين ٣٧٥ و ٥٠٠ جندى) تحت قيادة السردار عمر ويعاونه من الضباط العظام أربعة برتبة

المجموع	عدد	
	٧٢	أركان حرب وأقسام الالاى
	٨٢٥	١جى أورطة: عبدالعال حلمى افندى بكباشى
	٨٦٠	٢جى أورطة: محمد صدق « «
	٨٣٧	٣جى أورطة: ابراهيم حيدر « «
	٨٤٧	٤جى أورطة: محمد ذهنى « «
٢٤٤٣		
		١١جى آلاى بيادة
	١	خورشيد عاكف أميرالاى
	١	محمود طاهر قائمقام
	٨٧	أركان حرب وأقسام الآلاى
	٩٤٥	١جى أورطة : محمد شكرى افندى بكباشى
	٩٤١	٢جى أورطة : خليل نسيم افندى بكباشى
	٩٤٧	٣جى أورطة: خورشيد نعمان افندى بكباشى
	٩٤٤	٤جى أورطة: فرج عبدالعال افندى بكباشى
٣٨٦٦		
١٥٠		بطارية ميدان
٧٤٨٠		

فريق و ٦ برتبة لواء و ١٠ برتبة أميرلاى [١] . وكان يعاون القوات البريه قطع الأسطولين العثمانى والمصرى، وكانت مهمتها محاصرة شواطىء الجزيرة، والعمل على منع وصول الأسلحة والمتطوعين اليها ، وكذلك نقل الجنود والمؤن من مكان إلى آخر على ساحل الجزيرة ومن السفن التركية : القباق شادية والقباق قصون والفرقاطة أرطوغول ، والقرويت مظفر وما يزيد عن ١٥ سفينة حربية أخرى. وكانت تحت قيادة الفريق إبراهيم الموره لى . أما البواخر المصرية فهى ، وابور محمد على ، والفيوم ، والدقهلية ، ومصر ، والغربية ، والجعفرية ، والشرقية ، والمحروسة وأسيوط ، وقليوب ، ونور الهدى ، وسنتاميز ، وقرصان نمرة ٣ ، ونمرة ١١ ، وكانت تحت قيادة قاسم البحرى [٢] .

وجد مصطفى نائلى (المندوب العثمانى فوق العادة) أن الضرورات العسكرية تحتم عليه جمع الجيوش المعثرة فى أنحاء الجزيره فى مكان واحد وتحت قيادة واحدة [٣] ، ليتسنى له القيام بعمل إيجابى فى الوقت المناسب إذا ما استلزم الأمر ذلك، وحتى لاتوجد قيادتان تتضاربان الأوامر مع بعضها . وكان هدفه من ذلك أيضا وضع القوات المصرية تحت رقابة شديدة [٤] ، ومحاولة القضاء على

---

(١) محفظة ٢٨١ عابدين . من اسماعيل سليم الى الجناب العالى فى ١٣ ذى الحجة ١٢٨٢ (أبريل ١٨٦٦) .

(٢) مجلة الجيش المصرى المجلد ٧ العدد ٢٨ (يناير ١٩٤٥) .

(3) Aff. Etrang. Corr. Polit. Annex. à la dépêche No. 52 du 9 Oct. 1866 Lettere de Mostapha Pacha, 1er Djamad 1283

(٤) محفظة ٢٨١ عابدين من ناظر الجهادية اسماعيل سليم الى الجناب العالى فى جماد ثان ١٢٨٣ (اكتوبر ١٨٦٦)

سياسة اللين والتقرب من الثوار التى سارت عليها منذ أن وصلت أقدامها أرض الجزيرة.

وكان من وجهة نظر الآستانة التى يقوم بتنفيذها مصطفى نائلى فى الجزيرة هى « ألا تذكر العساكر المصرية بالمدح والثناء ، وألا يكلفوا بعمل يجلب لهم نظر استحسان العالم ، بل يخلطون قليلا قليلا بالعسكر السلطانى حتى لا يكون لهم وجود مستقل ، وألا يرسلوا إلى جهة على حدتها [1] » . كما أخذ مصطفى نائلى يشيع فى أنحاء الجزيرة أن الأعمال الوحشية التى ارتكبت فى الجزيرة كانت على يد الجنود المصريين[2].

وربما كانت موافقة الفريق اسماعيل سليم على توحيد القوتين الحربيتين العثمانية والمصرية خشيته من أن يقوم بعمل حربى منفرد يكون نصيبه الفشل، كما حدث لشاهين من قبل . هذا من جهة ، ولأن الموقف فى الجزيرة أصبح الآن يستلزم تعاون القوتين حفظا لسلامتها من جهة أخرى . ولكن هذا التصرف قد أغضب والى مصر اسماعيل غضباً شديداً لأنه لا يتفق مع سياسته إزاء مشكلة كريت . فيرسل كتابا إلى الفريق اسماعيل سليم قائد قــواته بكريت يؤنبه على ماحدث منه ويقول له «أتظن أن من الممكن إظهار الحقيقة للناس فيما لو اندمجت عساكر مصر فى عساكر الآستانة وحاربت معها ، وكان الذين كسبوا المعركة على طول الخط هم عساكر مصر ؟ وهل من المستطاع حمل الناس على تصديق

---

(١) محفظة ٢٨١ عابدين من رياض باشا (سكرتير الوالى) الى راغب باشا ناظر الخارجية المصرية (أمر غير رسمى) فى ٢٠ جماد آخر ١٢٨٣ (اكتوبر ١٨٦٦)

(٢) المصدر السابق :

ذلك ؟ بالعكس أنهم يحاولون جعل وجود عساكر مصر وعدمهم سيان . وينسبون إلى عساكره (يقصد عساكر القائد العثمانى) الفخر والعمل كله ، وينشرون ذلك على الناس وفى الصحف ويحملون الكل على تصديقهم حتى جلالة السلطان . وهم يستعملون أنواع الحيل والخداع للحيلولة دون استقلال عساكر مصر فى ادارة المعارك، حتى لا يرتفع شأن عساكر مصر فى أنظار العالم . كيف وافقت على إدماج عساكر مصر فى عساكر الآستانة ؟ وكيف رضيت بأنه توزع عساكر مصر على نقاط متعددة متباعدة ؟ وكيف قبلت أن تعمل عساكر مصر تحت قيادة ضباط الآستانة ؟ وإذا كنت قد أمرتك بأن تعمل وفقاً لتعليمات مصطفى نائلى ، فلم أقل لك بأن تتورط إلى هذا الحد حتى يتسنى للاستامبوليين أن يبنوا لأنفسهم كل الفخر ويلصقوا بعساكر مصر كل التهم . وإن كل مقاصدى من موافاتك بذاك العدد الكبير من العساكر والمهمات ، إنمــا هى لغسل الشرف العسكرى الذى تلطخ فى معركة أبى قرون . فزحفك على جبال ملافسة بالاشتراك مع قوات الآستانة لا يزيل الوصمة بها فى المعركة الآنفة الذكر» (١) .

والواضح أن والى مصر اسماعيل كان يرغب فى أن تقوم القوات المصرية بمفردها بهزيمة الثوار هزيمة ساحقة لتغسل العار الذى لحق بها فى موقعة أبى قرون، لأن إنتصار القوتين الموحدتين المصرية والعثمانية على الثوار ، قد يفسر فى غيــر صالح مصر وقد حدث هذا إذ قيل بأنه لولا اشتراك القوات العثمانية ، لما استطاعت القوات المصرية الانتصار على الثوار فى موقعتى أبى قرون الثانية ودير

---

(١) محفظة ٢٨١ عابدين من الجناب العالى الى ناظر الجهادية بكريت فى جمادى ١٢٨٣ (سبتمبر ١٨٦٦) .

أركادي . وهذا ما حاول اسماعيل تجنبه ولم يستطع .

وقد ظن اسماعيل أن ادماج القوتين الحربيتين بعضهما ببعض كان نتيجة لشعور السلطان العثمانى برغبة اسماعيل فى ضم الجزيرة إلية [١] . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان الباب العالى لا يريد أن يبق الجيش المصرى مستقلا عن الجيش العثمانى حتى لا يبدو أمام الدول الاوربية بأنه أكثر تفوقا وأحسن نظاماً من القوات العثمانية .

وكان رد اسماعيل على هذا التصرف من جانب مصطفى نائلى ، مندوب الباب العالى فوق العادة، أنه عين ياوره حسن مفتشاً عاماً للقوات المصرية بكريت [٢] . وفى حقيقة الأمر فقد كانت مهمة حسن السرية هى مراقبة [٣] أعمال مندوب الباب العالى ونقلها الوالى مصر حتى يكون على بينه من أمرها ، ومحاولة الاعتراض عليها أو إيقافها فى الوقت المناسب .

وفى نفس الوقت فقد شكى والى مصر لقنصلى انجلترا وفرنسا الجنرالين عدم ثقه [٤] الباب العالى فيه ، وما يسببه له عدم الثقة من ارتباكات . فأبدى وزير خارجية فرنسا جهله بالسبب الذى يدعو والى مصر لهذا القلق إذ أن الموقف لم يتضح بعد . ولهذا فهو لا يستطيع فى الوقت الحاضر أن يشير عليه

---

(1) Douin, Hist. du Règne ... Vol. I. p. 371

(2) Aff. Etrang. Corr. Polit. No.52 Outrey au Ministre Alex. 9 Octobre, 1866

(3) Douin; Hist du ègne .. vol. I P. 372.

(4) Aff. Etrang. Corr. Polit. teleg. Ministre à Outrey 18 Sept., 1866

بشىء [1] وقد تولى السفير الفرنسى بونيير Bonnière لدى الباب العالى توضيح أسباب عدم الثقة هذه لحكومته بأنها جاءت نتيجة لطلب والى مصر استدعاء قواته من مناستير وترحيلها إلى جزيرة كريت، لعدم استطاعتها قضاء فترة الشتاء فى هذه المنطقة [redacted] نظراً لقسوة المناخ ، على أن يقوم اسماعيل بنقل عدد مماثل من القوات العثمانية بالجزيرة لإحلالها محل القوات المصرية المنسحبة من مناستير . فاعترض الباب العالى على ذلك وأبدى استغناءه عن القوات المصرية بمانستير ، ويمكن لوالى مصر أن يستدعيها لا إلى كريت، ولكن إلى مصر. حدث هذا فى الوقت الذى كثر فيه الحديث عن كريت، وعن المؤامرات التى نسبت إلى والى مصر لضمها اليه . وقد اعتبر الوالى هذا الرد ـ بطبيعة الحال ـ كعمل ينطوى على عدم الثقة فيه [2] .

بل أن والى مصر ذهب إلى حد التبديد بسحب جميع قواته من الجزيرة ماعدا الدفعة الأولى منها، وعددها ٦٠٠٠ جندى إذا استمرت قواته موزعة تحت أمرة الضباط الأتراك ، لما فى ذلك من هدم لكيان القوات المصرية ومحو لشخصيتها ، ولإشراكها فى أعمال قد لايرضى عنها وربما سببت له مشاكل دولية . وأبلغ قنصل فرنسا الجنرال فى مصر أوترى Outrey بأنه لا يريد الأقدام على سحب قواته إلا إذا حصل على موافقة الحكومة الفرنسية . ويعتقد اسماعيل بأنه إذا كان من الضرورى لقواته البقاء فى الجزيرة ، فيجب أن تبقى تحت قيادتها الخاصة

(1) Aff. Etrang. Corr. Polit. No. 55 Ministre. à Bonnière Paris. 21 Sept. 1866.

(2) Aff. Etrang. Corr. Polit. No.91 Bonnière au Ministre Therapia 19 Sept., 1866.

حتى لاتكون مسئولة عن الأعمال السيئة التى يحتمل أن ترتكبها القوات التركية . وهذا شرط جوهرى لاستمراره فى مساعدة السلطان [1] .

ويبدو أن إسماعيل كان يريد أن يطمئن إلى أن الحكومة الفرنسية لن تقف موقفا معارضا فى هذه المسألة ، وقد صرح أكثر من مرة إلى قنصل فرنسا الجنرال بمصر بأنة على استعداد للانتفاع بأية توجيهات يشير بها عليه امبراطور فرنسا . ومما شجع إسماعيل على الإلتجاء إلى الحكومة الفرنسية والسعى لنيل تأييدها لسياسته إزاء الجزيرة ، أن مصر سبق أن أمدت الحكومة الفرنسية بأورطة سودانية للعمل تحت لواء الجيش الفرنسى فى المكسيك ، رغم ماينطوى علية هذا العمل من مخالفة صريحة لأحكام فرمان سنة ١٨٤١ . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن إسماعيل بعد أن ولى حكم مصر مباشرة طالب فى سنة ١٨٦٤ من الحكومة الفرنسية إيفاد بعثة عسكرية فرنسية لترتيب وتنظيم المدارس الحربية المصرية طبقا للنظام الحربى الفرنسى . فأرسلت اليه بعثة مكونة من أربعة ضباط عظام هم :
الكولونيل ميرشير Mircher رئيسا ويعاونه رباتيل Rabatel ولارمى Larmée وبولارد Bolard وبفضل هؤلاء الضباط الفرنسيين دخلت النظم الفرنسية وطرق الحرب الفرنسية الجيش المصرى .

وربما كان إسماعيل يشك فى حسن نوايا الحكومة الانجليزية نحو مصر، ويرى أنها تتحين الفرص لتحقيق أطماعها فى بلاده . وهذا مادفعه إلى أن يتخذ من فرنسا صديقة له يمكن الاعتماد عليها . هذا فضلا عن أن إسماعيل قد تربى فى فرنسا وتثقف بالثقافة الفرنسية ، وكان يميل إلى كل ماهو فرنسى .

---

(1) Aff. Etrang. Corr. Polit. Teleg. Outrey au Ministre Alex, 1 Sept, 1866

أما عن سياسة الحكومة الانجليزية إزاء مشكلة كريت . فهى فى الواقع جزء من سياسة إنجلترا إزاء الدولة العثمانية والمسألة الشرقية وهى السياسة التى ترمى إلى المحافظة على كيان الدولة العثمانية والتى استمرت بصفة عامة طوال الثلاثة أرباع الأولى من القرن التاسع عشر ولم تحاول الحكومة الانجليزية تغيير تلك السياسة إلا عندما وجدت أن مصلحتها تحتم عليها هذا التغيير ، وكان ذلك فى بدء الربع الأخير من ذلك القرن . فانجلترا إذا كانت تحاول جاهدة أن تحتفظ بالحالة الراهنة Statu quo فى شرق البحر الأبيض المتوسط كما هى عليه ، لما فى ذلك من تحقيق لمصلحتها .

ولقد صرح السير هنرى بلوار Henry Bulewer سفير انجلترا بالآستانة بهذا المعنى إلى والى مصر سعيد .

وكانت الحكومة الانجليزية تحرص أيضا على المحافظة على نصوص معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ ، تلك المعاهدة التى حاولت أن تضع حدا لأطماع الدولة الروسية وتهديداتها ، والتى منحت الدولة العثمانية فرصة طيبة لإصلاح شئونها الداخلية . ولو استطاعت الحكومة الانجليزية الاستفادة منها لتمكنت من استعادة قوتها وهيبتها ولوفرت عليها الكثير من المتاعب .

ولذلك لم تحاول الحكومة الانجليزية إجراء أى تعديل فى الموقف يكون من شأنه إثارة المسألة الشرقية ، وخلق جو من الاضطراب فى تلك المنطقة من العالم التى تحرص انجلترا على أن توفر لها الأمن والهدوء . ولهذا فقد رفضت ضم جزيرة كريت إلى اليونان، ولم تعر صرخات ثوار الجزيرة أى اهتمام ، لأنها وجدت أن نظم الحكم التى كانت سائدة فى اليونان سيئة ، وأن اليونان لن تستطيع أن تمنح الجزيرة حكما أفضل مما هو سائد فى اليونان نفسها . وبناء عليه

فضلت انجلترا أن تبقى الجزيرة تحت حكم الباب العالى ، على أن يعمل على إزالة أسباب الشكوى السائدة فيها بما يكفل حقوق سكانها من المسيحيين .

ورغم أن الحكومة الانجليزية كانت تعلم أن مصر تستطيع إدارة شئون الجزيرة بطريقة أفضل مما تفعله الحكومة العثمانية ، كما أنها لن تدخر وسعا فى انفاق المال عليها لتحسين شئونها وتنمية مواردها ، إلا أنها كانت ترى أن اسماعيل كان خاضعا للنفوذ الفرنسى إلى حد كبير، ولا يسر انجلترا تفوق النفوذ الفرنسى فى مصر على النفوذ الانجليزى .

وحيث أن الجزيرة تقع على الطريق البحرى المؤدية إلى الهند ، فان انجلترا تحرص كل الحرص على أن يظل الطريق فى قبضة يدها ، وألا تسمح لأى نفوذ أجنبي متفوق بالظهور . وبما أن ضم الجزيرة إلى مصر سيتبعه امتداد النفوذ الفرنسى إلى هذه الجزيرة أيضا ، فهى لهذا لم توافق على مشروع اسماعيل فى إسناد حكم الجزيرة اليه لأنه لا يحقق المصالح البريطانية .

أما عن موقف الحكومة الفرنسية فى ذاك الوقت، فكان يتفق مع موقف الحكومه الانجليزية إلى حد كبير ، فسياسة كل منهما كانت ترمى إلى المحافظة على كيان الدولة العثمانية، والوقوف أمام أطماع الحكومة الروسية، والمحافظة على نصوص معاهدة باريس عام ١٨٥٦ . إلا أن الحكومة الفرنسية كانت تميل إلى تشجيع اسماعيل فى كل المشروعات التى ترمى إلى منحه أكبر قسط من الاستقلال والقوة تحت السيادة العثمانية ، أى أنها كانت تحاول أن تتبنى إنشاء دولة فتية شرق البحر الأبيض يكون لها النفوذ المتفوق فيها، وذلك لإيجاد نوع من التوازن بين نفوذها وبين نفوذ انجلترا المتفوق فى الآستانة .

وسنجد اسماعيل يحاول من جهته أن يقنع الباب العـــالى بمختلف الطرق بالتنازل عن حكم الجزيرة لمصر، مستعينا بنفوذ فرنسا فى تذليل العقبات التى تعترض سبيله ، سواء لدى الباب العالى أو لدى الحكومة الانجليزية . ويبدو أن اسماعيل كان يرى أن امتناع الباب العالى عن إجابة هذا الطلب يمكن التغلب عليه بالمال . ولكنه كان يرى فى رفض انجلترا لهذا المشروع عقبة كبرى لا يستطيع التغلب عليها بمفرده ، بل لابد له من معاونة فرنسا وتأييدها القوى .

كما أنه كان يأمل فى حالة فشله فى إلحاق الجزيرة بحكم مصر أن يستعين بنفوذ فرنسا وانجلترا للضغط على الباب العالى لمنحه بعض الامتيازات الأخرى التى تقدم بطلبها ـ وذلك بعد أن تعذر ضم الجزيرة ـ تلك المطالب التى أجيبت بفرمان ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ . وقد تحقق هذا المطلب إذ لم تجد الحكومتان الانجليزية والفرنسية فى تحقيقه ما يمس مصالحهما .

وعندما علمت الحكومة الانجليزية بعزم أسماعيل على سحب قواته من الجزيرة أخذ قنصلها الجنرال بمصر استانتون Stanton يبدى النصح لاسماعيل بعدم اتخاذ أية خطوة ايجابية فى هذا الموضوع قبل موافقة الباب العالى ، إذ أن عدد القوات المصرية بالجزيرة يبلغ ١٨ ألف جندى من مجموع القـــوات جميعها البالغ ٣٠ الف جندى . فاستدعاؤه لقواته يعرض الجزيرة للضياع من يد الدولة العثمانية، ويساعد على امتداد الثورة إلى أجزاء أخرى من الامبراطورية العثمانية (١) .

وأخذت الآستانة تشن حربا لا هوادة فيها على والى مصر ، وأخذت

(1) Douin, Hist, du Règne ... Vol. 1 p. 371

التقارير ترد على اسماعيل من الآستانة ، ولم تكن بطبيعتها تساعد على تهدئة شعوره الثائر . وقد عرض اسماعيل على قنصل فرنسا الجنرال بمصر ماورد من تقارير من الآستانة، وأوضح له ماتضمنته تلك التقارير من تقليل من شأن الخدمات العسكرية التى قامت بها القوات المصرية ، وما تدعيه وتشيعه من أن القوات المصرية التى كانت محاصرة فى أبى قرون قد انقذت بفضل تدخل القوات التركية البالغ عددها ٥٥ أورطة تحت قيادة على باشا ، وأن القوات المصرية قد ابتعدت بسرعة بعد خروجها من الحصار مباشرة ، تاركة القوات التركية وحدها تقاتل جموع الثوار . وقد علق القنصل الفرنسى الجنرال على هذه الأنباء فى رسالة لحكومته بأن هذا الإدعاء يجرح إلى حد كبير شرف الجيش المصرى ويجافى الحقيقة مجافاة تامة، ويخالف التقرير الذى أرسله مصطفى الكريتلى (مندوب الباب العالى فوق العادة) إلى والى مصر خاصا بتلك المعركة .

وقد بين والى مصر اسماعيل بأن مصطفى الكريتلى لم يكن لديه سوى ٣ أو ٤ أورط غير كاملة وأنه لم يستطع الذهاب لمساعدة شاهين ، وكل ما قام به هو الاستعداد لإمداد شاهين بألف أو بألف ومائتين مقاتل عندما وصل اللواء اسماعيل صادق بقواته الصغيرة التى كانت محاصرة إلى مركز قيادة الجيش التركى . ثم يتساءل اسماعيل كيف يقبل أى عاقل مايزعمه العثمانيون بأن على باشا قد أنقذ القوة المصرية التى تحت قيادة اللواء اسماعيل ، بينما قد تحقق أن اللواء المذكور قد اضطر تحت ضغط الحاجة إلى المؤن والذخائر إلى قبول نوع من التسليم . وإذا كان على باشا هو على رأس قوة كبيرة كهذه ، قوامها ٥٥ أورطة - وهذا غير ممكن من الناحية المادية - فكيف يشكوا من تخلى القوة المصرية الصغيرة عنه بعد حصار وخسائر

متلاحقة ومعارك دامت سبعة أو ثمانية أيام [١]

واستطرد اسماعيل قائلا للقنصل الفرنسى الجنرال أوترى بأنه لم يلتزم جانب الحكمة إلا مراعاة لشعور جلالة امبراطور فرنسا ، ولولا هذا الاعتبار لسحب قواته من الجزيرة ، ولوضع الحكومة العثمانية فى موقف خطير . ويعلق القنصل الفرنسى على هذه المقابلة بقوله بأنه كلما قلت ثقة الباب العالى فى والى مصر ، كلما أظهر اسماعيل تهافتا على ضم الجزيرة إليه ، إلى أن أصبح الموضوع بالنسبة لاسماعيل مسألة كرامة . ولهذا يشير القنصل الفرنسى على حكومته بأنها إذا كانت لا ترى مساعدة اسماعيل فى تحقيق مشروعه فى ضم الجزيرة ، فان من المستحسن محو هذه الاوهام بأسرع ما يمكن ، تلك الاوهام التى قامت على الامل فى تشجيع السياسة الفرنسية [٢] . وأبدى رأيه فى أن ضم كريت ليست له أية نتيجة سوى خلق المشاكل لمصر . أما إذا كان من رأى الحكومة الفرنسية تعضيد مشروعات اسماعيل ، فمما لا يقبل الجدل أن سموه سيحتفظ بعرفان الجميل لفرنسا ، وسيشجعه هذا العمل على الاستمرار فى سياسته الموالية لها بكل عزم وقوة ، تلك السياسة التى تبناها علانية فى الأيام الاخيرة ، وسيكون لهذا أكبر الفائدة بالنسبة للسياسة الفرنسية والمصالح الفرنسية فى مصر [٣] .

وفى اكتوبر عام ١٨٦٦ ع ين دو موستييه M. de Moustier (سفير فرنسا فى الآستانة) وزيراً للشئون الخارجية لفرنسا ، وكان هذا السفير مشايعا

---

(1) **Affaires** Etrang. Corr. Polit. **No. 5 Outrey au Ministre Alex-** 5 Octobre, 1866

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

للحكومة العثمانية . وفى أثناء عودته من الآستانة فى طريقه إلى فرنسا مر بأثينا ووجه تحذيراً إلى الحكومة اليونانية لتكف عن التدخل فى شئون كريت ، لأنه كان يميل إلى تأييد تركيا ضد اليونان وروسيا حتى لا يوقظ المسألة الشرقية التى يعمل جاهداً على عدم إثارتها . وكان يرى أن امتداد أجل الثورة يرجع إلى مسلك والى مصر بخصوص مسألة كريت ، وأن انتشار الاضطرابات فى الجزيرة يرجع إلى السياسة التى اتبعها قائد القوات المصرية ؛ كمنح الأموال للأديرة والمستشفيات اليونانية ، لا لشيء إلا لهدف معين وهو حمل سكان كريت على المطالبة بتبعيتهم للحكم المصرى [١] . وهذه الأموال قد شجعت أهل كريت على الثورة وأظهرت لهم الانقسام التام بين القوتين المصرية والتركية . وكانت النتيجة لهذا كله الهزيمة ، التى منيت بها القوات المصرية فى موقعة أبى قرون .

وقد تقابل نوبار مع الوزير الفرنسى دو موستييه M. de Moustier مرة أخرى (فى ١٦ أكتوبر ١٨٦٦) وتطرق الحديث إلى الكلام عن الشرق بصفة عامة وعن مسألة كريت بصفة خاصة . ولم يخف نوبار عن الوزير الفرنسى قلق اسماعيل الشديد بشأنها . فأوضح له الوزير الفرنسى بصراحة تامة أن سياسة فرنسا فى الشرق تتركز فى المحافظة على نصوص اتفاقية باريس سنة ١٨٥٦ فى الوقت الحاضر على الأقل ، وأن الحكومة الفرنسية على اتفاق فى هذا الموضوع مع الحكومة الانجليزية . وقد بين الوزير الفرنسى هذه الحقيقة للحكومة اليونانية أثناء مروره بأثينا [٢] .

---

(1) Dossier de 1866 Lettre de Nubar, de Paris en du 8 Sept. 1866

(2) Histoire du Règne.. Vol. I P. 3o5.

وفى نفس الوقت أبدى الوزير الفرنسى ترحيبه لاشتراك والى مصر مع الحكومة الفرنسية فى السياسة الأوربية ومساعدته للباب العالى . وأضاف إلى ذلك بأنه علم برغبة والى مصر فى ضم الجزيرة من تقارير قنصل فرنسا الجنرال بمصر أوترى ، وانه ليس للحكومة الفرنسية أى اعتراض على ذلك إذا ما وافق الباب العالى . ولكنه استدرك فقال بأنه إذا أيدت الحكومة الفرنسية اتحاد كريت مع مصر ، فإن الحكومة الانجليزية ستعارض ذلك . وقد أوضح له اللورد ليونز Lyons (سفيرا انجلترا بالآستانة) هذا المعنى عندما كان فى الآستانة . ولكن إذا اتفقت حكومات تركيا وفرنسا وانجلترا على هذه الفكرة فالوزير الفرنسى لا يرى أى مانع من إخراجها إلى حيز التنفيذ ، ولن تعارض فرنسا مطلقاً هذا الاتحاد .

ثم استطرد قائلا بأن الروسيا واليونان لن ينظرا إلى هذا العمل بعين الارتياح، لأن سفير روسيا بالآستانة اجناتيف Ignatieff قد أبدى امتعاضه من تلك الفكرة لأن هذه المنطقة تكون ركناً هاما فى السياسة الروسية [1] . تلك السياسة التى كانت قائمة على خلق المتاعب والعراقيل للدولة العثمانية عن طريق إثارة شعوب البلقان الخاضعة لحكمها وإظهار العطف على أمانيها القومية بصفتها الدولة الصقلبية الكبرى والحامية للمذهب الارثوذكسى ، وذلك حتى لاتستطيع الدولة العثمانية التفرغ لإصلاح شئونها الداخلية ، وتقوية جيشها لتصبح قوة لها خطرها فى شرق البحر الأبيض المتوسط كما كانت من قبل . ولهذا دأبت روسيا على تشجيع الاضطرابات بالجزيرة إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كالتأثير على الحكومة اليونانية أو على الأقل على الشعب اليونانى .

1 - **Dossier de 1866 Lettre de Nubar, de Paris, en date du Sept. 1866**

وقد أوضح الوزير الفرنسى بأن هذا الاتحاد مع مصرفى صالح كريت أكثر مما هو فى صالح مصر ، لأن مصر ستنفق أموالا طائلة لإصلاح شئون الجزيرة . وفى نفس الوقت فالادارة المصرية أفضل من الإدارة التركية ولكنه لا يرى فى هذا الاتحاد فائدة لمصر ، فكريت ليست ذات قيمة بالنسبة لاسماعيل بل هى على العكس من ذلك ستكون مصدرا للصرف والانفاق . هذا بالاضافة إلى أن امتلاك الجزيرة سيزج بمصر فى متاعب ومشاكل عديدة من صالح والى مصر أن يتجنبها (١) .

رأى نوبار أن يقف بنفسه على أسباب معارضة انجلترا لهـــذا المشروع ، فتقابل مع السير هنرى بلوار H Bulwer فى باريس ، وتطرق الحديث إلى موقف انجلترا من مسألة ضم كريت ، فأوضح له الوزير الانجليزى بأن انجلترا عارضت فى ضم الجزيرة لليونان لأنها لن تستطيع حكمها حكما صالحاً . كما أن كريت تقع على الطريق التجارى المؤدى إلى الهنـــد ، وهى فى نفس الوقت من الناحية الجغرافية تتبع لمصر . ولكن الحكومة الانجليزية ما زالت تشك فى استقلال الحكومة المصرية عن النفوذ الأجنبى ، وتعتقد بوقوعها تحت تأثير النفوذ الفرنسى إلى حد كبير . ولهذا تفضل فى أن تبقى الجزيرة تابعة للباب العالى مباشرة (٢) .

وكلما وجد والى مصر معارضة من جانب السلطان فى ضم كريت ، كلما ألح

(1) Douin. Hist du Règne Vol. I P. 386.

(2) Dossier de 1866. Lettre de Nubar, de Prris, en date du 26 ect. 1866.

فى ضروورة استرجاع قواته بسرعة من الجزيرة ، فتوترت العلاقات بين مصر وتركيا إلى حد كبير . وفى ذلك الوقت وردت إلى اسماعيل مكاتبة من نوبار باريس فى ٢٨ نوفمبر عام ١٨٦٦ يخبره فيها بأن حكومتى انجلترا وفرنسا تريدان إقرار السلام فى الشرق والمحافظة على الحالة الراهنة Statu quo[1] فيه ، وأن الامبراطورية العثمانية ضعيفة وفى حاجة إلى القوات المصرية بكريت ، ولقد قامت الحكومتان بتقديم النصيحة للباب العالى لإقناعه بضروة التنازل لمصر عن مطالبها (وهى المطالب التى وردت فى فرمان ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ الخاصة بمنح اسماعيل لقب خديو وبعض الامتيازات الأخرى) حتى لا يعكر صفو السلام فى الشرق ، وحتى لاتفقد تركيا مساعدة مصر[٢].

ولكن اسماعيل تظاهر بالرغبة فى تنفيذ سياسته بالقوة فبدأ فى زيادة قواته الحربية وتسليحها وتحصين السواحل المصرية ، فأصدر أوامره فى أواخر عام ١٨٦٦ بتسليح الطوابى الساحلية بالمدافع على أن توضع فى كل طابية من طوابى بوغاز دمياط الشرقية والغربية ، وكذلك طابيتى الأزاريته والعجمية فى غرب الاسكندرية خمسة مدافع . وأن يوضع فى قلعة أبى قير ثمانية عشر مدفعاً[٣] .

---

(1) Dossier de 1866. Lettre de Nubar, de paris. en date du 28 November, 1866.

(2) Dossier de 1866. Lettre de Nubar, de paris, en date du 18 Dec. 1866.

(٣) محفظة ٤٠ معية تركى وثيقة رقم ٥ من داود فهمي وكيل الجهادية إلى المعية السنية فى ٣ رجب ١٢٨٣ (نوفمبر ١٨٦٦) .

كذلك صدرت الأوامر(١) إلى ناظر الجهادية بالإسراع فى شراء عدد من البنادق الحديثة يتراوح بين الخمسين والستين ألف بندقية لتزويد الجيش المصرى بها .

ولقد حاولت الحكومة الفرنسية إيجاد حل لمشكلة كريت فنصحت الباب العالى (فى ١٨ يناير عام ١٨٦٧) بضرورة اتباع الحل الوحيد لضمان السلام فى هذه البقعة ، وهو أن تتبع الجزيرة الدولة العثمانية وأن يتولى الحكم فيها أمير مسيحى . وإذا رفض الباب العالى هذا الحل فستخرج كل من الصرب والبوسنه ومقدونيا وتساليا عن طاعته فى الربيع القادم .

وأشار نوبار على اسماعيل ـ بعد أن وجد أن ضم الجزيرة لمصر قد أصبح بعيد الاحتمال ـ بأنه إذا كان لابد من المساومة بينه وبين الباب العالى ، فليكن الهدف من وراء ذلك حصول امتيازات لمصر كتلك التى حصلت عليها رومانيا . وهذه هى السياسة التى سيتبعها اسماعيل فى علاقته مع الباب العالى مستقبلا(٢) .

التقرب بين مصر واليونان

دخل عنصر جديد فى العلاقة بين مصر والباب العالى إذ حاولت الحكومة اليونانية استغلال توتر العلاقات بين مصر والباب العالى فى التقرب نحو مصر ،

---

(١) دفتر ٥٥٨ (معية تركى) وثيقة بدون رقم ص ٣٧ أمر من الى شاهين فى ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٣ (أبريل ١٨٦٧) .

(2) Douin; Hist. du Règne du Khedive ... Vol. p 391 .

وايجاد نوع من التحالف معها ضد الباب العالى(١) وقد شجعها على ذلك سياسة والى مصر إسماعيل المستقلة عن سياسة الباب العالى فى الجزيرة وتصريحاته العدائية ضد رجال الدولة العثمانية. وقام قنصل اليونان الجنرال بمصر زيجومالاس **Zygomalas** بمقابلة اسماعيل (١٩ يناير ١٨٦٧) ونصحه بأن يسحب قواته من الجزيرة لأنها تكبده خسائر كبيرة فى الرجال والأموال، وحذره من الخطأ الذى وقع فيه جده محمد على من قبل، وما حدث له فى موقعة نوارين ، وأوضح له مدى عطف الرأى العام العالمى والدول الأوربية الكبرى على اليونان وبأنها ستتدخل فى صالح كريت . وحذره من الاعتماد على حكومتى انجلترا وفرنسا لأن كلا منهما له أطماع فى مصر وأنه يستطيع الاستفادة من هذا التنافس الموجود بينهما بعدم الانضمام إلى أحدهما ومحاولة إيجاد حليف آخر له (٢) . وكان يقصد بكلمة حليف آخر/ اليونان .

وفى مقابلة أخرى لراغب ناظر الخارجية المصرية (١٢ فبراير سنة ١٨٦٧) أوضح له الوزير بأن مصر لا تستطيع سحب قواتها من كريت لسببين ، أولها : أن هذا العمل يزيد شكوك الباب العالى نحو مصر / وثانيهما أنه سيغضب الدول الأوربية التى ترجو مصر الحصول على مساعدتها (٣) ولما كانت حكومة اليونان تشعر بخوف من احتمال وقوع تصادم مسلح بينها وبين الدولة العثمانية ، أخذت تستعد للحرب وتبحث لها عن حليف لمؤازرتها والوقوف إلى جانبها . وقد

---

(1) Dolitis., Un projet d'alliance entre l'Egpte et la **Gréce en 1867 p. 43.**

(٢) المصدر السابق ص ٤٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٩

وجدت فى موقف مصر من مطالبها إزاء الباب العالى ما يشجعها على تحقيق هذا الهدف .

وكان من سياسة مصر فى تلك الفترة ألا تقطع برأى فى موضوع التحالف مع اليونان ، بل تترك الباب مفتوحا لما فى ذلك من معاونة لنوبار فى مفاوضاته فى الآستانة مع رجال الباب العالى بشأن المطالب التى تقدم بها اسماعيل ، ومنها منحه لقب خديو أى أن اسماعيل كان يتخذها وسيلة لإرغام الباب العالى على إجابة مطالبه . وكلما طالت المفاوضات وتعثرت كلما قوى أمل الحكومة اليونانية فى إمكان عقد هذا التحالف المنشود .

وبالرغم من أن اسماعيل لم يسحب قواته من كريت كما كان يهدد بذلك ، فإنه أراد أن تقف قواته بالجزيرة موقفا أقرب إلى السلب منه إلى الايجاب . فيرسل إلى اسماعيل سليم ناظر جهاديته وقائد قواته بكريت بأن يتظاهر بالإخلاص للعثمانيين ، وألا يعلن شفاءه من المرض الذى ألم به حتى لا يخوض معارك حربية لا يرضى عنها . ويضيف إلى ذلك قائلا « بأنه إذا كانت مصر قد ضحت بذلك العدد الكبير من الجنود وبذلت ما بذلت من الأموال ، فإنها ضحت بذلك فى سبيل نفعها لا من أجل حظوظ الاستامبليين (وخاطرهم) الجميل الذين لا أريد أن أصرف من أجلهم بارة واحدة أو أضحى فى سبيلهم بقدر ذرة بأى وجه من الوجوه ، لأنهم لم يقدروا كل هذه التضحيات . وقد قالوا قبل مدة لسفراء الدول الأجنبية إن عساكر مصر عبارة عن مضايقة ، فإذا انسحبت فان لدينا عساكر كثيرة تحل مكانها (١) » . ويهدد الوالى فى هذا الخطاب بأنه إذا لم

---

(١) محفظة ٢٨١ عابدين من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية بكريت فى ٢١ جماد الأول ١٢٨٣ (اكتوبر ١٨٦٦)

توافق الدولة العثمانية على منحه المطالب التى تقدم بها ومنها لقب خديو، فسيسحب جنوده من كريت . وفى ختام الخطاب ينبه عليه بضرورة تنفيذ تعليماته دون أن يتسرب الشك أو الريبة إلى أحد ، قائلا « وإذا أرغم على خوض معركة فعليه أن يعمل بألا تكون العساكر المصرية هى البادئة بالعدوان، وإذا خاض المعركة فلا يخوضها بعنف [1] ، لأن اسماعيل كان يعتقد بأن مصر قد تورطت فى مسألة كريت وليس من الأمور السهلة البينة الانسحاب منها بصورة مقبولة [2] .

معركة أبى قرون الثانية

بعد أن وصل مصطفى الكريتلى إلى كريت وقام بدراسة الموقف فيها أذاع بياناً على الثوار يأمرهم فيه بالخلود إلى السكينة والعودة إلى ديارهم وحدد لهم يوم ١٩ سبتمبر عام ١٨٦٦ كحد أقصى لتنفيذ هذا الأمر . ولما استمر الثوار فى عصيانهم خرج مصطفى الكريتلى على رأس قوة حربية مكونة من ١٠ أورط ، ٦ تركية و٤ اورط مصرية فى صبيحة يوم ٩ اكتوبر عام ١٨٦٦ قاصدا الاستيلاء على لاكوس Lakkos وكذلك اسفاكيا Sfakia إن أمكن ذلك ، والحقت به فى اليوم الثانى ١٠ أورط أخرى : ٦ مصرية و ٤ تركية .

ولم يكن هدف مصطفى الدخول بقواته هذه فى حرب نظامية مع الثوار ، إذ لا تتفق هذه الحرب مع طبيعة أرض الجزيرة، ولكنه اعتمد على طريقة حرب

(١) المصدر السابق .

(٢) محفظة ٢٨ عابدين من الجناب العالى إلى نوبار فى ٢٢ جماد آخر ١٢٨٣ (أول نوفمبر ١٨٦٦)

العصـابات . وأشرك معه سكان الجزيرة من المسلمين فوزع عليهم الأسلحـة وكون منهم عصابات خفيفة غير نظـامية لتعقب العصـاة فى الجبـال والدخول معهم فى حرب على طريقتهم الخاصة (١) . وكان الثوار المسيحيون يقومون بالاستيلاء على حاصلات الأراضى الزراعية التى يملكها المسلمون الذين اضطروا تحت ضغط هؤلاء المسيحيين إلى الالتجاء إلى المدن الحصينة والاعتصام فيها . ثم يضعون تلك الحاصلات داخل الكهوف فوق قمم الجبال . وكان هذا هو الشأن بالنسبة للذخيرة (٢) .

وبعد صراع عنيف مع الثوار الذين تؤازرهم جماعات مسلحة من اليونانيين من جماعة غاريبالدى (٣)، وبعض الجنود الفارين من الجيش اليونانى الذين سمحت لهم الحكومة اليونانيـة بالذهـاب إلى الجزيرة ، استطـاع مصطفى الاستيلاء على لاكوس Lakkos وتريسو Terisso ثم اندفـع نحو دروكرونا Drocona فى قطاع كرانيـا Kérania ثم اتجـه مصطفى ناحية ابى قرون وفى ١٦ اكتوبر عام ١٨٦٦ خرج من استيلو Stilo ومعه ست أورط مصرية وأرطتين تركيتين تحت قيادة الفريق على والفريق اسماعيل ونجحوا فى حصار اليونانيين الذين يربوا عددهم على ٣٠٠ ثائر وجدوا فى تلك المنطقـة . وأخـذ هؤلاء فى التقهقر حتى كابوس Cabous حيث خلفوا وراءهم عددا كبيراً من القتلى. وفى هذه المعركة

---

(1) Douin; Hist. du Règne ... Vol. II p. 372.

(2) Aff. Etrang. Corr. Polit. Memoires et Documents Turquie. Note du Commissariat Imperial en Crète.

(٣) دفتر رقم ٢٤ عابدين وثيقة رقم ١٦٦ من الجناب العالى الى القبوكتخدا فى ٥ جماد آخر ١٢٨٣ (اكتوبر ١٨٨٦)

أصيب اللواء اسماعيل صادق بجرح فى فخذه لما أبداه من شجاعة وإقدام . وقد اهتم اسماعيل بذلك اهتماما كبيراً، فأرسل اليه أشهر الأطباء فى ذلك الوقت وهو حسن هاشم لمعالجته والعناية به . كما أنعم عليه برتبة الفريق مكافأة له على شجاعته وبسالته [1] . وفى ١٧ اكتوبر دخل القائد التركى على كابوس ثم سير ألفا من الالبانيين نحو أبى قرون .

وفى ذلك الوقت وصل القائد اليونانى زمبرا كاكيس Zimbracakis (وقد وصل قبله الاميرالاى كورونيوس Coronéos القائد الأعلى للحرس الوطنى اليونانى وبعض الضباط اليونانيين) ونزل فى اسفاكيا واستعد لمقاتلة الأتراك فاستولى على فافيه Vafé ، وعندما علم مصطفى بهذا النبأ قسم قواته إلى قسمين : القسم الأيمن ويضم ٤ أورط تركية والبانية تحت قيادته لاتخاذ طريق فاموس Vames ثم ارتقاء مرتفعات فريسيس Vrisés للوصول إلى Vafé . والقسم الأيسر ويتكون من ٧ أورط مصرية وبطارية ميدان وعلى رأسه الفريق اسماعيل سليم والجنرال على غالب لضم وادى فريسيس للوصول إلى اليكامبو Alicampo وقد حصلت تلك القوات على الأعداء حملة صادقة كبدت اليونانيين خسارة فادحة فولوا الأدبار .

أعيد بعد ذلك تقسيم القوات المصرية من جديد إلى أربعة أقسام بقصد تطهير الجزيرة من جنود الثوار تحت قيادة الفريق اسماعيل سليم . فكان على غالب

---

(١) امين سامى - تقويم النيل . المجلد الثانى . الجزء الثالث ص ٦٨١
(ارادة لاسماعيل صادق باشا فى جزيرة كريت فى ٢٩ رجب سنة ١٢٨٣ (ديسمبر ١٨٦٦)

على رأس القسم الأول المكون من ٤ أورط (من الآلايين الأول والثاني المصريين) واتجه إلى المرتفعات المشرفة على قريتى اليكامبو وبروسنيرو . وقاد القسم الثانى ويتكون من القوات الاحتياطية وتشمل الاورطة الأولى من الآلاى المصرى الأول عبد العال افندى . والقسم الثالث ويضم الاورطتين الثانية والثالثة من الآلاى الثانى المصرى تحت قيادة ابراهيم حيدر افندى . وأخيراً القسم الرابع ويتكون من الأورطة الثالثة من الآلاى الحادى عشر المصرى تحت قيادة على صبرى افندى .

وقد دخلت هذه القوات فى قتال مع الثوار فى معاقلهم فوق المرتفعات ، ففرقت شملهم واستولت على قمم الجبال المؤدية إلى اسفاكيا . وعلى يمين تلك القوات أخذت الجنود التركية تحارب جموع الثوار المحتشدين . وقد كبدت هذه المعركة الثوار خسائر فادحة وخصوصا اليونانيين . أما الخسائر فى القوات التركية والمصرية فكانت طفيفة .

وكان لهذا الانتصار نتائج هامة ، إذ خضعت كل القرى الواقعة فى قطاع أبى قرون والتى تمتد من الخليج الجنوبى إلى اسفاكيا بعد أن أصيب الثوار بفزع شديد . واستطاع المصريون أيضاً من استعادة ثلاثة من الرهائن الذين تركوا فى معركة أبى قرون الاولى ، وكذلك المهمات والخيام . وقد أعاد هذا النصر للجيش المصرى سمعته . وبرز فى هذا القتال القائد غالب والاميرالاى حسين قاسم .

موقعة دير اركادى Arcadi

أقام مصطفى باشا فى نيبوس Nipos عدة أيام طلباً للراحة قبل مهاجمة اقليم اسفاكيا موطن الاضطراب والشغب . وفى ذلك الوقت استقر رأى أهل الاقليم على إرسال مندوب عنهم يرافقه ١٩ من النبلاء لمقابلة القائد مصطفى ليقدموا له خضوعهم وولاءهم ، وكان ذلك فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٦٦ . ولكن مصطفى قد ظن أن الثورة قد انتهت ، ولهذا فانه شدد فى ضرورة تسليم الأسلحة فى موعد غايته نوفمبر(١) ، ولكنه كان مخطئاً فى ظنه ، إذ أن تشدده هذا قد دفع الثوار إلى الهياج وعدم الخضوع والتسليم حتى آخر قطرة من دمائهم ، وساعدهم على ذلك نزول دفعة جديدة من المتطوعين اليونانيين فى أواخر نوفمبر بالقرب من كيساموس Kissamos تحت قيادة ليونردى Léonardi ، وكان ذلك إيذاناً بعودة الاضطرابات من جديد ، فاشتعلت الثورة فى اقليم ريتمو Rétimo ولكن سرعان ما سارت اليها القوة المصرية ودخلتها عنوة فى ١٨ من نوفمبر

بعد خضوع القرى الرئيسية فى مقاطعة ريتمو التجأ الثوار الذين لم يلقوا بأسلحتهم وعلى رأسهم الأميرالاى كرونيوس Coroueós السابق ذكره إلى ديراركادى Arcadl وهو على مسيرة ٥ ساعات من ريتمو وهو عبارة عن حصن منيع مسور شأن كل الأديرة والصوامع بالجزيرة . وإستحكاماته غاية فى المتانة والرصانة ومتسع من الداخل وفيه غرف متعددة فى الطابق الأول والثانى كلها تحتوى على منافذ لمراقبه المغيرين ولإستعمال السلاح، وفيه فرن وطاحون وصهريج

دير اركادى

---

(3) Aff. Etrang. Corr. Polit. teleg. Outrey au Ministre Alex. 8 Nov. 1866

وآبار ومخازن ودور للمواشي وهو شبه قلعة [١]. وكان بالدير في ذلك الوقت عشرون من رجال الدين و٣٠٠ من الكريتيين مع أسرهم و٣٠ من المتطوعين المعتصمين وراء المتاريس تحت قيادة بياكوبولو Pimacopoulo [٢]. وبلغ عدد النساء والأطفال ما يقرب المائة أما عدد الرجال القادرين على حمل السلاح فيقدر بعدد يتراوح بين ٤٥٠ و ٥٠٠ نفر [١] .

وقد أخذ الفريق اسماعيل على عاتقه القيام باقتحام هذا الدير ، وفي ١٨ نوفمبر ١٨٦٦ خرج من قرية إبسكوبي Episcopi في الساعة الرابعة وتحت إمـرته ٩ بلوكات من القوات المصرية و٩ بلوكات عثمانية وأكـثر من ألف جندي ألبـاني بعد أن تركت في هذه القرية ٤ بلوكات مصرية ومثلها تركية ، الأولى تحت قيادة كوبر أغا والثانية تحت قيادة قائد تركي .

أصدر الفريق اسماعيل باشا أوامره إلى الأميرالين سليمان بك ولاتي بك بالتحرك على رأس قوة تتكون من ٣ أورط و٥٠٠ جندي الباني و١٥٠٠ من الجنود المحليين لمحاصرة الدير. واستطاع الفريق اسماعيل بما لديه من قوات الاستيلاء على القرى الثلاث بيا Pia ولوطرا Lotra وميسى M ssi في ٢٠ نوفمبر ١٨٦٦ [٤] . ولما

---

(١) محفظة ٢٨١ عابدين من اسماعيل سليم إلى الجناب العالي (الوقوعات العسكرية اليومية في ١٤ رجب ١٢٨٣ (٢٢ نوفمبر ١٨٦٦)٠

(2) Douin, Hist. de Règne .. Vol. 1 p. 376

(٣) محفظة ٢٨١ عابدين . من اسماعيل سليم إلى الجناب العالي (الوقوعات العسكرية اليومية) في ١٤ رجب ١٢٨٣ (نوفمبر ١٨٦٦)٠

(٤) محفظة ٢٨١ عابدين من اسماعيل سليم إلى الجناب العالي (الوقوعات العسكرية اليومية) في ١٢ رجب ١٢٨٣ (٢٠ نوفمبر ١٨٦٦)٠

وجد مصطفى أن الجنود المرسلة لمحاصرة الدير غير كافيـة ، أمر الفريق اسماعيـل بإمدادها بأورطتين مصريتين . وبنــــاء على تلك الأوامر قام الفريق اسماعيل بفرز أورطة من الآلاى الثالث تحت قيادة الأميرالاى اسماعيل كامل ، وأورطة ثانية من الآلاى المشاة السابع تحت قيادة راشد حسنى وكيل اللواء ، وسار الجميع تحت قيادة الفريق اسماعيل فوصل الدير حوالى الساعة الحـادية عشر ، فوجدوا الحصـار مضروبا حوله والطلقـات النـارية متبـادلة بين الفريقين،فاشتركت تلك القوات فى القتال إلى أن خيم الظلام على الدير وانقطع اطلاق الرصاص ، أمر الفريق اسماعيل، عبد القادر فهمى من سلاح المهندسين،وباوره على افندى باختبار موقع الدير ، ووضع المدافع فى الأمكنة الملائمة وإقامة المتاريس اللازمة،وتوزيع الجنود عليها . وقد أتما هذا العمل فى الساعة السادسة صباحا ولم تحل الأمطار الشديدة المتواصلة من انجاز هذا العمل.[١]

---

(١) المصدر السابق

وصف المعركة

وصل مصطفى فى المساء إلى مكان المعركة ومعه أورطة وإبتداء تبادل إطلاق نيران المدفعية من صباح ذلك اليوم ، وصوبت طلقات المدافع نحو البرج المنيع المستدير الشكل المخصص لصد هجمات المغيرين من الهجمات الأربع . ولما شاهد الفريق اسماعيل تقدم الجنود التركية بقصد إقتحام البرج أراد أن يكون له قصب السبق فى هذا العمل ، كى يمحو العار الذى لحق بالقوات المصرية فى موقعة أبى قرون. فأصدر[1] أوامره فى الحال إلى كل من راشد وكيل اللواء ويرافقه أربعة بلوكات واسماعيل كامل أميرلاى المشاة الثالث ويرفقته أربعة بلوكات أخرى بالإسراع فى اقتحام البرج. ولما وجدت هذه القوة حرج مركز الجنود الارناؤوط والباشبوزق الموجودين بالجهة البحرية من الدير ، أخذ راشد بك قدرا من العساكر وزحف معهم على الأرض نحو البرج ، ولما وصلوا الى سد المنافذ الواقع فى الجهة البحرية أشعل النار فى البناء المتصل بالبرج ، فاشتعل البارود الموجود به فامتلأت الغرف بالدخان ، فاندفع الثوار الى الخارج هربا من الاختناق ، فقضت عليهم العساكر المصرية خارج الدير . وكان من نتيجة إشتعال النار فى الطابق الأسفل من البرج أن هلك كل من فيه من الثوار وعددهم ١٤ ثائرا. وصوب لطيف أفندى بكباشى المدفعية مدفعه نحو باب الاستحكام وأطلق عليه ٥٠ قنبلة فحطمه ، ووجه نيران المدافع أيضا نحو سور البرج الغربى فأحدث به تصديعا كبيرا . وفى ذلك الوقت كانت الجبه خانة قد قاربت على النفاد ، فأرسل البكباشى على أفندى أحمد

---

(١) محفظة ٢٨١ عابدين من اسماعيل سليم إلى الباب العالى (الوقوعات العسكرية اليومية) فى ١٣ رجب ١٢٨٣ (٢١ نوفمبر ١٨٦٦) .

الياوران إلى قرية ميسى Missi لإستحضار صناديق الجبه خانة الستة الموجودة هناك ، فأحضرها فى الحال واستمرت المدافع تعمل دون انقطاع . ثم أصدر الفريق إسماعيل سليم أوامره إلى راشد للهجوم على الدير ، فتقدم نحو باب الاستحكام فى طليعة عساكره ووجد أن هناك سدا آخر محكما ومشيدا فى مدخل الدير لمنع الدخول اليه ، فتسلق جدار الغرفة التى فوق باب الاستحكام المتهدم ، وصعد فوق الجدار ،وساعد كلا من اليوزباشى مصطفى عارف ومصطفى خلوصى أفندى اللذين كانا بصحبته ، ورفع الالاى فوق هذه الناحية من البرج . ثم جذب بيده سائر الضباط والعساكر الذين فى رفقته واحدا بعد آخر إلى جانبه. ولما رأى الأتراك وعساكرهم بسالة العساكر المصريين وكثرة عدد الذين دخلوا منهم البرج تحركت نخوتهم وشرعوا فى التقدم والهجوم نحو باب الاستحكام وساعدهم فى ذلك راشد والعساكر المصريين للصعود إلى الطابق الثانى [1] . وعندما امتلأت الغرف بالجنود انسحب الثوار إلى الأماكن الخالية . فتقدم الأميرالاى إسماعيل كامل بعساكره إلى هذه الأماكن ودخل من الفتحات التى أحدثتها القنابل، واحتل الطرف الأسفل منها. وفى هذه الفترة كانت العساكر قد إحتلت الجهة البحرية من البرج أيضا .

ولما ضيقت الجنود الخناق على الثوار وأشعلوا الجبه خانة الموجودة فى الجهة الشمالية الشرقية من الدير ونسفوها فامتلأت جنبات الدير بدخان كثيف ارتدت على أثرها العساكر التركية والباشبوزق التى تجمعت تحت الجدار . وبعد زوال

---

(١) المصدر السابق .

الدخان صدرت اليهم الأوامر بالهجوم فعادوا ثانية واحتلوا الأماكن التى إرتدوا عنها .

أما بخصوص العساكر المصرية ،فبعد إحتلالهم الأماكن المذكورة وإمطارهم الثوار وابلا من الرصاص ، لجأ هؤلاء الثوار إلى تفجير اللغم الجسيم الكائن فى وسط الجهة البحرية من الاستحكام فأحاط الدخان كل الجهات وأرقدت العساكر المصرية والتركية التى هاجمت الدير من جهة باب الاستحكام . وقد أرسل الفريق إسماعيل سليم الياور محمود سامى البارودى بسرعة لتشجيع الضباط والجنود وحثهم على معاودة الهجوم . فحملت الجنود على الثوار مرة ثانية واحتلوا ضلعين من الدير . أما فيما يتعلق بالجهتين الشرقية والغربية من الدير اللتين لم تحتلا بعد أرسل الفريق إسماعيل ٤ بلوكات من العساكر لمساعدة القوة الموجودة هناك . وفى ذلك الوقت تقدم فى ذلك الوقت تقدم مصطفى نحو العساكر لمشاهده المعركة عن كثب ، كما تقدمت القوات التركية الموجودة فى الجهة الشرقية من الدير تعززها المدفعية واقتحمت الدير ، ولما كانت الجهة الشرقية محتلة أيضا فقد لجأ الثوار الباقون إلى الضلع القبلى من الدير فسلطت عليهم عليهم النيران ففر منهم ٣٠ إلى خارج الدير حيث تلقتهم سيوف الجنود . ثم حدث أن اشتعلت كمية قليلة من الجبه خانة فى داخل الدير ولم تلحق أى ضرر بالجنود المصرية أو التركية بل انحصر ضررها فى الثوار أنفسهم .

وقد دامت تلك الملحمة الدموية إلى المساء ، ودخلت الجنود جميع أقسام الدير وأعملت السيوف فى رقاب من تبقى من الثوار ، وأشعلت النار فى مختلف أنحاء الدير . وأعطى الأمان للنساء والأولاد والرهبان الذين كانوا معتصمين بالدير ، وأخرجوا منهم دون أن يصيبهم أذى . وانتهزت عساكر الباشبوزق والارناؤوط

هـذه الفرصة وجاسوا خـلال الغرف باحثين عن الغنائم والأسلاب ، فأخـذوا معهم كل ما عثروا عليه من ذخائر ومهات وغيرها .

وبعد أن انتهت المعركة أعيدت الجنود إلى مركز القيادة ليأخذوا قسطهم من الراحة . وبلغت خسائر القوات المصرية فى هذه المعركة ٩ قتلى و٢٣ من الجرحى [١] أما عن خسائر الجانب التركى فكانت كما يلى [٢] .

قتلى	جرحى	
٢٤	١٠٤	من العساكر الشاهانية
٠٦	٠١٥	من العساكر الأرناؤوط
١٤	٠٢٤	من أهالى ريتمو
٥٤	١٤٣	

أما عن الثوار فقد أصيبوا بخسارة فادحة إذا لم ينج منهم أحد من القادرين على حمل السلاح والذين سبق أن أشرنا إلى أن عددهم كان يتراوح بين ٤٥٠ و ٥٠٠ نفر وكان من بين القتلى رئيس كهنة الدير و مختارى القرى و ٥٠ نفرا من ثوار الصورة . وقد قامت القوات المصرية والتركية بتوزيع الأسرى على القرى الثلاث ميسى Missi ولوطرا Lotra وبيا Pia .

وعنـدما علم والى مصر بنبأ الإنتصار سر سرورا كثيرا ، ولاح له الأمـل الذى كان يترقبه بصبر نافذ ، ألا وهو عودة الهدوء والسكينة إلى أرض الجزيرة حتى يتسنى له سحب جنوده منها بطريقة مشرفة / فأرسل كتاب شكر وتشجيع

(1) Douin. Hist du Règne Vol. I P. 379.

لجنود الحملة وضباطها على ما أبدوه من شجاعة وإقدام . وأنعم على الفريق اسماعيل سليم بالوسام العثمانى من الدرجة الأولى [١] . ومنحت رتبة اللواء إلى الأميرلاى راشد حسنى تقديرا لبطولته فى إقتحام الدير وتسلق أسواره . وكذلك منحت رتبة الأميرالاى إلى القائمقام عثمان رفقى لنفس السبب (٢) كما منح الأميرالاى إلى إسماعيل كامل النيشان المجيدى (٣) من الدرجة الثالثة وأنعم على قاسم البحرى برتبة اللواء (٤) وعين أميرالاى على السفن المصرية (٥) .

كما أشار ناظر الجهادية الفريق إسماعيل باشا إلى الأعمال المجيدة التى قام بها كل من حسن عاصم أميرالاى المشاه الأول ، وخالد أميرالاى المشاه الحادى عشر ونوه بصفة خاصة بمهارته وحكمته فى الأمور السياسية والدبلوماسية . وكذلك أشاد بخورشيد عاكف أميرالاى المشاه الثانى ، وبمحمود سامى البارودى ، وقد رشحه لتولى لواء الآلاى الغارديا السوارى تقديرا لخدماته وبسالته (٦) .

---

(١) أمين سامى باشا - تقويم النيل . المجلد الثانى . الجزء الثالث ص ٦٨٧ (ارادة لناظر الجهادية فى ٢٢ رمضان ١٢٨٣ وأواخر يناير ١٨٦٧)

(٢) المصدر السابق - (ارادة إلى ناظر الجهادية فى ٢٩ رجب سنة ١٢٨٣ ديسمبر ١٨٦٦) .

(3) Douin; Hist. du Règne ... vol. I P. 380

(٤) اسماعيل سيرهنك - حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٥) المصدر السابق :

(٦) محفظة ٢٨١ عابدين من ناظر الجهادية اسماعيل سليم الى الجناب العالى فى شعبان ١٢٨٣ (ديسمبر ١٨٦٦) .

بعد أن فرغت القوات المصرية والتركية من تحطيم قوة الثوار فى موقعة دير (أركادى)،وجه مصطفى إنذارا إلى أهالى موقع ميليبوتامو Milipotamo بالإخلاد فورا إلى الهدوء والسكينة، وبتسليم مالديهم من الأسلحة والعتاد وإلا ألزمهم بتنفيذ تلك الأوامر بالقوة . فأتى اليه قساوسة القرية وأعيانها وطلبوا منه الأمان، فأمنهم على أورواحهم وممتلكاتهم . ولم يبق مصراً على التمرد والعصيان من القرى إلا ناحيتى كيساموس Kissamos وسلينو Solino [1].

(١) محفظة ٢٨١ عابدين من ناظر الجهادية اسماعيل سليم الى الجناب "العالى (الوقوعات العسكرية اليومية) ٤ رجب ١٢٨٣ (٢٢ نوفمبر١٩٦٧) .

الفصل الثالث

سياسة مصر إزاء مسألة كريت

فى

الفترة الثانية

أخذ اسماعيل يمهد لسحب قواته من كريت بعدما رأى مراوغة الحكومة الفرنسية فى تأييد سياسته فى ضم الجزيرة . واتخذ من هذه الفكرة سلاحا يلوح به فى وجه الباب العالى لكى يضطر إلى التسليم بمطالبه ، لأن القوات العثمانية لم تكن كافية بمفردها للقضاء على الثورة . وعندما حاول اسماعيل جس نبض الحكومتين الفرنسية والانجليزية فيما اعتزمه من سحب قواته من الجزيرة ووجد أنهما تعارضان فى هذا التصرف، لما ينطوى عليه من خطورة على موقف القوات التركية بالجزيرة ، نظرا لقلة عددها بالنسبة للقوات المصرية ، ولأن الثورة ما زالت قائمة ، أخذ يتحين الفرص لسحب قواته من الجزيرة بعد أن تحرز نصرا حاسما على الثوار يمحو ما لحق بها من عار فى موقعة أبى قرون الأولى . وبذلك يستطيع سحب تلك القوات من الجزيرة بطريقة مشرفة ودون معارضة الحكومتين الانجليزية والفرنسية ، وخصوصا بعد أن تهدأ الحالة فى الجزيرة .

ووجدنا أن اسماعيل قد انتهز فرصة انتصار القوات المصرية فى موقعة أبى قرون الثانية وحاول إخراج رغبته هذه إلى حيز التنفيذ . ولكنه رغم ذلك لم

يقطع الأمل نهائيا فى ضم الجزيرة ، خصوصا وأن الحكومة الفرنسية لم تقف من هذا الموضوع موقفا حاسما . فلا هى أيدته تأييدا صريحا فى موقفه من ضم الجزيرة،ولاهى صدته عن رغبته وأوضحت له صراحة بأنها لا تستطيع مساعدته، نظرا لمعارضة الحكومة الانجليزية فى ذلك .

ويبدو أن الحكومة الفرنسية خشيت أن تحطم آمال إسماعيل العريضة إذا ما أظهرت له حقيقة موقفها من تلك المسألة ، فربما صرفه هذا الموقف عن السير فى ركاب السياسة الفرنسية . ولهذا فإنها آثرت سياسة التسويف والمماطلة إزاء إسماعيل حتى يضطر فى النهاية ومن تلقاء نفسه إلى نبذ تلك الفكرة .

وبعد موقعة دير أركادى يصدر إسماعيل أوامره ، (٢٠ نوفمبر ١٨٦٦) إلى إسماعيل سليم بضرورة سحب القوات المصرية جميعها من كريت بعد إنتهاء الثورة مباشرة لأنه لايريد أن يورط نفسه بإبقاء نصف الجنود المصرية فى الجزيرة بناء على طلب الباب العالى ، ولتخفيف الضغط عن كاهل الميزانية العثمانية [١] . وقد أرسل قنصل فرنسا الجنرال بمصر إلى حكومته كتابا [٢] يخطرها فيه بعزم اسماعيل على إستدعاء قواته من كريت ، وبأن الصدر الأعظم قد غضب للطريقة المفاجئة التى أعرب بها إسماعيل عن هذه الرغبة - ويظن أن إسماعيل قد أجيب إلى طلبه هذا بأنه يستطيع أن يفعل مايروقه [٣] .

(١) محفظة ٢٨١ عابدين من الجناب العالى الى ناظر الجهادية بكريت فى ١٢ رجب ١٢٨٣(٢٠ نوفمبر ١٨٦٦)

(2) Aff. Etrang. Corr. Polit. No. 125 Bonnières au Ministre. Pêra (Turquie) 19, Dec. 1866.

(٣) المصدر السابق

وقد ساء إسماعيل تجدد الاضطرابات فى الجزيرة من جديد نتيجة لاخفاق الأسطول العثمانى فى محاصرة شواطئها ،الأمر الذى أدى إلى تسلل الثوار اليونانيين إليها ، وعودة الاضطرابات من جديد . وقد أشار إسماعيل إلى أن النصر الذى أحرز فى الجزيرة كان راجعا إلى مجهودات قواته البرية ، وحشدها فى الجزيرة فى الوقت المناسب ، وأنه كان يأمل أن يكون لديه عدد كاف من السفن الحربية ليستطيع بها إحكام الحصار البحرى كما إستطاعت قواته البرية إحكام الحصار البرى[1] .

وعندما انقضى عام ١٨٦٦ وأخذت مسألة كريت تدخل فى عام جديد، بدأت الوساوس تساور نفس إسماعيل ، وأخذ قلقه يزداد يوما بعد يوم ، فمشكلة كريت ما زالت قائمة [2] دون حل ، فلا هو إستطاع ضم الجزيرة لحكمه ولا تمكن من سحب قواته منها . ولهذا تبدوا المرارة واضحة فى الكتاب الذى أرساله إلى قائد قواته بكريت حيث يقول «قد قمنا بتضحيات عظيمة من جهة الأموال والأرواح فى سبيل خدمة الدولة ، ولانزال قائمين بالتضحية ، ولكننا لم نر قط أثرا لذلك، بل ضنوا بالامتيازات الطفيفة ، التى وعدت بها الذات الشاهانية . ولما أردنا زيادة عدد جنودنا شكوا فى أمرنا ، وقالوا نخشوا أن تستعملوها ضدنا . فأى خير نرجوه منهم إذاً ؟ وأى منفعة نجنيها من رأئهم ؟ فاذاً يجب أن نستبعد جنودنا بسهولة ونشتغل بما يعنينا . »

---

(١) دفتر ٢٤ عابدين وثيقة رقم ٢٤٤ من الجناب العالى إلى القبوكتخدا فى ١٦ شعبان ١٢٨٣ (ديسمبر ١٨٦٦)

(٢) محفظة ٢٨١ عابدين من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية (مذكرة غير رسمية) فى ٢٢ رمضان ١٢٨٣ (أواخر يناير ١٨٦٧).

ولما شعرت الحكومة الفرنسية بحرج موقفها إزاء الحاح إسماعيل المتكرر عليها بضرورة الإشارة بما ينبغى عليه عمله إزاء تلك المشكلة ،ولما كانت الحكومة الفرنسية لاتستطيع تأييد سياسة إسماعيل بشأن الجزيرة،فقد أشار وزير خارجيتها على نوبار باشا ، «بأن تقوم مصر بسحب جنودها من كريت دون أن يعلم بذلك أحد،وبألا تتدخل فى شئون الدولة العثمانية [1] » وكان هذا الحل الذى اقترحته فرنسا مخرجا لإسماعيل لجأ اليه لتخفيض قواته فى الجزيرة قبل أن يوافق الباب الباب العالى على عودتها إلى مصر .

ولم يكن إسماعيل يجرؤ على تخفيض عدد قواته بصفة علنية ـ لا لخوفه من بطش الباب العالى ـ بل لما يحتمل أن ينطوى عليه هـــذا التصرف من عرقلة فى الحصول على ما يطلبه من إمتيازات . وقد أوضح إسماعيل فى مذكرته[2] إلى حسن راسم (ناظر الخاصة العلية والموجود بالاستانة [3]) المتاعب التى تسببها له مشكلة كريت فيقول « وما لايحتاج الى بيان أو تفصيل أنه مادامت مسألة كريت باقية دون حل حاسم وقد طال أمدها كثيرا ، فإن مصاريفنا آخـذة فى الزيادة

---

(1) Aff. .Etrang. Corr. Polit. teleg. Le Ministre à Ouirey. paris 13 Mars 1867.

(٢) دفتر ٢٤ عابدين وثيقة رقم ٢٩٤ من الجناب العالى الى حسن راسم فى ٢١ شوال ١٢٨٣ (فبراير ١٨٦٧).

(٣) أرسله اسماعيل باشا الى الآستانة ليكون على مقربة من كامل بك القبوكتخدا ليقوم بالمهام السرية جداً التى يخشى اسماعيل باشا تكليف كامل بك القيام بها (دفتر ٢٤ عابدين وثيقة ١٥٥ من الجناب الخديو الى حسن راسم باشا فى ٢٨ جماد أول ١٢٨٣ (اكتوبر ١٨٦٦).

وكتفنا ينوء بحملها الذى يزداد ثقلا يوما بعد يوم ، لأن اشتراكنا فى هذه المسألة يقضى علينا بذلك ، وأصبحت هذه المسألة بالنسبة لنا كعلقة (دودة) تمتص الدماء، لأن لنا هناك عساكر كبيرة وسفن وافرة ، وهذا من جهة يكبد خزينتنا مصاريف فوق العادة ومن جهة أخرى بسفك دماء رجالنا .

«ومن الطبيعى أنه ما دامت لنا يد فى هذه المسألة فلا بد أننا سندخل فى المسألة الشرقية كما أننا مضطرون هنا ، الى اعداد قوات أخرى من العساكر غير الموجودين هناك تحت السلاح ، وإلى القيام بمهام أخرى غير ذلك وما دامت هذه الحركات قائمة فإننا معرضون لكثير من المشكلات والمتاعب، وإذا إستمر الحال على ذلك وقتا آخر فلا يعلم إلا الله ماذا تكون العاقبة . هذا ما يقلق بالنا ، لأننا فى مركز تكاد فيه أمورنا الداخلية أن تكون معطلة وهذا الوضع لا يوافقنا بأى حال من الأحوال ولا يمكن لمصر أن تتحمله» .

ويشير عليه فى هذا الكتاب أيضا بالاتصال بالمسئولين العثمانيين وإحاطتهم علما بأن عدد القوات والسفن المصرية الموجودة بالجزيرة كبير جدا ، وأن هذا الوضع يحمل الميزانية فوق طاقتها - إذا كان هذا الحديث لا يعرقل مساعيه فى الحصول على لقب خديو - ، أما إذا تبين أن طلب إنقاص العساكر والسفن سوف لا يقع موقعا حسنا لديهم وأنه سيكون سببا فى تعطيل ملتمساتنا فلا نفتح هذا الموضوع الآن واسكت عنه [1] .

وفى انتظار اسماعيل حل مشكلة كريت وإجابة مطالبه أرسل أوامر سرية الى القائد المصرى بكريت بأن يستغل فرصة المرض الذى ألم به أطول مدة ممكنة

---

(١) المصدر السابق

ليتسنى له الوقوف على الحياد وعدم الاشتراك فى الأحداث الجارية فى الجزيرة [١].

وحاول نوبار أثناء وجوده بالآستانة (مارس سنة ١٨٦٧) أن يحصل على موافقة الحكومة العثمانية بعودة العساكر المصرية من كريت فى نظير مساعدة مصر للباب العالى فى القضاء على ثورة أمير العسير [٢] ، ولكن إسماعيل لم يوافق على إثارة هذه المسأله الجديدة قبل أن يبت الباب العالى فى مطالبه الخاصة بمنحه لقب خديو وبعض الامتيازات الاخرى (٣) فاكتفى اسماعيل بأن أرسل الى أمير عسير كتابا يهدده فيه بإرسال قوة عسكرية كبيرة لإخضاعه اذا لم يرجع عن غيه ويعود لطاعة السلطان .

وكان اسماعيل من حين لآخر يحاول حمل الحكومة الفرنسية على إبداء نصحها للباب العالى واقناعه بضرورة تلبية مطالبه، عن طريق التلويح القنصل الفرنسى الجنرال بعزمه على إستدعاء قواته من كريت إذا لم يذعن الباب العالى لإجابة تلك المطالب. وقد أوضح له القنصل الفرنسى (اوترى) فى ١٥ مارس عام ١٨٦٧ الصعوبات التى تترتب على الانسحاب المفاجىء لقواته، وبين له أن الحكومة الفرنسية لا تعترض على سحب القوات المصرية من الجزيرة ، ولكن يجب أن تمنح الحكومة العثمانية فرصة كافية لاتخاذ التدابير اللازمة التى تنشأ عن هذا الانسحاب وكان اسماعيل قد أصدر أوامره (٤) الى قائد قواته بالجزيرة بالعمل على تجميع القوات المصرية وتركيزها

---

(1) Dossier de 1867. teleg. No. 27 de Vice Roi à Nubar à Constantinople daté du Caire Le 25 Avril, 1867.

(١) محفظة ٢٤ عابدين . وثيقة رقم ٢٦١ من الجناب العالى الى نوبار باشا فى ١٩ ذى القعدة ١٢٨٣ (مارس ١٨٦٦).

(٣) المصدر السابق

(4) Aff. Etrang Corr. Polit. No.15 Outrey au Ministre Alex. 18 Mars, 1866

عـلى شاطىء الجزيرة استعدادا لتلبية أول اشارة توجه اليه بالعودة الى مصر . ولما علم قنصل فرنسا الجنرال (أوترى) بهذه الأوامر أشار على اسماعيل بضرورة التروى ، وأنه مهما ناله من غبن على يدى الحكومة العثمانية فلن يستطيع معتمداً وضع الباب العالى ، وكذلك الدول الأوروبية التى تهتم بمسألة كريت فى ارتباكات سياسة لاترضى عنها ، وأن تبعة ماقد يتعرض له الجيش العثمانى من أضرار تقع عـلى عاتقه . ورجاه بألا يعمل عـلى زيادة الموقف فى الجزيرة تعقيدا، وذلك بإتاحة الفرصة للثوار لمعـاودة نشاطهم إذا ما علموا باحتمال انسحاب القوات المصرية .

وكان اسماعيـل فى الأشهر القلائل التى سبقت صدور فرمان ٨ يونيه ١٨٦٧ (الخاص بمنحه لقب خديو) كثير الثورة والغضب لإحجام الباب العالى عن اجابة مطالبه ، إذ كان اسماعيل يتلهف على نفض يديه من مشكلة كريت فى أقرب وقت مستطاع ؛ بعـدما تبين له استحـالة ضمها لحكم مصر . ولـكنه لم يكن يجرؤ على سحبها خشية أن يؤدى هذا العمل إلى زيادة غضب الباب العالى عليه ، وبالتـالى إلى إصراره على عـدم إجابة تلك المطالب . ولهذا السبب زادت حيرة اسماعيـل وبدا اضطرابه ، فهو لايدرى ماذا يفعل ولا أى الطرق يسلك للوصول إلى هدفه. فنجده يرسل إلى نوبار بالآستانة وفى ١٩ مارس عام ١٨٦٧ [1] يستشيره فيما يجب عمله ، وفيما يقترحه من حلول على ضوء ما استقاه من المعلومات أثنـــاء إقامته

(1) politis : Un projot d'alliance .. p. 59 (Instruction en turc du Vice Roi à Nubar, à Constantinople, datées du 13 Zilkadé 1283 (19 mars 1867) Archives du palais Repulique.

بالآستانة فهل يفضل نوبار أن يعلن اسماعيل عن عزمه فى استدعاء قواته من كريت والتفاهم مع سفراء الدول الأوربية بهذا الخصوص ، واتخاذ العدة لعقد معاهدة مع الحكومة الروسية ؟ أو على العكس من ذلك يفضل الصبر والأناة والاستمرار فى مفاوضة العثمانيين ؟ وحتى ذلك الوقت كان هناك بقية من أمل لدى الحكومة اليونانية فى إمكان عقد تحالف مع مصر . ولكن اسماعيل لم يجرؤ على التحالف مع اليونان أو عقد معاهدة مع الروسيا ، لأن هذا العمل يعرض سلامة منطقة الشرق الأدنى للخطر ، وهو ما تحرص كل من حكومتى انجلترا وفرنسا على تجنبه .

كما أن اسماعيل لم يكن جاداً فى اتصالاته بالقنصل اليونانى ، بل كان يريد أن يتخذ من تلك الاتصالات سلاحا لحث الباب العالى على إجابة مطالبه . ولهذا ظل اسماعيل حائراً ولم يستطع تحديد الاتجاه الذى يجب عليه السير فيه انتظاراً لنتيجة المفاوضات مع الباب العالى ، وكان اسماعيل - بطبيعته - يرغب رغبة أكيدة فى أن تحل الأزمة بينه وبين السلطان بالطرق الودية .

وتواترت الأنباء إلى اسماعيل تشير بأن الباب العالى يرفض منحه الامتيازات التى تقدم بها ، فكان لهذا النبأ وقع سيء عليه ، فيبعث اسماعيل ببرقية[1] إلى نوبار بالآستانة فى ١٧ مايو ١٨٦٧ يطلب اليه الحضور ، وإخطار الحكومة العثمانية بأن القوات المصرية ستستدعى من كريت . وكلفه بنقل هذا النبأ أيضاً إلى سفراء

---

(1) Dossier de 1867. teleg. No. 43 de Vice Roi à Nubar, à Constantinople. Le Caire en 17 Mai, 1867

الدول الأوربية . ولكنه عاد فى اليوم التالى وأبرق(١) اليه بأن يكتفى بتهديد الحكومة العثمانية بذلك وأن يكف عن إبلاغ سفراء الدول الاوربية .

ولكن هذه السحابة القاتمة التى خيمت على العلاقات بين اسماعيل والباب العالى لم تطل فترة طويلة ، إذ توارد الأنباء على مصر تبشر بميل الباب العالى إلى التساهل والعمل على ترضية اسماعيل بإجابة مطالبه . وكان لهذه الأنباء أثرها الطيب فى تهدئة ثائرة اسماعيل .

وفى تلك الفترة حاول اسماعيل أن يسير على سياسته ذات الوجهين فيما يتعلق بشئون الجزيرة ، ففى نفس الوقت الذى نجده يحث فيه القوات المصرية بكريت على التظاهر بالحمية والغيرة إرضاء للباب العالى ، حتى لايظن بأن أعمال الجيش قد اعتراها الفتور نتيجة عدم إجابة مطالبه حتى الآن . فيرسل إلى قائد قواته فى ٩ محرم سنة ١٢٨٤ (مايو ١٨٦٧) يأمره « بأن يكون همه أن يحتفظ الجيش المصرى بمظاهر النشاط العسكرى والبسالة حتى لايستشعر الباشا السردار (قائد القوات التركية بالجزيرة) أن تأخر قبول الملتمسات الخديوية قد سببت أدنى فتور أو أقل توان . فإذا استوجب الموقف الحربى كر الجنود المصريين وهجومهم فى مظهر الشجاعة والإقدام ولايعرضهم للتلف والهلاك فليفعلوا(١) » . نجده يحاول من جهة أخرى أن يعمل على تهريب أكبر عدد ممكن من القوات المصرية إلى مصر تخفيضاً لعددها بالجزيرة بعد أن تعذر عليه سحبها لرفض الباب العالى . فينتهز

(1) Dossier de 1867 teleg. No 44 du Vice. Roi à Nubar à Constantinople. Le Cairo er. 18 Nai, 1867

(٢) محفظة ٢٨١ عابدين (تركى) من الجناب العالى إلى ناظر الجهادية فى ٩ محرم ١٢٨٤ (مايو١٨٦٧).

اسماعيل فرصة تفشى المرض فى الجنود المصرية بكريت (مايو ١٨٦٧) ويرسل إلى قائد قواته يأمره « بانتهاز فرصة المرض السانحة فتؤدوا ما تقتضيه الأوامر السابقة من تهريب العساكر المرضى والمهزولين إلى مصر ، ولتستمروا فى إعادة هؤلاء النحاف الضعاف من كل ناقه من مرضه وخارج من المستشفى بحيث يركبون ٢٠٠ أو ٣٠٠ منهم فى كل باخرة قادمة إلى مصر كما كنتم تفعلون من قبل [١]. »

كما صدرت التعليمات أيضا الى الدكتور سالم بكريت (وقد أرسل للكشف على الجنود المرضى عندما تفشى فيهم الوباء) توضح له المهمة السرية التى أرسل من أجلها جاء فيها : « أما فرز العساكر ، فحيث أن أصل المقصود هو تقليل مقدار عساكر مصر الموجودة هناك بصورة غير مستنكرة . وها هو ذلك المرض الموجود الآن عذر مقبول ووسيلة موافقة لإجراء هذا المقصود ، ففى أثناء فرز العساكر لا يلزم منكم التدقيق ، بل كل من وجدت فيه مناسبة لتغيير الهواء تفرزوه ، وتصدقوا على أنه محتاج إلى تبديل الهواء ... من غير إظهار ذلك المقصود وأن هذه التعليمات سرية [٢] » .

---

(١) المصدر السابق

(٢) محفظة ٢٨١ عابدين من رياض باشا الى الدكتور سالم بك بكريت فى ٩ محرم ١٢٨٤ (مايو ١٨٦٧) .

تكملة العمليات الحربية

بعد موقعة دير أركادى كان أمام القوات المصرية والعثمانية تطهير الجزيرة من جيوب الثوار لتقضى بذلك على الثورة قضاء مبرما . فلم تطل مدة إقامة مصطفى الكريتلى فى خانية بعد استقرار الأمور فى مقاطعتى ريتمو وقنـــدية فبوصول متطوعى ليونداريدى Léondaridi إلى كريت عاد الهياج مرة أخرى الى موقع كيساموس Kissamos وحدثت مناوشات بين سكان تلك القرية من الاتراك وبين الكريتيين المجتمعين فى مسوجيا Mossogheia . وقد شجع الثوار وصول عدد من المتطوعين اليونانيين تحت قيادة الاميرالاى بيزانتيوس Bysantios قد هذا من أجل الثورة . وكان هدف بيزانتيوس الاستيلاء على قلعة كيساموس ، وانضمت اليه قوات ليونداريدى فبلغ مجموع الثوار مايقرب من ٢٥٠٠ رجل فوق المرتفعات المحيطة بسهل كيساموس لمهاجمة القلعة (١) .

أرسل مصطفى الكريتلى فرقاطتين عثمانيتين إلى الخليج القريب من القلعة لمؤازرة القوات الموجودة بها . وظهر من سير المعركة أن طلقات مدافع بيزانتيوس لا تنال من جدران الحصن شيئا ، بينما استطاعت الفرقاطتان والقلعة أن تصلى قوات بيزانتيوس ناراً حامية . واستمر القتال طوال اليوم دون أن يصلوا إلى أية نتيجة . وأخيراً قرر بيزانتيوس الإنسحاب والحاق بقوات كورونيوس Coronéos وزمبراكاكيس Zimbracakis حيث التجأ الجميع إلى قرية زوفرا Zuvra التى اتخذوها كمستودع للتموين والذخائر نظراً لمناعة مواقعها من الناحية الطبيعية . هذا من جهة ومن جهة أخرى لسهولة تحصينها ، إذ يكفى لإتمـــام

1 - Douin, Hist. du Règne.. Vol. I P. 380

استحكامها من بناء بعض المتاريس فى الجهة المفتوحة منها بعضها خلف بعض على طريقة أهل البلاد . وقد تم هذا العمل فى ظرف ساعات معدودات [١] .

وفى ٩ ديسمبر عام ١٨٦٦ سار مصطفى الكريتلى نحو كيساموس وقسم قواته البالغ عددها ٦٠٠٠ مقاتل إلى ثلاثة طوابير ؛ احداها يتكون من أورطة تركية والبانية ، فهاجم الثوار المحصنين فى موقع لاكوس Lakos ، بينما هاجمت باقى قواته جناح العدو . وقد استولى حاجى ميخالى وأهل لاكوس على المرتفعات الواقعة فى طريق تقدم الجيش العثمانى، وحاولوا إيقاف زحفه فترة من الوقت لكى يتيحوا للمتطوعين من الثوار والمجتمعين فى قرية زوفرا Zuvra فرصة الوصول إلى الموقع الجبلى سافورى Savouré المشرف على اقليم لاكوس . واستمرت مقاومة الثوار إلى أن نفدت مؤنهم وذخائرهم، فانسحبوا من موقعهم وتفرقوا فى أنحاء الجزيرة وتعقبت القوات التركية فلول المتطوعين . وقد بلغ من تعصب اليونانيين لنصرة ثوار كريت أن بعض المتطوعين اليونانيين البالغ عددهم ٧٠٠ نفر عندما ضيقت عليهم القوات المصرية الخناق طلبوا الأمان على أساس الرجوع إلى بلادهم . وعندما تم ترحيلهم ونزلوا إلى الأراضى اليونانية «خرج عليهم اليونانيون بالخناجر والحجارة وقتلوا بعضهم، وألقى البعض الآخر نفسه فى اليم، وأنقذت البواخر العثمانية البعض الآخر [٢] » . وهذا يدل على مبلغ تحمس الشعب اليونانى لقضية كريت .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨١ .

(٢) محفظة ٢٨١ عابدين من الفريق اسماعيل سليم الى الجناب العالى فى ١٤ رمضان سنة ١٢٨٤ .

تراخت القوات التركية مدة ثمانية أيام فى مطاردة الثوار مما شجع هؤلاء على إحتلال أوماليس Omalis وغزوا Agia Roumali (١) .

وفى ١١ يناير ١٨٦٧ ظهرت أربع فرقاطات حربية عثمانية أمام أجياروملى Agia Roumeli وبها ١٥٠٠ جندى واستولت عليها بعد أن ضربتها بالقنابل مدة ساعتين ، ففر المتطوعون تحت قيادة كورونيوس لإعادة تنظيم قواتهم من جديد . وكذلك استطاع زمبراكاكيس جمع ما يقرب من ٥٠٠ مقاتل وجرت بينها وبين القوات التركية البالغ عددها ١٥٠٠ والفرقاطات الحربية الثلاث معركة عند أجياروملى Agia Roumeli دامت ١٥ ساعة انتصرت فيها القوات التركية وفر المتطوعون .

وقد قام الفريق اسماعيل سليم فى ٨ شوال عام ١٢٨٣ (فبراير ١٨٦٧) بإرسال تقرير إلى مصر متضمنا الخسائر التى منى بها الجيش المصرى منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزيرة حتى ذلك اليوم . وهذا نصه (٢) :

1 - Douin, Histoire du Règne ..Vol. P .384.

(٢) محفظة ٢٨١ عابدين من الفريق اسماعيل سليم الى مهردار الخديو ٨ شوال ١٨٨٣ (فبراير ١٨٦٧) .

المجموع	القتلى	المتوفون بأجلهم	الغرقى	
١٤	...	١٤	...	الآلاى المشاة الأول
٨	...	٨	...	« « الثانى
٢٠٥	١٧٥	٣٠ (بالأمراض)	...	« « الثالث
١٦	٥	١١ («)	...	« « السادس
٤٩	٣٣	١٥	١	« « السابع
٥٩	٢٢	٢٥	٢	« « الحادى عشر
٢٥١	٢٣٥	١١٣	٣	

ومن البيان السابق يتضح لنا أن عدد الوفيات الطبيعية منذ رحيل القوات المصرية من ميناء الاسكندرية فى ٢٢ يوليه عام ١٨٦٦ حتى فبراير عام ١٨٦٧ حوالى نصف عدد من استشهد فى ميدان القتال. وذلك نتيجة للمرض الذى تفشى فى الجنود المصرية فى ابريل ومايو عام ١٨٦٧ .

ولما طال أمد الثورة ووجدت الحكومة العثمانية أن أسطولها المكلف بحراسة شواطىء الجزيرة لم يستطع إحكام الحصار على الجزيرة ومنع تسرب المتطوعين من الوصول اليها ، عينت المشير البحرى وسيم «كومندانا عاما على البوارج المعينة لحصر الجزيرة (١) » . بدلا من ابراهيم المورهلى . كما أرسلت الدولة العثمانية عالى الصدر الأعظم إلى الجزيرة للوقوف على أسباب الثورة بها ، « فعزل عمر باشا (القائد العام التركى) لتراخيه فى الحركات العسكرية وسوء سلوكه ونصب بدله عونى باشا ، فسكنت الثورة فى زمن قليل (٢) » . كما أسندت اليه أيضاً ولاية الجزيرة. وقد ساعده على إنهاء الثورة وعودة الاستقرار إلى الجزيرة جمع السلطتين الادارية والعسكرية فى يديه .

وفى أبريل عام ١٨٦٦ أصيب الفريق اسماعيل سليم قائد القوات المصرية بكريت بمرض أقعده عن القيام بمهام منصبه ، فأرسل إليه والى مصر الفريق عبد القادر الطوبجى لمعاونته (٣) . وعندما اشتدت وطأة المرض عليه طلب منه

---

(١) اسماعيل سرهنك - حقائق الأخبار ٢ ص ٢٩٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أمين سامى باشا - تقويم النيل المجلد الثانى الجزء الثالث ص ٦٩٢ (ارادة لناظر الجهادية بكريت فى ١٠ ذى الحجة ١٢٨٣ - ابريل ١٨٦٧) .

الوالى العودة إلى مصر لمعالجته وتعيين عبد القادر الطوبجى قائدا للقوات المصرية بدلا منه (١) . وفى ١٩ يونيه عام ١٨٦٧ وردت الأنباء إلى مصر بوفاة الفريق اسماعيل سليم فى ١٦ يونيه عام ١٨٦٧ بعد أن عالج شئون الجزيرة الحربية والسياسية بحكمة واعتدال طوال فترة تولية قيادة القوات المصرية (٢) . ولم تستمر فترة قيادة عبد القادر مدة طويلة ، إذ مالبث أن عين محافظا لمصوع وعين بدله (٣) الفريق محمد راتب فى أول اكتوبر ١٨٦٧ ، واستمر حتى جلاء القوات المصرية جميعها فى ٢ نوفمبر ١٨٦٧ .

وفى خلال فترة قيادة عبد القادر ، بعث بتقرير مفصل عن عدد القوات المصرية بالجزيرة وما أصابها من خسائر نجمله فيما يلى (٤) :

عدد	
١٥١٦٦	أصل الموجود
١٩٨٩	المعادون إلى مصر لتغيير الهواء

---

(١) أمين سامى - تقويم النيل المجلد الثانى الجزء الثالث ص ٦٩٢ (ارادة لعبد القادر بكريت فى ١٢ ذى الحجه ١٢٨٣ - ابريل ١٨٦٧) .

(٢) الوقائع المصرية العدد ١١٦ الصادر فى ١٦ صفر ١٢٨٤ (١٩ يونية سنة ١٨٦٧) .

(٣) أمين سامى - تقويم النيل المجلد الثانى الجزء الثالث (إرادة لعبد القادر بكريت فى ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٤ - أول ابريل ١٨٦٧) .

(٤) محفظة ٢٨١ عابدين من عبد القادر قائد العساكر المصرية بكريت إلى مهردار الخديو فى ١٥ جماد أول ١٢٨٤ (سبتمبر ١٨٦٧) .

عدد	
٢٧٧	المجروحون المعادون إلى مصر
١٩٤	المجروحون المتوفون
١٨٩	المجروحون المصابون
٢٥٧	المستشهدون فى المعارك
٨٨٢	المتوفون بأمراض عادية
١١٥٦٧	(هكذا فى النص) الباقى (وهذا العدد لا يطابق الواقع إذ يجب أن يكون الباقى ١٢٣٧٨ وذلك إذا ما خصمنا عدد المتوفين والعائدين إلى مصر من أصل عدد الموجود بالجزيرة وقدره ١٥١٦٦)

ويتضح من هذا البيان - على فرض صحته - أن عدد الوفيات نتيجة للمرض ضعف عدد الذين استشهدوا فى ميدان القتال .

وفى أثناء قيام الأسطول العثمانى بمحاصرة الجزيرة تحت قيادة المشير وسيم ، شاهد أحد الوابورين اللذين استخدمهما متطوعو اليونان فى نقل المؤن والذخائر إلى الثوار ويطلق عليه اسم أركادى ، فتعقبه الوابور العثمانى المسمى عز الدين فالتجأ الأول إلى الجون المسمى قبوكريو من ساحل كريت وأشعل بحارته النار فيه ، ولكن بحارة الوابور العثمانى استطاعوا إخمادها وإصلاح ما ألم به من عطب فى ميناء سوده . ثم ألحق بسفن الأسطول العثمانى بعد استكمال إصلاحه . أما الوابور الآخر ويدعى النوسيس ، فقد طاردته بعض قطع الأسطول العثمانى فالتجأ إلى ميناء بيريه ببلاد اليونان ، فطلبت الحكومة العثمانية من حكومة اليونان تسليم الوابور . فثارت ثائرة جمعية الثورة بها وطالبت الحكومة اليونانية

بعدم التسليم . فأدى ذلك إلى اتهام الحكومة العثمانية لحكومة اليونان بالتواطؤ مع الثوار ومساهمتها فى مساعدتهم وتحريضهم وبعثت اليها بإنذار نهائى فى ١١ ديسمبر عام ١٨٦٨ وحددت لها مدة خمسة أيام كحد أقصى لقبول المطالب العثمانية التى تتلخص فى الامتناع كلية عن إعداد العصابات وإرسال المهمات الحربية على السفن اليونانية لمقاومة السلطات التركية الحاكمة فى كريت . فرفضت الحكومة اليونانية قبول تلك المطالب ، فتكهرب جــو العلاقات بين البلدين ، وقطعت الدولة العثمانية علاقتها السياسية مع اليونان وطردت قنصلها من الآستانة وبدأت فى طرد الرعايا اليونانيين من ممتلكاتهم . وعززت تلك الإجراءات بإرسال الأسطول العثمانى تحت قيادة الأميرال هوبارت باشا Hobart Pacha الانجليزى إلى ميناء بيريه مهدداً السواحل اليونانية بالحصار . ونظراً لتطور الموقف وتوتر العلاقات بين البلدين ، تدخلت الدول الاوربية فى الأمر تلافيا لحدوث تصادم مسلح بينهما . كما أشارت فرنسا بإرسال لجنة دولية للنظر فى شئون كريت [1] .

كيف تم انسحاب القوات المصرية من كريت ؟

بعد أن حصل اسماعيل على فرمان ٨ يونية سنة ١٨٦٧ الذى نص على منحه لقب خديو وأعطى له الحق فى وضع القوانين واللوائح والأنظمة التى تتطلبها الإدارة المصرية ، وعقد الاتفاقات الجمركية مع الاجانب وأن يأخذ الباب العالى رأى الحكومة المصرية فيما يعتزم عقده من معاهدات تجارية مع الدول الأجنبية حرصا على مصالح مصر التجارية ، تحسنت العلاقات بين مصر والباب العالى ، وأخذ الخديو اسماعيل يوجه جهوده إلى السعى لدى السلطان العثمانى للحصول على موافقته فى

(١) اسماعيل سرهنك — حقائق الأخبار ج ١ ص ٧١٢ .

سحب قواته من كريت وخصوصا بعد أن بدأت الثورة فى الهدوء بعد أن أصيب الثوار بضربات شديدة ، ولم تعد هناك حاجة إلى الاحتفاظ بعدد كبير من الجنود بالجزيرة ، فعدد القوات التركية بالجزيرة كاف للمحافظة على الأمن فى تلك الظروف . هذا بالإضافة إلى أن الدول الأوربية بدأت تتدخل بالفعل لإيجاد حل لمشكلة كريت فأخذ اسماعيل يلح فى ضرورة سحب قواته من الجزيرة ،وخصوصا بعد أن توترت العلاقات بين انجلترا والحبشة ، وتصميم الأولى على إرسال حملة عسكرية لتأديب الحبشة عبر الأراضى المصرية وان ذلك يستلزم وضع عدد كاف من القوات المصرية على الحدود المصرية الحبشية لحمايتها إذا ما حاولت الحبشة الإعتداء على مصر .

وقد وافق المجلس الذى عقد فى الآستانة لهذا الغرض على طلب الخديو إسماعيل [١] وبناء على تلك الموافقة أرسل الخديو كتابا إلى قائد عام القوات التركية بالجزيرة يعلمه بموافقة الآستانة على سحب الجنود المصرية نظراً لحاجة الحكومة المصرية اليها لتعزيز الحامية المصرية على الحدود الحبشية بما لا يقل عن ١٢٠٠٠ جندى [٢] . وقد تم بالفعل سحب بعض هؤلاء الجنود ، وأرسل إلى حدود الحبشة ٦ أورط والباقى على وشك الإرسال [٣] .

---

(١) دفتر ٢٤ عابدين وثيقة رقم ٤٤٠ من الجناب الخديو إلى الصدر الأعظم فى ٢٠ جماد آخر ١٢٨٤ (أول أكتوبر ١٨٦٧) .

(٢) دفتر ٢٤ عابدين وثيقة رقم ٤٤١ من الجناب الخديو الى السردار عمر باشا فى ٢٧ جماد أول ١٢٨٤ (سبتمبر ١٨٦٧)

(٣) دفتر ٢٤ عابدين وثيقة رقم ٤٤٠ من الجناب الخديو إلى الصدر الأعظم فى ٢٠ جماد آخر ١٢٨٤ (أول أكتوبر ١٨٦٧)

وفى يوم ٥ أكتوبر سنة ١٨٦٧ (١) يصل إلى ميناء الاسكندرية ٥٨٢٧ من الجنود المصريين ، وأما باقى جنود الحملة ويبلغ حوالى العشرة آلاف (٢) رجل فسيعودون برفقة راتب باشا . ويذكر قنصل الولايات المتحدة الجنرال بمصر أن عودة هؤلاء الجنود كانت على غير رغبة القائد العام التركى . كما يشير إلى أن مظهر هؤلاء الجنود العائدين كان لا يدعو للغبطة أو السرور ، إذ يبدو أنهم كانوا يقومون بخدمات شاقة ولا يتناولون قدراً كافيا من الطعام (٣) .

وقد قوبلت تلك الدفعة من الجنود بحفاوة كبيرة ، فأقام لهم الخديو حفلا عظيما بالعباسية تكريما لهم . ثم قام بالمرور عليهم على صهوة جواده وفى تلك الليلة عزفت الموسيقى وأقيمت الألعاب النارية إبتهاجا بعودة الحملة (٤) . وقد عادت باقى الجنود مع القائد راتب فى ٢ نوفمبر سنة ١٨٦٧ .

أما عن موضوع كريت فقد عقدت الدول الأوربية مؤتمرا فى باريس فى ٨ يناير سنة ١٨٦٩ للنظر فى تلك المشكلة ، وأرسلت الحكومة العثمانية فؤاد باشا ليمثلها فيه ، كما مثل الدول الأوربية سفراؤها فى باريس . وفى ٢٨ يناير سنة

(1) Amer. Documents Vol. 4 p. 251 Despt. no. 105 Consul General of U.S.A. to W.H. Seward Alex. 7 Oct. 1867

(2) Aff. Etrang. Corr. Polit. telg. Boustan an Ministre Alex 6 Oct. 1867.

وتذكر هذه الوثيقة أن عودة الجنود كان يوم ٦ أكتوبر

(3) Amer. Doc. Vol. 4 p. 251 Despt. no. 105 Consul General of U.S.A. to Seward Alex. 7 Oct. 1867

(٤) الوقائع المصرية العددين رقم ١٤٧ و ١٤٨ فى ١٥ جماد الثانية (١٢ اكتوبر ١٨٦٧) و ١٨ جمادى الثانية ١٢٨٤ (١٧ اكتوبر ١٨٦٧)

١٨٦٩ قرر المؤتمر تقديم بلاغ للحكومة اليونانية يطالبها فيه بالإذعان لمطالب الدولة العثمانية . ولما كانت الحكومة اليونانية ليست على استعداد للدخول فى حرب مع تركيا قبلت هذا البلاغ فى ٦ فبراير من نفس السنة . فانتهت بذلك الأزمة واستؤنفت العلاقات السياسية بين الدولتين من جديد . وفى نفس الوقت قرر المؤتمر منح كريت بعض الامتيازات ونوع من الحكم الدستورى ، وبعض الإصلاحات الأخرى التى تضمنها ما عرف باسم القانون الأساسى Organic Statute وفى ١١ جمادى الثانية سنة ١٢٨٦ (سبتمبر ١٨٦٩) بصدر الباب العالى أمراً سلطانيا متضمنا تلك الامتيازات . وبذلك تنتهى ثورة سنة ١٨٦٦، وتنتهى الاضطرابات فترة ما من الزمن .

وبذلك يمكن أن يقال بأن تاريخ كريت الدستورى يبدأ من عام ١٨٦٨ بعد فترة من الضغط والاضطراب استمرت ما يزيد عن ثلاث سنوات . وهذا النوع من الاستقلال الذاتى الذى تضمنه ما عرف باسم القانون الأساسى أصبح له أهمية دولية، إذ ورد ذكره فى المادة ٢٣ من معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ كأساس يحتذى به للاصلاح فى الأجزاء الأخرى من الامبراطورية العثمانية (١).

نتائج حملة كريت

إذا نظرنا إلى الناحية المالية نجد أن الحكومة المصرية قد تكبدت أموالا طائلة بلغت ٢٠٠٠٠٠ (٢) كيسة (أى مليون جنيه) فى وقت كانت البلاد المصرية فى أشد الحاجة اليه لاصلاح شئونها الداخلية .

---

(1) Ency. Brit. Vol. 7—8 p. 427 & 243.

(٢) دفتر ٢٤ عابدين من وثيقة رقم ٩٣٢ فى جماد أول ١٢٨٦

أما عن خسائرها فى الرجال فهى تزيد عن ٤٥٠ [١] جنديا حسب تقرير عبد القادر الطوبجى قائد القوات المصرية بكريت قبيل مغادرة الدفعة الاولى من الجنود بمدة وجيزة (سبتمبر ١٨٦٧) . ولكن بالرغم من ذلك فكما يقول اسماعيل سليم « فان دم هؤلاء القتلى والجرحى لم يذهب سدى لأن الجنود الذين بقوا على قيد الحياة قد صاروا غزاة وأصبحوا بفضل تمرنهم على الحروب فى الجبال المنيعة ذات المسالك الصعبة الوعرة جنوداً يليق بهم أن يوصفوا بأنهم جنود فاتحون ويمكن الاعتماد عليهم فى خدمة الوطن العزيز فى المستقبل [٢] ». وفى حقيقة الأمر فقد تمرن هؤلاء الجنود تمرينا عمليا على العمليات الحربية فى بلاد تختلف طبيعة أرضها عن طبيعة أرض مصر المنبسطة السهلة ، وأصبحوا كإخوانهم الذين ألحقوا بحملة المسكيك أكثر مرانا وأوسع أفقا من زملائهم الآخر الذين لم تتح لهم تلك الفرصة .

ولا يمكن أن ننظر إلى ما لحق بالقوات المصرية من خسائر فى موقعة أبى قرون الاولى على أنه ضعف أو تخاذل من قبل المصريين أمام الثوار، بل إن هذه الهزيمة التى منيت بها ترجع أولا وقبل كل شيىء إلى سياسة شاهين كنج إزاء الثوار ؛ من ممالاتهم والتودد اليهم والإطمئنان إلى وعودهم . ولكن الموقف قد تغير بعد تلك الهزيمة ، وكان لا بد للقوات المصرية ، إذا أرادت أن تغسل شرفها العسكرى الذى تلطخ فى تلك المعركة أن تحارب بصدق وعزيمة ، وأن تسدل الستار على

---

(١) محفظة ٢٨١ عابدين من عبد القادر باشا قائد العساكر المصرية بكريت إلى مهردار الخديو فى ١٥ جماد أول ١٢٨٤.

(٢) محفظة ٢٨١ من اسماعيل سليم الى الجناب الخديو فى ١٨ جماد ثان ١٢٨٣ (أكتوبر ١٨٦٦).

الجانب السياسى ولو إلى حين . فاستطاعت بذلك الانتصار فى موقعة أبى قرون الثانية وفى موقعة دير اركادى التى أظهرت فيها القوات المصرية تفوقا كبيراً وشجاعة ملموسة فى مهاجمة الثوار. وأن جيش مصر الذى أحرز الانتصارات الباهرة فى عهد محمد على ، والذى وقف موقفاً باسلا إبان حرب القرم فى طابية العرب والذى شيد امبراطورية مصر الواسعة بالقارة الافريقية ، ما كان ليعجز عن هزيمة الثوار بكريت والتنكيل بهم .

وخلاصة القول فان الخديو اسماعيل قد استجاب لطلب الباب العالى لمساعدته فى ثورة كريت لعوامل ثلاثة : أولها أن اسماعيل كان مرغما بحكم فرمان ١٨٤١ على تقديم المساعدات الحربية للباب العالى إذا ما طلب منه ذلك ، لأن جيش مصر كان يعتبر جزءاً من الجيش العثمانى .

ثانياً : إن سياسة اسماعيل تجاه الباب العالى كانت ترمى إلى محاولة الوصول إلى أكبر قسط من الامتيازات من الدولة العثمانية ، للوصول إلى نوع من الاستقلال الذاتى ، لا عن طريق الحرب، ولكن بالطرق السلمية وبتقديم المساعدات الحربية للسلطان ، وبمساعدة الدول الاوربية وخصوصا انجلترا وفرنسا . وإن كان الإلتجاء إلى هاتين الدولتين لم يكن له من نتيجة سوى زيادة التدخل الإوربى والإحتلال البريطانى فى نهاية الأمر .

ثالثاً : إن اسماعيل كان يطمع فى ضم جزيرة كريت لحكمه كثمن لمساعدته للباب العالى ، كما حدث فى عهد محمد على فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٣٢ إعترافا بمساعداته للدولة العثمانية فى حرب المورة . ولتحقيق تلك الرغبة سار اسماعيل فى سياسته نحو استمالة سكان كريت إلى مصر ليدفعهم إلى المطالبة بإلحاق الجزيرة بمصر . وفى نفس الوقت حاول اقناع الباب العالى بضم كريت اليه كحل لمشكلة

الجزيرة ، ومكافأة له على ما قدمه من خدمات وما أنفقه من أموال . وكان اسماعيل يعتمد بصفة خاصة لتحقيق هذا الهدف على تأييد فرنسا

ولما وجد اسماعيل أن سياسته إزاء ثوار كريت قد فشلت بعد أن انقضوا على قواته فى موقعة أبى قرون ، استخدم - مضطرا - الشدة إلى حد ما . كما أنه لم يستطع إقناع الباب العالى بوجاهة مطالبه ، فتظاهر بالإلتجاء إلى القوة ، وهدد بسحب قواته من الجزيرة عسى أن يفيد من هذا السلاح الجديد ، ولكنه أخفق لتدخل كل من انجلترا وفرنسا .

كذلك لم تكن سياسته مع فرنسا أكثر توفيقا من سياسته مع الباب العالى، ففرنسا ظلت تظهر عطفها على أمانى اسماعيل فترة من الوقت ، ولكنها لم تشأ أن تبدد أحلام اسماعيل حتى لا يؤدى هذا العمل إلى انصرافه عن السير فى ركاب السياسة الفرنسية . فوقفت موقفاً سلبياً وعللت ذلك بعدم وضوح الموقف الدولى فى ذلك الوقت ، إلى أن ادرك اسماعيل أخيراً أن فرنسا لا تستطيع معاونته فى تحقيق هذا المشروع لمعارضة انجلترا له ، وبأنه مشروع فاشل لا يمكن تحقيقه . وستحدد هذه النتيجة سياسة اسماعيل القادمة إزاء مساعداته للباب العالى ، إذ سيحاول استغلال تلك المساعدات الحربية فى الحصول على إمتيازات واسعة فى حكم مصر . وسينجح اسماعيل فى تنفيذ تلك السياسة إلى حد كبير . كما أن ثورة كريت قد دلت على مدى الضعف الذى أصاب الدولة العثمانية فى ذلك الوقت .

رابعا : هذا بالإضافة إلى أن حملة كريت قد أتاحت فرصة مواتية استغلها فى الحصول على أكبر قسط من الاستقلال الذاتى فى حكم مصر . فيعتبر فرمان ٨ يونية سنة ١٨٦٧ دون شك ثمرة تلك الحملة .

الفصل الأول

مصر والموقف فى البلقان

مقدمة

ثارت المسألة الشرقية فى عام ١٨٧٥ ويرجع سبب ثورتها إلى رغبة الولايات البلقانية الخاضعة لحكم الامبراطورية العثمانية فى التخلص من التبعية العثمانية ونيل الاستقلال ، وذلك بعد أن حصلت اليونان على استقلالها التام فى عام ١٨٣٠ ، وبعد أن لمسوا ضعف قوة العثمانيين الحربية ، ولتشجيع الدول الأوربية لتلك الولايات بوجه عام والدولة الروسية بوجه خاص . كما كان لمبادىء الثورة الفرنسية ، ولقيام الوحدتين الألمانية والايطالية بعد إبعاد النفوذ الأجنبى عنهما ، وكذلك لحركة الجامعة الصقلبية التى كانت تغذيها وتؤيدها الحكومة الروسية ، أثره فى توالى ثورات تلك الولايات بغية الوصول إلى استقلالها التام عن الدولة العثمانية .

حدث هذا فى نفس الوقت الذى كانت أحوال الدولة العثمانية تسير من سيء إلى أسوأ ، فكان على رأس الدولة السلطان عبد العزيز الذى سار على سياسة الإسراف والتبذير ، تلك السياسة التى أدت إلى ارتفاع دين الدولة فى عهده من ٢٥ مليون ليرة انجليزية فى أواخر حكم السلطان عبد المجيد إلى ٢٥٠ مليون ليرة فى عهده ، لم ينفق منها على الشئون العامة سوى النذر اليسير ، فاضطرت الدولة العثمانية فى عام ١٨٧٥ إلى اعلان عجزها عن سداد الديون ، فترتب على هذا

المسلك تدخل الدول الأوربية فى شئون الدولة المالية وإنشاء ما يسمى « بدائرة الديون العمومية » تحت مراقبة هيئة دولية ، مما أدى إلى تغلغل النفوذ الأجنبى فى شئون البلاد المالية وغير المالية فساد التذمر وعمت الشكوى، وطالب المصلحون بضرورة إدخال النظم الديمقراطية فى البلاد ، وبدأ النضال بين أنصار الحرية وبين السلطان وحاشيته ومؤيديه .

موقف مصر: أما عن علاقة مصر بالدولة العثمانية فى السنوات القلائل التى سبقت عام ١٨٧٥ فقد تعرضت للمد أحياناً وللجزر أحيانا أخرى ، وحصلت مصر فى خلال تلك المدة على عدة فرمانات زادت فى استقلالها الداخلى عن الباب العالى ، ولكن كان ذلك بثمن باهظ دفعته مصر من أموالها ومن أرواح بنيها لإشباع رغبات السلطان عبد العزيز التى لا تقف عند حد . وكانت مصر تود فى قرارة نفسها ألا تثور المسألة الشرقية حتى لا تضطر مرغمة إلى إجابة مطالب الباب العالى الذى لا يقدر مدى ماتعانيه البلاد من أزمة مالية طاحنة ، ولا يهمه إلا مصلحة عرشه فقط . ووجدت مصر نفسها مرتبطة إلى حد كبير بمصير الدولة العثمانية التى توشك على الانهيار . فمن الواجب عليها إذاً أن تكافح من أجل مصيرهما المشترك .

موقف الدول الاوربية: أما عن موقف الدول الاوربية الكبرى من تلك المسألة ، فنجد أن الحكومة الانجليزية وعلى رأسها دزريلى كانت ترى المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، تلك السياسة التى سارت عليها بصفة عامة طوال ثلاثة الأرباع الاولى من القرن التاسع عشر . ولكننا نجد فى ذلك الوقت أصواتا ترتفع من حزب الاحرار البريطانى، وعلى رأسه جلادستون تنادى بالتحرر من تلك السياسة والعمل على تصفية ممتلكات الدولة العثمانية فى أوربا . ولكن تمسك الحكومة الانجليزية بتلك

السياسة مبعثة الوقوف ضد رغبات السياسة الروسية ، ومنع النفوذ الروسى بمختلف السبل من الوصول إلى منطقة المضايق ، وتهديد المصالح البريطانية فى البحر الأبيض المتوسط .

وكانت الحكومة الفرنسية تتفق فى نظرتها مع وجهة نظر الحكومة الانجليزية فى هذا الشأن ، لأنها تتلاءم ومصلحة فرنسا فى شرق البحر المتوسط . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لحاجة فرنسا إلى صداقة انجلترا بعد هزيمتها أمام ألمانيا فى عام ١٨٧٠ ، فهى لن تقف موقفا يضر بمصلحة انجلترا . وفى نفس الوقت تريد فرنسا الاحتفاظ بصداقة الروسيا لخوفها من المانيا . ولهذا نادت بسياسة المحافظة على الحالة الراهنة فى شرق البحر المتوسط ، والسير على سياسة التهدئة والوقوف على الحياد فى أية حرب تنشب بين تركيا والروسيا .

أما عن موقف الروسيا من تلك المسألة فهى التأييد للحركات التحريرية التى تقوم بها ولايات البلقان الخاضعة لحكم الدولة العثمانية . ولذا أخذت تثير العناصر الصقلبية الخاضعة لحكم الباب العالى بصفتها الدولة الصقلبية الكبرى ، وتعمل على نشر مبادىء حركة الجامعة الصقلبية التى ترمى إلى تكوين كتلة من الشعوب الصقلبية فى شرق أوربا للعمل على إنهيار الامبراطورية العثمانية وتحقيق رغبات روسيا فى بسط سيطرتها وسيادتها على ولايات البلقان . ولم تحاول الحكومة الروسية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر إثارة الشعوب الصقلبية فى أوربا وذلك لارتباطها بالتحالف المقدس مع الامبراطورية النمساوية التى كان يخضع لحكمها عدد كبير من الشعوب الصقلبية - أما بعد وقوف الحكومة النمساوية موقف التحير للدول الغربية فى حرب القرم ، أخذت الروسيا تعمل على إثارة تلك الشعوب انتقاما من النمسا ، وتمالىء الشعوب الصقلبية بترديد أفكارها القومية

ومناداتها لتلك الشعوب بالأخوة الصغار [1] .

وإذا انتقلنا إلى الامبراطورية النمساوية المجرية ، نجد أنهـــا أخذت توجه أنظارها نحـو الممتلكات العثمانية فى شرق أوربا بعد هزيمتها أمام بروسيا فى عام ١٨٦٦ ، فكانت تطمع فى ضم البوسنة والهرسك اليهـا . ولـكنها فى نفس الوقت كانت حريصة على عـدم إثارة الشعوب البلقانية للمطالبة باستقلالهـا عن الدولة العثمانية ، لأنها دولة غير صقلبية وتحكم عدداً كبيراً من الصقالبة . كما كانت تخشى من حركة الجامعة الصقلبية ومن نشاط رجال السلك السياسى والقنصلى الروسى فى ولايات البلقان . ولأن انضمام هؤلاء الصقالبة إلى جانب الروسيا ضـد الدولة العثمانية سيعرض الامبراطورية النمساوية لحركة كبيرة من الاضطرابات . ولهذا سارت على سياسة التهدئة والاحتفاظ بالحالة الراهنة وعدم دخولها فى حرب قـد تعرض امبراطوريتها للانحلال .

أما ألمانيا فكانت لا تريد قيام حرب أوربية بشأن المسألة الشرقية ، قد تجد نفسها مضطرة لخوض غمارها ، وما قد يتحمل من ضياع مالها من مركز متفوق فى القـارة الأوربية . وفى نفس الوقت فهى لا تؤمن ببقـاء الدولة العثمانية ، ولا يهمها فى كثير أو قليل بقاء هذه الدولة أو ضياعها . ولهـذا كانت ترى تقسيم ممتلكات تلك الدولة بين الدول الاوربية الـكبرى ، فتحتل انجلترا مصر ، وفرنسا سوريا ، وروسيا منطقة المضايق ، وذلك عن طريق الاتفاق الودى دون الالتجاء إلى الحرب . فاذا كان لبعض الدول الأوربية نشاط زائد ، فـفى خارج أوربا مجال فسيح للتعبير عنه . أما إذا قامت الحرب بين انجلترا وروسيا بشأن المسألة

---

(1) Sumner; Survey of Russian History P. 20

الشرقية ، فستقف على الحياد فى هذا الصراع . ولكنها لن تدخر وسعاً فى بذل مساعيها السلمية للتوفيق بين الطرفين . تلك كانت الحالة فى أوربا فى بدء ثورة المسألة الشرقية فى عام ١٨٧٥ .

مقدمة الحرب

لم تكن الثورة اليونانية عام ١٨٢٢ هى أول ثورة ضد الدولة العثمانية فى البلقان ، فقد قامت الصرب قبل ذلك بثورة فى عام ١٨٠٤ وانتهى أمرها بعد حروب طويلة مع الدولة العثمانية بأن منحت استقلالا داخليا تحت السيادة العثمانية ، وذلك فى عام ١٨١٥ . ولكن حركة اليونانيين هذه كانت الحركة الأولى ، التى نبهت أذهان الدول الاوربية إلى خطورة الحركات التى تقوم فى البلقان .

واستمر الوضع السياسى لتلك الإمارة قائما حتى نشوب الحرب الروسية التركية فى عام ١٨٢٨ - ١٨٢٩ وأعقبتها معاهدة أدرنه التى أقرت الامتيازات التى منحت للصرب من قبل ، وأصبحت سلطة الدولة العثمانية محصورة فى إقامة حاميات عثمانية فى بعض المدن الصربية ، وفى أخذ الجزية السنوية . كما تضمنت نصوص تلك المعاهدة أمورا أخرى تتعلق بحقوق الدولة العثمانية إزاء ما يسمى بالمملكتين (الافلاق والبغدان) أو رومانيا ، فثبتت الامتيازات التى سبق أن حصلت عليها الامارتان من الباب العالى ، كما نصت على انتخاب حكامها مدى الحياة ، وعدم قابليتهم للعزل ، إلا فى أحوال خاصة وبشرط موافقة الحكومة الروسية على ذلك . كما أرغمت الباب العالى على إخلاء هاتين الإمارتين من السكان المسلمين مع تعويضهم عن ممتلكاتهم ، على أن تقوم الحكومة الروسية

باحتلال هاتين الإمارتين عسكريا لضمان سداد التعويضات الحربية التى فرضتها على الحكومة العثمانية، وأعقب ذلك اعتراف الباب العالى فى عام ١٨٣٠ باستقلال اليونان استقلالا تاما .

وبانتهاء حرب القرم أقرت اتفاقية باريس (٣٠ مارس ١٨٥٦) الحقوق والامتيازات التى تمتعت بها ولاية الصرب من قبل ، على أن تتعهد الدول الاوربية الموقعة على تلك الاتفاقية بضمانها. كما كفلت لها حرية التجارة والملاحة والشئون الدينية . وكذلك احتفظ الباب العالى بحقه فى إقامة حاميات عثمانية فى القلاع الست التى كانت مقررة من قبل ، والتعهد بعدم القيام بأية عمليات حربية إزاء تلك الولاية إلا بعد موافقة الدول الاوربية المشار اليها . وسنجد أن هذه المعاهدة التى كان الغرض منها وضع حد للتوسع الروسى ، ستوجه نشاط روسيا إلى أواسط آسيا حيث تتاخم حدود الهند الشمالية . وبذلك تفقد تركيا مركزها كدولة تقف حائلا بين روسيا وبين تهديدها للهند (١) .

ولكن لم تستقر الامور بعد توقيع تلك المعاهدة ، فلم يقنع أهل الصرب بما نالوه من إمتيازات، بل إنهم كانوا يتوقون إلى نيل الاستقلال التام عن الدولة العثمانية أسوة بزملائهم اليونانيين بفضل تدخل الدول الاوربية ، فقاموا باضطرابات متتالية أدت إلى تدخل الدول الاوربية لدى الباب العالى، وأسفر هذا التدخل عن موافقة الدولة العثمانية فى عام ١٨٦٢ على إخلاء قلعتين من القلاع الست التى نصت عليها معاهدة باريس عام ١٨٥٦، وأن تحتفظ بحاميات عثمانية فى أربع قلاع فقط ، هى بلغراد وسمندره وفتح الإسلام وسيانس .

---

1 - Safwat; Tunis and the Great Powers 1887-1881 P. 138

وقد حفز هـذا النصر ولاية الصرب على نيل المزيد من الامتيازات ، بل كانت تتوق إلى الوصول إلى استقلال كامل غير منقوص، لاتشوبه السيادة العثمانية الاسمية . وكلما حصلت تلك الولاية على إمتيازات جديدة شجعها ذلك على النضال مرة أخرى للوصول إلى كسب جديد هـذا فضلا عن تحريض كل من الروسيا والنمسا إلى حدما على الثورة حتى لا تتاح للدولة العثمانية فرصة لإصلاح شئونها الداخلية .

وسيلعب سفير روسيا بالآستانة (اجناتيف) دوراً رئيسياً فى اقنـــاع الحكومة العثمانية بضرورة سحب قواتها من الصرب كحل عملى للقضاء على الاضطرابات التى تقـوم بتلك الولاية ، إذ أن فى وجود تلك القوات فى أراضى الصرب ما يثير حفيظتهم ضد العثمانيين ، ويؤدى إلى استمـرار الاضطرابات فى تلك البلاد . وقـد اضطر الباب العالى لقبول وجهـة النظر الروسية عام ١٨٦٧ لموافقة الدول الأوربية عليها ، ولنشوب الثورة فى جزيرة كريت . فخرجت القوات العثمانية من الصرب وصحبتها الأسرات المسلمة . ولم يبق للنفوذ العثمانى مـن أثر فى تلك الولاية سوى رفـع العلم العثمانى إلى جانب العـلم الصربى فوق قلعـة بلغراد .

ومنذ عام ١٨٧١ بدأ ضغط الحكومة الروسية يزداد على حـكومة الآستانة إذ استطاعت الروسيا ، بوقوفها على الحيـاد فى الحرب الفرنسية البروسية عام ٧٠ - ١٨٧١ ، من تعديل نصوص معاهدة باريس الخاصة بحياد البحر الاسود . فأمكنها بناء الأساطيل الحربية وتسليح شواطئه ، والضغط على الباب العالى بطريق مباشر أو غـير مباشر . وذلك بتشجيع ولايات البلقـان على الثـورة ، فقامت الاضطربات فى ولايتى البوسنه والهرسك فى يوليه ١٨٧٥ بتحريض الحـكومـة

الروسية ، وتعضيد الجمعيات الصقلبية . وقد فتحت ثورة الهرسك باب المسألة الشرقية من جديد بمظهرها العالمى [١] .

وقد اتفقت سياسة الحكومتين الانجليزية والفرنسية [٢] التى كانت ترمى - فى ذلك الوقت - إلى المحافظة على الحالة الراهنة فى البلقان ، والعمل على تخفيف حدة التوتر ، وسيادة الهدوء والسكينة ، إلى بذل مساعيها فى جتينه Gettigné وبلغراد لمنع الجبل الأسود والصرب من الاشتراك فى الثورة ، حتى لا يؤدى اشتراكهما إلى تدخل الدول الأوربية وزعزعت السلام الأوربى . وكانت الدولتان تحرصان على منع أى تدخل أوربى سواء كان من قبل دولة واحدة أو من قبل مجموعة من الدول .

ولقد أعلن [٣] اللورد داربى - فى ذلك الوقت - عن اعتقاده فى سيادة السلام بالرغم من الاستعدادات الحربية الضخمة من الطرفين . ونظراً لاشتعال نيران الثورة فى ولايتى البوسنة والهرسك ، وسوء الحالة المالية فى الدولة العثمانية، وإعلان عجزها عن سداد ديونها التى بلغت ٢٥٠ مليون ليرة ، وما ترتب عليه من تدخل الدول الاوربية فى شئونها المالية ، وتذمر الأتراك من التدخل الأوربى

---

(1) Meldicott, The Congress of Berlin and After P. 1

(2) D.D.F. ler serie vol. II P. 5 Le Duc Décases, Ministre des Aff. Etrang. à M. Le Marquis d'Hărcourt, Amb. de France à Londres. No. 5 Paris, 18 Aout 1875.

(3) D.D.F. ler serie vol. II P. 31 M. Gavard, chargé d'affaire de France à Londre, à M. Le Duc Décazes No. 24 Londres 19 Dec. 1875.

فى شئونهم الداخلية ان اضطر الباب العالى إلى إصدار فرمان فى ١٢ ديسمبر عام ١٨٧٥ يتضمن بعض الاصلاحات لتحسين أحـــوال سكان هاتين الولايتين . ولكن الثورة لم تنقطع بصدور هذا الفرمان ، فتقدم الكونت أندراسى وزير خارجية النمسا إلى الحكومة العثمانية بلائحته المسماه باسمه فى أواخر ديسمبر من نفس السنة ، وتتضمن المطالبة بتنفيذ ما جاء بفرمان ١٢ ديسمبر عام ١٨٧٥ ، وأرسل إلى حكومات فرنسا وايطاليا وانجلترا فى ٣٠ ديسمبر من نفس الشهر بتلك اللائحة يطلب موافقتها (١) .

وكانت الروسيا ـ بدافع من مصلحتها ـ تؤمل فى أن ترفض الدولة العثمانية تلك المقترحات لتتخذ منها ذريعة للتدخل العسكرى لمؤازرة الثوار (٢) .

وقد وافقت الحكومة الانجليزية على مذكرة الكونت اندراسى كأساس عملى لحل الأزمة القائمة بالطرق الودية (٣). وكذلك وافقت الحكومتان الفرنسية والألمانية عليها . ونظراً لظروف الدولة العثمانية السيئة التى أشرنا اليها ، قبلت المقترحات التى تضمنتها مذكرة الكونت اندراسى ، والتى وافقت عليها الدول

---

(1) D.D.F. ler serie vol. II P. 36 M. de Vogüe' Amb de France à Vienne, à Le Duc Décazes. No. 26 Vienne, ler Jan. 1876. See also Buckle, The life of B. Dieraeli. vol. II p, 890.

(2) D.D.F. ler cerie vol. II p. 37 M. de Bourgoing. Ambassadeur de France à Constantinople, à M. Le Duc Décases No. 27 Pera.

(3) D.D.F. ler serie vol. II p. 40 Le Duc Décazes, à M. Le Marquis d'Harcourt Amb. de France à Londres. 32 Paris 21, Jan. 1876.

الأوربية لتهدئة الثوار (١) .

وكدليل على صدق نوايا الدولة العثمانية أصدر الباب العالى أمراً بالعفو عن المجرمين السياسيين . كما أخذت الدول الأوربية فيما عدا الروسيا تسير على سياسة التهدئة، وتعمل على حصر الاضطرابات داخل حدود ولاية الهرسك فى أضيق نطاق ، ومنع النجدات العسكرية التى تصل اليها من الولايات البلقانية المجاورة .

وفى نفس الوقت أظهرت كل من فرنسا والنمسا عدم موافقتهما على ما تقوم به حكومة بلغراد من تحريض على الثورة ، وأوضحتا لها بأنهما لن يسمحا للثورة أن تعم البلقان (٢) .

ولما كانت حكومة الجبل الأسود تساند ثوار الهرسك ، وتعمل على إذكاء روح الثورة فى البلقان ، فقد وجدت الدولة العثمانية ضرورة توجيه ضربة اليها لمنعها من مساعدة الثوار . ولكن جورتشكوف وزير خارجية الروسيا ما كان ليسمح للأتراك بالقضاء على الجبل الأسود ورأت الحكومة الروسية الاشتراك مع الدول الأوربية المعنية بالأمر لإثناء الدولة العثمانية عن عزمها . ونجحت الدول الأوربية فى إقناع الباب العالى بالتريث وعدم التورط فى حرب لن تزيد الموقف إلا انفجاراً . وتحت الضغط الأوربى اكتفت الدولة العثمانية القيام بإجراءات لحفظ الأمن . فأرسلت بعض قواتها إلى مدينة اشقودرة لتكون على

1-D.D.F. 1er serie vol. 11 p, 42 M. de Bourgoing, Amb. de France à Cons'antinople, à M, Le Duc Décazes. No 34 Péra 8 Fév. 1876.

2-D.D.F. 1er serie vol. 11 p. 43 Le Duc Décazes aux Amb. de France à Londres, Saint-Petersbourg, Berlin, No. 36 Paris, 4 Mars, 1876.

مقربة من الأحداث ، بشرط ألا تستخدم تلك القوات فى مهاجمة الجبل الأسود [١] .

وقد تطور الموقف بصورة خطيرة بمقتل قنصلى ألمانيا وفرنسا فى مدينة سالونيك بأيدى الأتراك الثائرين . فاتهمت الدولة العثمانية بالتقصير ، رغم أن سلطات الدولة العثمانية حاولت جاهدة أن تمنعه ولكنها لم تستطع [٢] .

وقد أسرعت [٣] الدولة العثمانية ـ تهدئة لثائرة ألمانيا وفرنسا ـ بإرسال لجنة للتحقيق فى الحادث ومعاقبة الجناة بعدما وجدت من تهديد الدولتين لها ، تدعيما لنفوذهما ، وحماية لمصالحهما وقد اشتركت معها سفن النمسا والروسيا وانجلترا واليونان وايطاليا .

ولم تهدأ ثورة الدول الأوربية بشأن هذا الحادث إلا بعد أن قام الباب العالى باتخاذ إجراءات [٤] رادعة ضد المسئولين عنه . رغم أن القنصلين المذكورين كانا السبب فى إثارة الأهالى المسلمين دون مبرر .

وحلا للنزاع القائم فى البلقان ، وقضاء على ثورة البوسنة والهرسك . ومنعا

1-D.D F. 1er serie vol 11 p. 59 Le Duc Décazes à M. de Vogulle. Ambassadeur de France à Vienne, No 42 Paris, 23 Avril 1876

2-D.D.F. 1er serie vol P. 53 M. de Bourgoing, Ambassadeur de France à Constantinople, à M Le Duc Décazes. No. 46 Pera 7 Mai 1876.

3-Buckle; The Life of B. Disraeli vol. 11 P. 894.

4-D.D.F. 1er serie vol. 11 p. 62 M. de Bourgoing à M. de duc Décazes. No. 54 Pèra, 16 mai 1876.

لولايات البلقان الأخرى من الاشتراك فى الثورة، فقد اجتمع ممثلو الدول الأوربية المعنية بشئون البلقان وهم بسمرك مستشار ألمانيا واندراسى وزير خارجية النمسا، وجورتشكوف وزير خارجية الروسيا فى برلين لوضع حل للأزمة . وقد تقدم الكونت اندراسى وزير خارجية النمسا بمقترحات وافق عليها زميليه، سميت برلين بمذكرة لتقديمها للحكومة العثمانية، لتكون الاساس الذى يبنى عليه أى حل لمشكلة البلقان . وقد حازت المذكرة موافقة فرنسا وايطاليا عليها وامتنعت انجلترا . وأهم ما تضمنته تلك المذكرة من قرارات هى :

أن يمنح الطرفان المتنازعان هدنة لمدة شهرين ، على أن يدخلا فى مفاوضات مباشرة للوصول إلى حل للنزاع على هدى المطالب التى تقدم بها الجانب الثائر . وهى تدور حول سحب القوات التركية المبعثرة فى البوسنة والهرسك ، وتركيزها فى مناطق معينة . على أن يسمح للمسيحيين بحمل السلاح دفاعا عن أنفسهم أسوة بالمسلمين، وأن يكون مجلس يرأسه أحد مسيحيى الهرسك للاشراف على الإصلاحات التى أوضحتها مذكرة اندراسى . على أن يوالى قناصل الدول الأوربية التحقق من تنفيذ تلك الاصلاحات ، والعمل على تسهيل عودة المهاجرين الى ديارهم وتدبير سبل العيش لهم .

على أنه إذا لم يتوصل الطرفان إلى اتفاق فيما بينهما تدخلت الدول الموقعة على المذكرة بفرض الحلول اللازمة لقمع الثورة.

رفض الباب العالى قبول المذكرة لما فيها من تدخل سافر من قناصل الدول الأوربية فى أمور تعتبر من صميم الشئون الداخلية للدولة . ولما كانت الدولة العثمانية تعتمد الى حد كبير على معونة انجلترا ، واعتقاد منها بأن انجلترا لن تتركها وحدها أمام أطماع الروسيا والنمسا ، ولعدم اشتراك انجلترا مع الدول فى وضع المذكرة

أو الموافقة عليها . لكل تلك الأسباب اتخذ الباب العالى موقف المعارضة .

وكانت الروسيا تود لو رفضت الدولة العثمانية كى تثيرها حربا شعواء ضدها، كما أنها كانت فى قرارة نفسها لا ترغب فى استقرار الامور أو هدوء الاحوال فى البلقان . ومن ثم لجأت الى تحريض [1] البلغاريين المسيحيين على الثورة ضد الاتراك المسلمين المقيمين بين ظهرانيهم . وقامت مذبحة ميدانها الرئيسى مدينة فيليبوبوليس بالروملى الشرقية ، قتل فيها عدد كبير من الاتراك المسلمين فى غيبة القوات العثمانية .

ثارت ثائرة العثمانيين لهذه المذبحة، وعولوا على الانتقام تأديبا لهؤلاء الثائرين، ولاستعادة القوات التركية هيبتها وسلطانها ، كما أن ضرب البلغاريين والقضاء على مقاومتهم سيساعد ـ دون شك ـ فى تهدئة الأمور فى الصرب والجبل الأسود. ولذا تسوق الدولة العثمانية قواتا كبيرة العدد للتنكيل بالبلغاريين ، وللانتقام مما ارتكبوه فى فيليبوبوليس من قبل . وكانت المذبحة البلغارية فى قسوتها ووحشيتها تعادل المذبحة الأولى ، إن لم تفقها .

ومن الغريب أن الدول الأوربية التى لم تتحرك لما فعله سكان مدينة فيليبوبوليس بالمسلمين الآمنين ، ولا لما ارتكبوه من فظائع ، أخذت ترفع عقيرتها بالصياح متهمة الأتراك بالوحشية وسوء الخلق . وانتهزت صحافة حزب الأحرار فى انجلترا المناهض لحكومة دزريلى هذه الفرصة وطالبت بتغيير سياسته إزاء الدولة العثمانية ، والعمل على تصفية ممتلكاتها ، وطردها من أوربا . ولكن دزريلى ، نظراً لمعرفته بالأوضاع القائمة بالبلقان لم يجد [2] مبرر لانتهاج سياسة

1-Buckle : The Life of B. Disraeli vol. 11, P. 913

(٢) المصدر السابق ص ٩١٩ .

مغايرة ، وتمسك بسياسة الحفاظ على كيان الدولة العثمانية ، ولم يأبه كثيراً لصيحات المعارضة .

غضب الشعب الانجليزى على الاتراك ، فبالرغم من تمسك حكومته بسياستها التقليدية فى الحفاظ على الدولة العثمانية ، لما فى ذلك من مصلحة لانجلترا ، إلا أن الشعب كان يميل بعاطفته الى مسيحى البلقان . ولذا لم يعد الرأى العام الانجليزى يهتم بوجود الدولة العثمانية أو عدم وجودها . أو بالخطر الذى (١) كان يتهدد الدولة من جراء تدخل الروسيا فى شئونها الداخلية . وكانت الحكومة الانجليزية مضطرة الى مجاراة الرأى العام ، خصوصا وأنها قد أخذت تيأس من إمكان إصلاح أحوال الدولة العثمانية ، أو تحسين أحوال الرعايا المسيحيين الخاضعين لحكمها .

ولذا نجد أن الحكومتين الانجليزية والنمساوية لم تتحمسا لمنع الروسيا من دخول الحرب ضد العثمانيين عندما رفضوا قبول مقترحات الدول الاوربية لحل المشكلة (٢) .

وقد ساعد على تعبئة الرأى العام الانجليزى ضد العثمانيين جلادستون (٣) زعيم حزب الأحرار ، الذى ثار للحادث وطالب باتخاذ موقف حاسم إزاء العثمانيين ، والتخلى عن السياسة التقليدية القديمة . ولكن اللورد بيكونزفيلد لم يشأ القيام بتدابير عنيفة ضد الأتراك ، فضل اتباع سياسة هادئة ترمى الى إقرار الأمور فى البلقان ، وذلك عن طريق ارسال بعض قطع من الأسطول الانجليزى

---

(1) Safwat, M.M.: Tunis and the Great Powers P· 139.
(2)Medlicott: The Life of B. Disraeli. vol. 11 p. 032.
(3) , ; The Congress of Berlin and After p. 2

لترابط على مقربة من المناطق الى كانت مسرحا للأحداث وذلك لإشاعة الطمأنينة فى نفوس المسيحيين ، وحتى لا تتكرر أمثال تلك الحوادث . ونجح فى ذلك إلى حد بعيد .

الحرب مع الصرب

ساعدت الأحداث الداخلية فى الدولة العثمانية على استمرار اشتعال الثورة فى البوسنة والهرسك وبلغاريا ، فانشغال الدولة فى معالجة أسباب التذمر التى سادت فى الأيام الأخيرة من حكم السلطان لسوء تصرفه ، وتعيين السلطان مراد الخامس بدلا منه . وما تسبب عن مرض هذا السلطان من عرقلة الكثير من الإجراءات التى كانت تتطلب موافقته . لكل تلك الأسباب لم تستطع الدولة القيام بعمل حاسم بإزاء الثوار .

كانت الروسيا حتى ذلك الوقت تتحين الفرص للتدخل العسكرى ، ولذا كانت تريد مزيدا من الاضطرابات فى البلقان ، وتسعى اليه . وتحقق لها ذلك عندما نجحت فى حض الصرب على إعلان الحرب ضد الأتراك العثمانيين . وتم ذلك فى ٣٠ يونيو ١٨٧٦ حينما أعلنت [1] الصرب الحرب بحجة تهديد القوات التركية لحدودها . ولم يلبث الجبل الأسود أن حذا حذو الصرب فى اليوم التالى مباشرة.

وفى ٢ يوليو هاجمت الصرب الحدود التركية ، ولم تكن المانيا على وجه الخصوص ترحب بقيام الحرب ، فقد كانت سياستها منذ اتمام وحدتها فى عام ١٨٧٠ ترمى الى توطيد وتدعيم السلام فى أوربا ، حتى تستطيع التمتع بثمرة انتصارها . وبناء المانيا القوية . وهذا لن يتحقق لها بطبيعة الحال ، إلا فى ظل سلام أوربى .

1-M. A. Malet: La politique Europeane jusqu'au Traité de Berlin (1871-1878). Hist. Gen. vol. XII, p. 427.

وكانت انجلترا تعمل أيضا على حل مشاكل البلقان بالطرق الودية ، ولاترض الحرب وسيلة لذلك حتى لا تتيح للروسيا فرصة التدخل . ولذا وقفت من تلك الحرب موقف الحياد . ولكنها فى نفس الوقت كانت على استعداد للمساهمة فى وضع حد لتلك الحرب إذا ماطالبت الدولة العثمانية منها ذلك .

وقد حشدت الدولة العثمانية فى ميدان القتال جيشا كبير العدد يبلغ تعداده ١٢٠ ألف جندى ، وزعت على النحو التالى :

٥٠و٠٠٠ جندى بقيادة أحمد أيوب باشا ويكون جيش نهر الطونة والقلب.

٢٠و٠٠٠ « « عثمان باشا الغازى وكان مرابطا فى ودين ويتألف منه جناح الجيش الأيمن ويسمى بجيش الشرق .

٢٠و٠٠٠ جندى بقيادة محمد على باشا وكان مرابطا فى الهرسك ويتألف منه جناح الجيش الايسر ويسمى جيش الغرب .

٢٠و٠٠٠ جندى بقيادة أحمد مختار باشا الغازى وكان مرابطا فى شمال الجبل الاسود .

١٠و٠٠٠ جندى بقيادة محمد باشا وكان محتشدا فى نيش [١].

هذا فيما عدا ٣٠و٠٠٠ جندى بصفة احتياطى وضعت فى أدرنة . وعين لقيادة هذا الجيش الكبير السرعسكر عبد الكريم نادر باشا (الشهير بعبدى باشا) كقائد عام (سردار أكرم) .

وفى مواجهة هؤلاء يقف الجيش الصربى الذى يبلغ عدد جنوده ما يقرب

---

(١) مجلة الجيش المجلد التاسع العدد ٣٦ سنة ١٨٧٦ .

من [١] ١١٠ الف مقاتل . وقد قسم إلى أربعة أجزاء ، أهمها الجزء الذى تحت قيادة الجنرال تشرنايف Tchenaieff الروسى . وكان يتكون وحده من خمسين الف مقاتل تحت اشراف ضباط روسيين [٢] .

---

(١) - دفتر ٢٨٣ عابدين (تلغرافات) من طلعت باشا الى خيرى باشا، وثيقة رقم ٣٨ فى ٣ يوليه سنة ١٨٧٦ (١١ جمادى الآخر سنة ١٢٩٣) .

(2) D.D.F. 1er serie vol. 11 P. 86 Le Marquis d'Harcourt Ambassadeur de France à Londres, à M. Le Duc Décazes No, 81 Londre, 29 Aout, 1876.

الفصل الثانى

تدخل مصر الحربى

النجدة العسكرية المصرية

عندما أعلنت الصرب الحرب على الدولة العثمانية بادر الباب العالى إلى طلب معونة مصر العسكرية فأمر الخديو اسماعيل بإمداده بآلايين كاملين من الجنود لحاجة الدولة اليها (١) . وقبل أن نخوض فى تفاصيل تلك المساعدة يجب أن نعرف شيئاً عن حالة مصر فى ذلك الوقت، وهل كان فىاستطاعتها إمداد الباب العالى بالجنود اللازمة أم لا .

إذا نظرنا إلى حالة مصر الداخلية فى ذلك الوقت نجد أن حصول الخديو اسماعيل على فرمان ٨ يونية عام ١٨٧٣ قد منحه سلطة واسعة فى إدارة شئون مصر الداخلية وفى عقد القروض دون استئذان الباب العالى ، مما شجعه على الاستمرار فىسياسة الاقتراض، وترتب على ذلكعجز الخزانة المصرية فى النهاية عن الوفاء بالتزاماتها قبلالدائنين . كما منحه أيضاً سلطة واسعة فى الاحتفاظ بأى عدد يراه من الجنود . وبناء على ذلك أصبح لمصر جيش حربى قوامه

---

(١) دفتر ٢٨٣ عابدين (تلغرافات) من طلعت باشا الى خيرى باشا،وثيقة رقم ٣٨ فى ٣٠ يونيه عام ١٨٧٦ (٨ جماد آخر عام ١٢٩٣) .

٨٢و٨٤٤ (١) مقاتل فى عام ١٨٧٦ ويضم ٥٩و١٩٤ جنديا من المشاة ، و ٨٧٤٢ جنديا من الفرسان و ٩٦٨٩ من مدفعية الميدان و ٥٢١٩ من مدفعية السواحل .

كما بدأ الخديو اسماعيل فى الاستعانة بخبرة الضباط الأمريكيين بعد إنتهاء الحرب الأهلية الأمريكية فى ربيع١٨٦٩ وبلغ عدد هؤلاء الضباط ٥٠ ضابطا (٢) وكان الغرض استخدامهم تنظيم الجيش المصرى وإعداده على النمط الحديث للوقوف ضد الباب العالى إذا لزم الأمر ، خصوصا وأن الخديو اسماعيل قد استعان بخدمات هؤلاء فى سنتى ١٨٦٩ ، ١٨٧٠ حيث ساءت العلاقات بين الخديو والباب العالى إلى حد كبير . وقد استطاع الضابط الامريكى الجنرال استون من تكوين أول هيئة أركان حرب على النظام الحديث فى الجيش المصرى. ولكن نظراً لحداثة هذا النظام فى الجيش،وعدم إيمان الضباط الأتراك بفائدته ، وكذلك لغيرتهم الشديدة وحسدهم لهؤلاء الأمريكيين الذين كانوا - فى نظرهم - دخلاء عليهم وينافسونهم فى السلطة ، لم تأت هذه الهيئة بالفائدة المرجوة منها ، وفشل التعاون بين هيئة أركان الحرب والقيادة العامة للجيش فشلا ذريعا، تمثل فى نكبة الجيش المصرى فى الحرب الحبشية عام ١٨٧٥/١٨٧٦ .

وقد انشغلت مصر فى الفترة ما بين عام ١٨٦٩ عقب حملة كريت و ١٨٧٥ قبيل اشتراكها فى حرب الصرب فى التوسع فى القارة الافريقية ، فأرسلت عدة

---

(١) السروجى : الجيش المصرى فى عصر الخديو اسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) رسالة الماجستير ص ٣٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠١ .

حملات إلى أنحاء السودان المختلفة لضم منابع النيل والتوسع فى شرق السودان، إلى أن وصلت القوات المصرية إلى مصب نهر جوبا على المحيط الهندى كما توسعت فى غرب السودان فضمت اقليم دافور الواسع إلى حكم مصر . ثم اشتبكت فى النهاية مع الحبشة فى حرب بسبب إحاطة الممتلكات المصرية بالأراضى الحبشية . أى أن مصر قد استخدمت قوتها الحربية فى الفترة ما بين نهاية ثورة كريت عام ١٨٦٩ وسنة ١٨٧٥ فى التوسع لحسابها الخاص، وضم جنوب السودان إلى شماله وقد انفقت مصر فى سبيل ذلك الكثير من الأموال وضحت بالعدد الكبير من الرجال . أما عن الحالة المالية فقد كانت سيئة للغاية ، فنظراً للعجز المستمر فى الإيرادات المصرية ، كان يلجأ الخديو اسماعيل من حين للآخر إلى الاستدانة من الدول الاوربية بفوائد فاحشة لتغطية المصروفات المتزايدة . واضطر فى سنة ١٨٧١ إلى اصدار قانون المقابلة الذى ينص على إعفاء كل من يدفع ضرائب سته أعوام من نصف الضريبة المطلوبة منه بصفه دائمة . ولكن لم تؤد هذه الضريبة الغرض المطلوب رغم ماسببته لمصر من خسائر . وأخيراً أرغم الخديو اسماعيل تحت ضغط الحاجة إلى المال إلى بيع أسهم مصر فى قناة السويس لانجلترا فى سنة ١٨٧٥ ، وبذلك مكن الخديو للنفوذ الانجليزى فى مصر، وأعطى انجلترا حجة قوية للتدخل فى شئونها بحجة الدفاع عن مصالحها . ويعتبر بيع هذه الأسهم كما يقول اللورد كرومر « أكبر نصر أحرزه دزريلى وأعظم غلطة سياسية ومالية ارتكبها الخديو (١)».

وتبع ذلك تدخل الدول الأوربية فى شئون مصر المالية بعد أن عجزت الخزانة المصرية عن تسديد الديون ، بجىء بعثة كيف إلى مصر فى سنة ١٨٧٥ .

---

(1) Cromer; Modern Egypt. vol. II P. 11

وتبعها أنشاء صندوق الدين فى سنة ١٨٧٦ . ونظراً الارتباك المالى عجزت الحكومة عن صرف مرتبات الضباط والجنود من ١٨٧٨/١٨٧٦ أى مدة ثلاث سنوات [١] . فعم السخط والتذمر صفوف الجيش وأخذ الوعى القومى يزداد وينسب ما ألم بالبلاد من خراب إلى عدم وجود هيئة دستورية لها سلطة فعلية تشرف على شئون البلاد ، ولتدخل الدول الاوربية – وخصوصاً انجلترا وفرنسا – لصالح الدائنين دون نظر إلى مصلحة البلاد .

أما من الناحية السياسية فان تبعية مصر للدولة العثمانية التى كانت على وشك الانهيار قد جنت عليها إلى حد كبير . إذ كانت مصر تدخل فى كل مشروع أوربى يرمى إلى تقسيم ممتلكات الباب العالى ، وكانت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر دائماً من نصيب انجلترا . وكان بسمارك يرى فى عام ١٨٧٦ فى تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية باتفاق الدول الأوربية الكبرى ، على أن تكون مصر من نصيب انجلترا ، « حلا سلميا للمشكلة الشرقية معقولا ومقبولا وينطوى على جانب كبير من الحكمة السياسية ، حلا خيراً فى نظره من معارضة انجلترا للروسيا فى البلقان وقيام حرب شعواء بينهما قد تتحول إلى حرب أوربية عامة تعصف بما لالمانيا من مركز متفوق [٢] » .

أما من الناحية الاجتماعية فقد ساءت حالة الفلاح لعدم اهتمام

---

(١) دفتر ٢٩٥١ قيد ورود التلغرافات لديون الجهادية. برقية رقم ٨ ص ٥ فى ٦ جماد الآخرة ١٢٩٥ (سنة ١٨٧٨) وعشرات ، بل مئات غيرها من البرقيات تتضمن نفس المعنى .

(٢) الدكتور صفوت : الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الأوربية إزاءه ص ١٢٢ .

الحكومة بشئون الزراعة والرى ، وللأزمة المالية التى أصيبت بها البلاد ، ولكثرة الضرائب المفروضة على الفلاحين لموازنة الميزانية . فعم السخط ، خصوصا وقد بدأ الوعى القومى يتيقظ نتيجة لتعاليم جمال الدين الأفغانى ، وحركة الجامعة الاسلامية .

وأمام تلك الصعوبات والعقبات التى أحاطت بمصر، كان الخديو اسماعيل يعلم حق العلم أن بقاءه فى حكم مصر ، متوقف تماما على هوى الباب العالى ورهن مشيئة الدول الكبرى [1] . وبناء على هذا الإدراك لحقيقة موقفه حاول اسماعيل أن يوفق بين رغبات الباب العالى ومصالح انجلترا وفرنسا فيما يتعلق بشئون مصر .

لم ير الخديو اسماعيل بدأ من الاستجابة إلى طلب الباب العالى لإمداده بالمؤن العسكرية التى يطلبها ، فأرسل فى يوليه سنة ١٨٧٦ [2] يخبره باستعداده التام لتزويده بالقوة العسكرية المطلوبة ، رغم ظروف مصر السيئة ، ورغم الضائقة المالية الشديدة التى تحل بها . ولكنه لن يدخر وسعاً فى بذل ما يستطيعه من عون .

وقد أبلغ [3] قنصل النمسا الجنرال بمصر فرانشيسكى Franceschi حكومته

---

(١) المصدر السابق ص ٥

(٢) دفتر ٢٨٣ عابدين (تلغرافات) من الجناب الخديو إلى طلعت باشا وثيقة رقم ٢٥ فى ٢ يوليه سنة ١٨٧٦ .

(3) W.S.A. Alex.-Caire 1876 XXXVIII/176 teleg. du Consul Franceschi au Ministère de l'Exterieur. No. Chiffre. Alex. 4 Juillet 1876.

بنبأ الاستعدادات الحربية التي يقوم بها الخديو اسماعيل لمساعدة الباب العالى ، ويشير بأن الخديو يرغب فى الإحتفاظ بسرية هذا العمل ، ويستفسر منها عما إذا كانت تريد منه التدخل فى هذا الموضوع أم لا ؟ فأجابت على تساؤله فى ٥ يوليه سنة ١٨٧٦ بتعليمات صريحة بألا يتدخل لدى الخديو اسماعيل فى هذا الموضوع لا معارضا ولا مؤيدا ، وأن يتخذ من هذا الموقف السلبي قاعدة يتصرف بمقتضاها (١) .

أما عن موقف الحكومتين الروسية والفرنسية فكان مخالفا لموقف حكومة النمسا ، فالدولتان لهما مصالح مهمة فى منطقة الشرق الأدنى ، فلا عجب إذا ما اشترك قنصل فرنسا الجنرال بمصر مع قنصل روسيا الجنرال بهادولكس de Lex فى مقابلة(٢) الخديو اسماعيل ومحاولة إقناعه بالوقوف على الحياد فى هذا الصراع . ثم سألاه عما إذا كانت الدفعة الأولى من الجنود ستتبعها دفعات أخرى ؟ والى أى حد ستؤثر تلك المساعدات الحربية على مالية البلاد وعلى مصلحة الدائنين ؟ فأجابهما الخديو اسماعيل بأنه لا يستطيع أن يمتنع عن مساعدة الباب العالى طبقا للفرمانات ، أى أن الحكومة الروسية أرادت أن تتخذ من الضائقة المالية التى ألمت بمصر وتعرض مصلحة الدائنين للخطر ، وسيلة قوية تستطيع بها التأثير على

(1) W.S.A. Alex.-Caire teleg. Chiffré du Ministère 1, de 1,Exterieur au Consul Frenceschi à Alex. Vienne 5 Juillet 1876.

(2) W.S.A. Alex.-Caire, Fasc. XXXVIII/176 Rapport de Mr Le Conseiller aulique de Kremer au Ministère 1 de l'Exterieur. ZXI le Caire, 7 Juillet 1867.

الخديو وحمله على عدم معاونة الباب العالى . ولكن اسماعيل لم يستجب لهذا الضغط لأنه كان يعلم أن نجلترا تعارض فى ذلك. ثم سال دولكس M .de Lex قنصل روسيا الجنرال بمصر عما إذا كانت تلك الخطوة من جانب الخديو اسماعيل قد جاءت بناء على مشورة انجلترا ؟ فأجاب الخديو بالنفى (١) . وفى واقع الأمر فان الخديو اسماعيل لم يخاطب قنصل انجلترا الجنرال بمصر فى هذا الموضوع (٢). ولو أن قنصل النمسا الجنرال فرنسشكى قد أوضح لحكومته بأن الخديو اسماعيل ماكان ليستطيع إجابة طلب الباب العالى ، نظراً لحالة مصر المالية ، لولا أن جاءته نصيحة من دولة أوربية كبيرة أشارت عليه بمساعدة السلطان (٣) . وربما قصد بتلك الدولة انجلترا .

وقد بادر الخديو اسماعيل بعد أن تلقى أمر السلطان ، بإرسال (٤) كمية كبيرة من الأسلحة تتكون من :

١١٠٠٠	بندقية من طراز شنيدر	١٧ر٧ مم	(من صنع انجلترا)
٩٥٢٩	« مششخنة	١٧ر٧ مم	(« « فرنسا)
٣٠٠	قذيفة		

(1) F.O. 78.2503 A. Cookson to the Earl of Derby. No. 230 Confidential Alex. July 18th 1876.

(٢) المصدر السابق .

(3) W.S.A. Alex.-Caire 1876, Fasc. XXXIII/176 Rapport du Conseil Franceschi au ministre de l'Exterieur Z 29 Politique Alex 17 Juillet 1876

(٤) دفتر ٢٨٣ عابدين وثيقة رقم ٢٧ من الجناب العالى الخديو الى طلعت باشا فى ١٠ يوليه ١٨٧٦ .

٥٠٠ قذيفة أخرى
١٣٫٠٠٠ بندقية حولت إلى مششخنة للجنود غير النظامية .

كما أصدر الخديو أمره إلى نجله الأمير حسين كامل (السلطان حسين كامل فيما بعد) ناظر الجهادية والبحرية فى ذلك الوقت ، بإعداد الحملة المطلوبة . ولما كانت معظم المراكب البحرية تعمل فى البحر الأحمر منذ حملة الحبشة ، فلم يكن من المستطاع إرسال جنود الحملة دفعة واحدة . فأبحرت [١] الدفعة الأولى وهى حوالى ٣٫٠٠٠ جندى فى ١١ يوليه سنة ١٨٧٦ على البواخر الثلاث : الدقهلية والرحمانية والمحروسة . ثم أبحرت الدفعة الثانية [٢] من الأسكندرية وعددها ٣٫٠٠٠ جندى على البواخر الفيوم والبحيرة والشرقية فى ١٦ يوليه سنة١٨٧٦ . كما رحلت دفعة [٣] أخرى فى ٢٣ من نفس الشهر.

وقد عين الخديو الفريق راشد حسنى قائدا عاما للحملة واللواء اسماعيل كامل قائدا ثانياً لها [٤] . وصدرت إلى القائد العام التعليمات ، باتباع

(١) الوقائع المصرية . العدد رقم ٦٦٥ بتاريخ ١٧ جمادى الثانية سنة ١٢٩٣ (١٠ يوليه ١٨٧٦) .

(2) W.S.A. Alex- Caire 1876, fasc XXXVIII/176 Rapport du Consul Franceschi au Minister de l'Exterieur. Z. Fol. Alex. 17 Juillet 1876.

(٣) دفتر ٢٨٣ عابدين وثيقة رقم ٢٠ من الجناب الخديو إلى طلعت باشا فى ٢٣ يوليه ١٨٧٦ (٢ رجب ١٢٩٣)

(٤) دفتر قيد الأوامر السنية الصادرة من٢٣ رجب١٢٩٠(١٦ سبتمبر١٨٧٣) إلى ٩ ذى الحجة ١٢٩٣ (٢٦ ديسمبر ١٨٧٦) إرادة إلى ناظر الجهادية والبحرية فى ١٥ يوليه ١٨٧٦ .

الأوامر والتعليمات التى تصدر إليه من الباب العالى فى شأن هــذه الحرب ، والسماح له بطلب ترقية من يستحق الترقية من جنود النجدة المصرية وتشكيل مجلس عسكرى لتوقيع العقاب على من يستحق العقاب منهم [١] .

وبلغ مجموع جنود وضباط الحملة ١١٫٦٨٦ مقاتلا موزعين على النحو التالى :

(١) المصدر السابق . وتقويم النيل : المجلد الثالث الجزء ٣ (إرادة لراشد حسنى باشا فريق الفارديا فى ٢٢ جمادى الآخرة ١٢٩٣) .

قيـــادة واركـــان حـــرب

المجموع	عدد ضباط وصف ضباط وعساكر	الاسم	الوظيفة
	١	الفريق راشد حسنى باشا	قائد أول
	١	اللواء اسماعيل كامل باشا	قائد ثان
	١	القائمقام احمد نير بك	ياور حرب الفريق
	١	القائمقام محمود فهمى بك	رئيس أركان حرب
	١	القائمقام حسن حسنى بك	ضابط أركان حرب
	١	الصاغ حسن كامل أفندى	« «
	١	اليوزباشى محمد رحمى أفندى	« «
	١	اليوزباشى عبد المجيد أفندى	« «
٨			

المشـــــــاة

المجموع	عدد	
		٢ جى حرس
	١	يوسف شهدى بك أميرالاى
	١	على فهمى بك قائمقام
	١٠٠	أركان حرب وأقسام الآلاى
	١٠٥٨	١جى أورطة : اسكندر محمد افندى بكباشى
	١١٤٣	٢جى أورطة : احمد داود افندى بكباشى
	١٠٧٤	١جى أورطة : ١جى حرس خورشيد بسمى افندى بكباشى
٣٣٧٧		

المجموع	عدد	
		٣جى بيادة ١جى فرقة
	١	زكريا حلمى بك اميرالاى
	١	خورشيد نعمان بك قائمقام
	١٠٠	أركان حرب وأقسام الآلاى
	١٢٩٣	١جى أورطة : احمد عفت افندى بكباشى
	١١٥١	٢جى أورطة : متولى حافظ افندى بكباشى
	١١٢٠	٢جى أورطة : ارسلان كامل افندى بكباشى
٣٦٦٦		

٤جى بيادة جى فرقة

	١	عثمان نجيب بك	أميرالاى
	١	حسين مظهر بك	قائمقام
	١٠٠	أركان حرب وأقسام الآلاى	
	١٠٨٥	١جى أورطة : سعد ابوجبل افندى	بكباشى
	١٢٢٧	١جى أورطة : محمود فؤاد افندى	بكباشى
	١٠٣٣	٢جى أورطة : سليمان سامى أفندى	بكباشى
٣٤٥٧			
١٠٥٠٨		المجموع الكلى	

المدفعيــة

٢جى أورطة من ألاى طوبجية الغارديا

	١	حسن همت أفندى	بكباشى
	١	سليمان نجاتى أفندى	صاغ
	٢٣٧	١جى بطارية بدوى منسى أفندى	يوزباشى
	٢١٧	٢جى بطارية : محمد راغب أفندى	يوزباشى
	٢٠٦	٣جى بطارية : صبيح هاشم أفندى	يوزباشى
	٢١٦	٤جى بطارية : محمد أنور أفندى	يوزباشى
	٨٧٨		
	٣٠٠	أقسام الحملة المختلفة والتوابع وغيرهما .	
١١٧٨	١١٧٨		
١١٦٨٦		جمـــلة الحمـــلة	

وكانت كل بطارية مكونة من ست مدافع ، فيكون عدد مدافع الكتيبة ٢٤ مدفعا .

وقد كتب فرنشسكي (قنصل النمسا الجنرال بمصر) إلى حكومته بعد أن شاهد جنود النجدة المصرية يقول بأن هؤلاء الجنود حديثو عهد بالجندية ، وأن مظهرهم لا توحى بالثقة ، كما أن من بينهم بعض جنود حملة الحبشة المشئومة(١) . ولكن لم تكن ملاحظات القنصل النمسوى صحيحة ، فقد أبلى هؤلاء الجنود بلاء حسنا فى ميدان القتال . كما أبلغ السفير النمسوى بالآستانة (الكونت زيشى) حكومته بأنه (٢) يشاع فى الاستانة بأن السبب الرئيسى لإرسال هؤلاء الجنود الى استامبول هو ظهور بوادر تمرد وعصيان بين صفوفها ، يخشى منه قيام فتنة ضد والى مصر . كما أضاف أن هذه القوات ستحل محل القوات التركية المرابطة فى الآستانة وذلك كى تتفرغ القوات التركية للقتال . ولكن هذا لم يحدث ، فقد اشتركت القوات المصرية مع القوات التركية فى القتال جنبا الى جنب . إذ ما أن وصلت الجنود المصرية الى الأراضى العثمانية حتى سيرت مباشرة الى حدود الصرب للاشتراك فى الحرب .

وقد عين الخديو قاسم باشا وكيل البحرية للاشراف على عملية نقل الجنود من الأراضى المصرية إلى الأراضى التركية ، والمساعدة فى عمليات نقل المعدات

---

1 - W.S.A. Alex.-Caire 1876 fasc. XXXVIII/176 Rapport du Consul de Franceschi au Ministre de l'Exterieur. Z.25 Polit. Alex. 9 Juillet 1876.

2 - W.S.A. St. A.V. Pol. Arch. 1876/au Comte Andrassy No. 54C. Const. Le 11 Juillet 1876.

والجنود بين الموانىء العثمانية المختلفة . وعين البكباشى سيرهنك (مؤلف كتاب حقائق الاخبار) أركانا لحربه ، وظل يشغل هذه المهمة طوال فترة حرب الصرب والحرب التركية الروسية (١) .

وقد وصلت آخر دفعة من الجنود المصرية إلى سالونيك فوجدت الميناء مزدحما بقطع من الأساطيل العثمانية والانجليزية والفرنسية والالمانية والنمساوية والايطالية واليونانية ، وذلك بسبب مقتل قنصلى فرنسا والمانيا الذى أشرنا اليه من قبل .

بعد أن وصلت القوات المصرية الى الاراضى التركية قسمت إلى قسمين :

«قسم من ٤ جى بيادة مع بطارية من مدافع كروب تحت قيادة الميرالاى عثمان بك نجيب أرسل إلى ودين ، وألحق بالجيش العثمانى الشرقى تحت قيادة الغازى عثمان باشا واشترك معه فى احتلال مدينة زايجار وفى الوقائع التى حصلت غربى هذه المدينة (٢)».

أما بقية جنود النجدة المصرية الذين كانوا تحت قيادة الفريق راشد حسنى فقد ألحقوا بقوات الجيش العثمانى الغربى تحت قيادة محمد على باشا ومركزه فى ينى بزار . ولكن ما أن وصل راشد حسنى إلى هذه المدينة حتى تاقى برقية من

---

(١) مجلة الجيش : المجلد التاسع العدد ٢٦ ص ٢١١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٢ (صورة تلغراف وارد إلى قيادة العساكر المصرية فى سنيجة من طلعت باشا فى ينى كوى) برقية رقم ٦٨ فى ٣ أغسطس سنة ١٨٧٦ .

القائد التركى درويش باشا بسنيجة يحثه على الإسراع فى الوصول اليه (١).

المعارك الحربية

فى ٢ يوليو سنة ١٨٧٦ عبرت قوات الصرب البالغ عددها ٢٠ الف مقاتل ومزودة بثلاثين مدفعا الحدود التركية بالقرب من نيش ، وهاجموا القوات العثمانية المرابطة على الحدود ، فتصدت لهم وأرجعتهم الى (خط (٢) الامتياز) حدودهم . ثم تتبعوهم داخل الحدود الصربية ودارت بين الجيشين (الجيش العثمانى تحت قيادة أحمد أيوب باشا قائد جيش الطونة والذى يمثل قلب الجيش العثمانى) والجيش الصربى معركة على مسيرة اثنتى عشرة ساعة من الحدود ، بهزيمة الجيش الصربى وأسر ثمانية الآف جندى والاستيلاء على ١٨ مدفعا (٣).

وقد حدثت معركة بين القوات العثمانية تحت قيادة أحمد مختار باشا والمرابطة فى شمال ولاية البوسنة أسفرت عن قتل ٩٠٠ جندى من جانب الصرب وجرح ما يعادلهم داخل سوق القرية وفيما حولها . وكان من بين القتلى قائد المعركة وكثيرين من الضباط والكتاب وفر الباقون مذعورين . أما من الجانب التركى

---

(١) مجلة الجيش المجلد التاسع العدد ٣٦ ص ٢١٢ (برقية من القائد التركى درويش باشا بسنيجة الى راشد حسنى باشا فى ينى بزررقم ٤٨٤٧ فى ١٩ تموز سنة ٩٢ أول أغسطس ١٨٧٦ .

(٢) دفتر ٢٨٣ عابدين (تلغرافات من طلعت باشاإلى خيرى باشا. وثيقةرقم ٢٦ فى ١٠ يونية سنة ١٨٧٦ .

(٣) محفظة ٢٨٥ عابدين (تلغرافات) من طلعت الى خيرى باشا فى ٤ يوليه سنة ١٨٧٦ (١٣ جماد ثانى سنة ١٢٩٣).

فكانت الخسارة ٤٠ من الجنود والأهالى وجرح نحو ٧٠ فقط [١] .

وما أن وردت برقية درويش باشا (أول أغسطس سنة ١٨٧٦)إلى الفريق راشد حسنى حتى قام على الفور وبصحبته اللواء إسماعيل كامل بالقـوة المصرية وأصطحبتها أورطين آخرين من العساكر المتطوعة للحاق بدرويش باشا فى سنيجة وكان مهددا من قبل القوات الصربية . فهاجموا قوات العدو وأرغموها على الفرار بعد أن جرح منها عدد كبير ، ولم يصب بجروح من القوات المصرية إلا عدد قليل [٢] .

وكان أهالى الصرب قد أنشأوا ، عدة استحكامات أمام موقع سنيجة وأخذوا يهاجمون تلك الاستحكامات معتمدين على معسكرهم بجهة ياقور . وقد تكون من القوات المصرية والعثمانية وألفين من الجنود المتطوعين المجتمعين فى سنيجة خمسة عشرة طابورا مزودا ببطاريتى ميدان وبأخرين جبليتين تحت قيادة المشير درويش باشا قائد البوسنة العام . وقسمت هذه القوة إلى قسمين : وضع القسم الأول منها تحت قيـــادة الفريق راشد حسنى واللواء إسماعيل كامل . والقسم الثانى تحت قيادة الفريق جميل واللواء العثمانى حسين باشا . وفى يوم السبت الموافق ١٦ الجارى (رجب سنة ١٢٩٣) هجمت هذه القوة على التلال المواجهة لسنيجة والتى احتلها الصربيون وأنشأوا فيها استحكامات متينة . وبعد موقعة دامت

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا الى الديوان الخديوى ١٥ جماد آخر سنة ١٢٩٣ (٧ يوليه سنة ١٨٧٦).

(٢) الوقائع المصرية . العدد رقم ٦٧٠ ص ١ بتاريخ ٢٣ رجب سنة ١٢٩٣ (١٤ أغسطس ١٨٧٦)

بين سبع وثمان ساعات طرد العدو بفضل الله تعالى من تلك الاستحكامات، ونكل به أشد تنكيل ودخلت القوة الأراضى الصربية . وفى اليوم التالى وهو الأحد احتلت عدة استحكامات أخرى . وفى يوم الأثنين اقتربت القوى المؤلفة من العساكر المصرية والعثمانية والمعاونة من استحكامات العدو المتينة فى جبال ياور التى يستندعليها العدو، وكنت (راشد حسنى) فى الجناح الأيمن وإسماعيل كامل باشا والفريق جميل باشا فى الوسط والفريق محمدعلى باشا الموجود هناك من قبل فى الجناح الأيسر . ووقعت موقعة أسفرت عن احتلالنا للأماكن التى يستحكم فيها العدو. وقد كنا ننوى الهجوم على مابقى من الاستحكامات وعددها ثلاثة ، ألا إن إقتراب الغروب وانسحاب العدو وكثرة هطول الأمطار كل هذه منعتنا من القيام بأية حركة وأقمنا حيث كنا. أما العدو فإنه تأكد من عدم إمكانه البقاء هناك بحالة الانتصار التى هو فيها فأخلى الاستحكامات المذكورة ليلا وفر هاربا. لذلك فاننا احتللنا أمس تلك الإستحكامات ومقدار مائتى استحكام بين صغير وكبير فى ياور وطوتراقان بكمال التوفيق . وبالرغم من أن قوى العدو كانت فى هذه الواقعة مؤلفة من ٢٦ طابورا من العساكر النظامية وعشرة آلاف جندى غفر نظامى و٣٠ مدفعا كبيرا. وفضلا عن أن مواقعهم كانت عبارة عن غابات عظيمة وعرة المسالك، فان البسالة والشجاعة اللتين أبداهما كل من العساكر المنصورة المصرية والعساكر العثمانية كانت سببا فى انهزام العدو شر هزيمة وتركه ما ينوف عن الألفى قتيل وبضعة أمثال هذا العدد من الجرحى. واغتنمنا فى الاستحكامات أسلحة كثيرة وخبخانة ومهمات وحيوانات وأشياء أخرى. كما اغتنمنا مدفعا تركوه فى الطريق ولم يتمكنوا من تهريبه. أما عدد الجرحى والقتلى من العساكر المصرية والعثمانية فقليل جدا [١].

---

(١) محفظة ٥٣ (معية تركى) من على غالب ناظر العسكرية الى سعادة مهردار =

وقد سر الخديو اسماعيل بهذا النصر وبعث بمحمود سامى يحمل كتاب شكر إلى الفريق راشد حسنى وجميع ضباط وجنود المعركة (١) ، وكـــذا الترقيات والنياشين التى أنعم بها الباب العالى على جنود مصر تقديرا لهم (٢) وذلك بناء على التقرير الذى رفعه المشير درويش التركى الى السلطان مشيرا إلى بسالة الجنود المصريين وتفانيهم فى القتال . وقد شمل الانعام الضباط الآتية أسماءهم (٣):

أميرلواء اسماعيل كامل باشا	النيشان العثمانى	من الطبقة	الثالثة
أميرالاى يوسف شهدى بك	»	»	الرابعة
الأميرالاى زكريا حلمى بك	»	»	»
القائمقام احمـــد نير بك	»	»	»
القائمقام محمود فهمى بك	النيشان المجيدى	»	»
القائمقام على فهمى بك	»	»	»
القائمقام خورشيد نعمان بك	»	»	»
البكباشى خورشيدبسمى أفندى	»	»	»

= الخديو الاكرم فى ٢١ رجب سنة ١٢٨٣ وثيقة رقم ١٨٧ (صورة حرفيـة للتلغراف الوارد من قائد الجيش المصرى والياور الخديو فى ٢٨ يوليه سنة ٩٣)

(٢) تقويم النيل . المجلد الثالث . الجزء الثانى ص ١٣٨٥ (إرادة لراشـد حسنى باشا فى ١٧ شعبان سنة ١٢٩٣) .

(٣) الوقائع المصرية العـدد ٦٧٤ فى ٢٢ شعبـان سنـة ١٢٩٣ (١٢ سبتمبر ١٨٧٦).

(٤) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف طلعت باشا) وثيقة بدون رقم وبدون تاريخ.

البكباشى احمد عفت أفندى	النيشان المجيدى من الطبقة الرابعة
سعد ابو جبل أفندى	« « «
حسن همت أفندى	« « «

وبالقرب من حدود الصرب نشبت معركة كبيرة بين ستة طوابير من الجنود الشاهانية الذين كانوا يعتزمون الهجوم على ميناء ياور الواقع على خط امتياز بلاد الصرب بالقرية التى يطلق عليها اسم غلادينجا الواقعة على مسافة ثلاث ساعات من يتى برارو بين ١٨ طابوراً من جنود الصرب ، واستمرت المعركة ١٤ ساعة وانتهت بهزيمة الصربيين فى حصون ياور ، وخلفوا وراءهم ١٥٠٠ قتيل ومثلهم من الجرحى ، ونفق كثير من دوابهم . أما الجنود العثمانيون فقد غنموا كميات كبيرة من البنادق المششخنة والمهات ، وكانت خسائرهم أقل من خسارة الصرب (١) .

وفى نفس الوقت (٧ يوليه سنة ١٨٧٦) حدثت معركة بين ثلاثة طوابير من العساكر الشاهانية وأكثر من ٣٠٠ من الفرسان والجراكسة وبين الجنود الصربية بجوار مخفر قبالونجا الواقع بقرية عدلية . وبعد أن استمر القتال خمس ساعات فر العدو تاركاً وراءه أكثر من ٣٠٠ قتيل من بينهم قائد المعركة . وخسر الجانب التركى فى تلك المعركة ٢٦ قتيلا وجرح خمسة وثلاثون (٢).

---

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى المعية السنية فى ١٦ جماد آخر ١٢٩٣ (٨ يوليه ١٨٧٦) .

(٢) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى مهردار الخديو فى ١٦ جماد آخر ١٢٩٣ (٨ يوليه ١٨٧٦) .

وكان الموقف الاوربى فى ذلك الوقت يتلخص فى أن الحكومة الروسية كانت تحاول الضغط على الباب العالى لمنح الولايات الثائرة ما تطلبه من امتيازات وتتحين الفرص المناسبة للتدخل إلى جانب الثوار .

وحبذت النمسا تدخل الدول الأوربية لحل المشكلة . ولكن انجلترا كانت لاتريد التدخل(١) ، وترى أن تقوم الدولة العثمانية بمفاوضة الثوار دون تدخل خارجى ، على أن تظهر الدولة الشدة والحزم فى موقفها إزاء الثوار . فإذا نجحت المفاوضات حلت المسألة دون حاجة إلى الدول الأوربية ، وإذا فشلت ، فربما وفق الباب العالى فى القضاء على الثوار . وفى ذلك الوقت تتدخل الدول الأوربية لحرمان الدولة العثمانية من ثمرة انتصارها ، وارغامها على منح الثوار نظاما شبيها بالنظام الذى منح لجزيرة كريت فى سنتى ١٨٦٦ ، ١٨٦٧ . وكانت الحكومة الفرنسية تتفق فى وجهة نظرها مع انجلترا بهذا الخصوص(٢).

وتوالت هزائم الصرب فى كل مكان ، ووردت الأنباء من ينى بزار ، بأنه حدث فى ٨ يونيه ١٨٧٦ أن هاجمت جنود الصرب قلعة ايكى كليسا فأصلتهم نيرانا حامية فشتتت شملهم بعد ساعتين ، خسروا فيها أكثر من ٥٠٠ قتيل و ٥٠٠ بندقية ثم ولوا الادبار . ولكنهم أعادوا الكرة مرة ثانية ، فهزموا وفقدوا أكثر ٢٠٠ قتيل (٣) .

---

(1) D. D. F. 1er Serie Vol II p. 77 & 78 Le Duc Décazes à M. Le Général Flô Ambascadeur de France à St. Petersbourg No. 71 Versailles, 6 Juil. 1876

(٢) المصدر السابق

(٣) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى الجناب الخديوى فى ١٧ جماد آخر ١٢٩٣ (يولية ١٨٧٦) .

وفى ميدان الجبل الأسود حدثت معركة بين عدد يزيد عن ٥٠٠٠ من الجبليين المجتمعين تحت قيادة الجبل الأسود ، أسفرت عن قتل أكثر من ٤٠٠ منهم وضعف هذا العدد من الجرحى . كما أنه ترك كثيرا من الأسلحة والجباخانة . أما خسارة الجيش العثمانى فتنحصر فى ١١ شهيداً و ٢٠ جريحا[١] ».

وتقدمت فرقة من الجنود العثمانية على رأسها عثمان باشا وسليم باشا فى ولاية الجبل الأسود ، فأحاط بها الثوار من كل جانب ، واستطاعوا التغلب على القوات العثمانية وهزيمتهـــا فى (تره بين) فقتل سليم باشا واضطر عثمان باشا للتسليم. وقد خسرت القوات العثمانية فى تلك المعركة عددا يتراوح بين ٩٠٠و١٢٠٠ جندى[٢] ثم تقدمت قوات احمد مختار باشا الموجودة بشمال الجبل الأسود وأخذت فى قتال قوات الجبل وتمكنت من الوقوف أمام العدو فى عدة مواقع. ولكن نظرا لزيادة قوتهم وإحاطتهم به من كل جانب، طلب النجدة من قوة البوسنة، فأرسلوا له ستة عشر طابورا . وبوصول تلك القوة أخذ فى مهاجمة الثوار وفى التضييق عليهم فى جهات فريج وفاخور وتره بين(٣) وقد أبلت القوة المصرية التى اشتركت فى العمليات الأخيرة بلاء حسنا(٤) .

---

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا الى الجناب الخديو فى ١٩ جماد آخر ١٢٩٣ (١١ يولية ١٨٧٦) .

(٢) محفظة عابدين (تركى) من طلعت باشا إلى الجناب الخديو برقية بالشفرة فى ١٩ أغسطس ١٨٧٦ (٢٩ رجب ١٢٩٣)

(٣) حقائق الأخبار ج ١ ص ٧٦

(٤) محفظة ١٥٨ عابدين (تركى) من قائد فرقة ينى بازار الفريق محمد على باشا إلى مقام الحضرة الخديوية فى ١١ ذى القعدة ١٢٩٣ (أول نوفمبر ١٨٧٦)

وأرسلت القيادة العثمانية بجيش من الشام تحت قيادة محمود باشا ونزل بميناء بار (انتيفارى) بالجبل الأسود ، ولكنه هزم واضطر إلى التقهقر إلى اشقودره بسبب وعورة المنطقة . والتجأت قوات الصرب إلى طريقة حرب العصابات ، وتدفق على الجبل الأسود الكثير من الذخائر والمتطوعين من الصرب والروسيا. وقد أثرت المساعدات الحربية للجبل الأسود تأثيرا سيئا فى قوة الصرب الحربية.

وفى الجبل الأسود أبرق أحمد مختار باشا (بتاريخ ٣ سبتمبر ١٨٧٦) بأنه اجتاز حدود الجبل الأسود واستولى على قرية زاسلاب ولم يكن بينه وبين الدخول فى الإمارة إلا مسافة ساعتين . ثم قام بإنشاء استحكامات المدينة ليكون على اتصال بقائد فرقة اشقودره القريبة من مواقع العدو(١).

أى أن أهل الجبل الأسود كانوا أسعد حظا من أهل الصرب . وسترتب على ذلك أن الدولة العثمانية ستتمكن من عقد صلح مع الصرب ، بينما يتشدد أهل الجبل الأسود فى مطالبهم، وسيؤدى هذا إلى تدخل الروسيا الحربى وقيام الحرب الروسية التركية .

وحدثت فى أول سبتمبر ١٨٧٦ موقعة بين الجنود المصرية تحت قيادة الفريق راشد حسنى (التابع لجيش الغرب تحت قيادة محمد على باشا) وبين جنود الصرب المعتصمين باستحكاماتهم خلف سلسلة جبال الدريزينه الكائنة على مسافة ساعتين ونصف من جافور ، وقد هاجمت القوات المصرية مواقع العدو هجوماً عنيفاً وأرغموه على الخروج منها والفرار إلى استحكامات أخرى بالجبال. واستخدمت

---

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى جناب الخديو فى ١٩ جماد آخر ١٢٩٣ (١١ يوليو ١٨٧٦)

المدفعية فى الهجوم على قرته (كونشيكه جرقا يتشوفيه)، «وقد اشتعلت النار من اطلاق المدافع فى قريتى بونشكيت وجواراشريك فحرقتا»[١]. وانجلت المعركة عن قتل أكثر من سبعمائة قتيل وعدد كبير من الجرحى من جانب الصرب. أما عن خسائر الجانب المصرى فكانت قليلة [٢].

وقد وجه قائد فرقة ويشفراد قوة عسكرية على الصربيين المحصنين فى الاستحكامات المقامة على مسافة ساعة ونصف ساعة وراء الحدود واشتبك الطرفان فى معركة حامية انهزم فيها الصربيون «وحصلت لهم اتلافات جسيمة واحترق فى أثناء المحاربة بسبب ما تأثر من النيران ما ينيف على المائتى منزل وغنموا مقداراً وافراً من المواشى والذخائر الحربية[٣]».

كما هاجمت فرقة سليمان باشا مدة أربعة أيام متوالية (من عشرين إلى أربع أغسطس ١٨٧٦) الاستحكامات التى أنشأها العدو فوق قمم الجبال الشاهقة المحيطة بالكسيناج واشتد القتال بينهما «وحصل للأعداء فى هذه المرة من الاتلافات مالم يسبق بمثلها وغنما منهم مندفعين»[٤].

---

(١) الوقائع المصرية العدد ٦٧٤ فى ٢٢ شعبان ١٢٩٣ (١٠ سبتمبر ١٨٧٦)

(٢) جريدة أركان حرب الجيش المصرى السنة الثالثة. المجلد الأول الجزء الأول سنة ١٨٧٦ (تلغرافات واردة من محمد على باشا ومن راشد حسنى باشا محرره فى نوفى بازار فى ٢ سبتمبر ١٨٧٦)

(٣) الوقائع المصرية رقم ٦٧٤ فى ٢٢ شعبان ١٢٩٣ (١٠ سبتمبر ١٨٧٦)

(٤) المصدر السابق (برقية من السردار الاكرم عبد الكريم باشا القائد العام فى ٣ سبتمبر ١٨٧٦)

ثم حاصرت موقع الكسيناج (من ٢٥ - ٣٠ أغسطس)، وبسقوطه واصلت سيرها نحو بلغراد . وقد أسر فى هذه المعركة ٢٥ ضابطا روسيا و ١٠٠ جندى روسى كذلك[١].

وتتبعت بعض قوات مصرية (فى ٣ سبتمبر ١٨٧٦) مكونة من أورطتين ونصف أورطة وبعض المتطوعين تحت قيادة حلمى زكريا بك (التابع لجيش ينى بازار) فرقة من جنود الصرب كانت ترابط على طريق أوريانتشيا واشتبكت معها فى معركة حامية فانهزمت على أثرها قوات الصرب انهزاماً تاماً ، « وتركت فى ميدان المحاربة كثيرا من القتلى والجرحى [٢] » . وقد سقط فى ميدان المعركة أرسلان كامل أفندى (بكباشى ٣جى أورطة بيادة ١جى فرقة) . وقد أرسل الخديو اسماعيل كتابا فى ٨ سبتمبر ١٨٧٦ للفريق راشد حسنى يشكره على ما بذلته القوات المصرية من جهود موفقة [٣].

ودارت معركة شديدة بين قوة من الصرب والجنود المصرية تحت قيادة عثمان باشا فى ١٧ اكتوبر ١٨٧٦ وذلك على مسيرة ثلاث ساعات من زايجار . وقد استمر القتال ثلاث ساعات انسحب بعدها العدو والتجأت قواته إلى غابة كثيفة أقيمت فيها متاريس قوية احتمت خلفها وبدأت فى مقاومة الجنود المصريين . ولكن القوات المصرية واصلت زحفها على تلك الاستحكامات، ولم تقف فى سبيلها الغابة

---

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى الجناب الخديو فى ١٨ سبتمبر ١٨٧٦ (اخر شعبان ١٢٩٣) .

(٢) الوقائع المصرية العدد ٦٧٤ فى ٢٢ شعبان ١٢٩٣ (١٢ سبتمبر ١٨٧٦)

(٣) المصدر السابق

الكثيفة أو الاستحكامات المنيعة ، فهجموا هجوماً صادقا عليهم ، فولوا الأدبار بعد أن تركوا وراءهم كميات وافرة من الأسلحة المختلفة (١).

واجتاز جمع من الكشافين الجراكسة نهر مورافا وتقابلوا أثناء مرورهم بين بلغراد والكسيناج على قافلة تحمل مؤن آتية من العدو من الكسيناج متجهة إلى بلغراد ، فاشتبك الطرفان فى قتال أسفر عن قتل اثنين من ضباط العدو ومائتين من العساكر . ولم يفقد الجانب التركى إلا جندياً واحداً وجرح اثنان . وغنم الجراكسة مقداراً وافراً من المواشى والذخائر (٢).

---

(١) جريدة أركان حرب الجيش المصرى المجلد الأول الجزء الثانى السنة الثالثة الجزء الأول ١٨٧٦

(٢) الوقائع المصرية العدد رقم ٦١٤ الصادر فى يوم الأحد ٢٢ شعبان ١٢٩٣ (١٠ سبتمبر ١٨٧٦)

الفصل الثالث

التدخل الدولى وموقف القوات المصرية

ونظراً للأثر السيء الذى أحدثته المذابح البلغارية فى الرأى العام الانجليزى، لم تستطع الحكومة الانجليزية الوقوف صراحة إلى جانب الباب العالى أو تأييد موقفه من الثوار . وفى نفس الوقت كانت تود وضع حد للحرب القائمة حتى لا تؤدى إلى تدخل الروسيا الحربى فى صالح الصرب. فطلب دزريلى من الحكومة العثمانية أولا قبول هدنة (أول سبتمبر سنة ١٨٧٦) . ثم القيام بتنفيذ برنامج اصلاحى لتهدئة الخواطر ، وذلك بمنح الولايات الثائرة وكذلك بلغاريا استقلالا اداريا (٢٥ سبتمبر سنة ١٨٧٦) .

وقد صرح اللورد دربى لسفير فرنسا فى لندن المركيز دى هاركوت بأنه فى حالة تدخل روسيا فى الحرب ، فأن الحكومة الانجليزية تحت تأثير الرأى العام الانجليزى ربما لن تستطيع أن تعمل شيئا لمنعها .

وكانت سياسة الحكومة الفرنسية تتفق مع سياسة الحكومة الانجليزية فى هذا الشأن [1] . وقد رفض الباب العالى قبول الهدنة التى لم تكن قد عرمت اليه

---

(1) D.D.F. ler serie vol. II P. 88 Le Marquis d'Harcourt Ambassadeur de France, à Londres, à M. Le Duc Décazos. No. 84 Londres, 10 Sept. 1876.

بعد من الدول الأوربية بصفة رسمية إلا بشروط معينة هى عدم قبول ميلان أميرا للصرب ، وبقاء القلاع تحت سيطرة الدولة العثمانية ، وزيادة خراج ولاية الصرب ، وفى حالة رفض الدول الاوربية بقاء القلاع فى قبضة العثمانيين ، فعليها أن تتعهد بألا تعترض على دخول الجنود العثمانيين أراضى الصرب أو الجبل الاسود إذا ما قاما بالعصيان (١) .

وقد شجع السلطان العثمانى على الرفض عدم اتحاد الدول الاوربية العظمى بشأن تلك المسألة ، واعتقاده بأن انجلترا ستتدخل للدفاع عنه إذا ما تحرج الموقف . ولكن الحكومة الانجليزية اعتبرت شروط الصلح التى تقدم بها الباب العالى غير مقبولة، كما أن الدول الأوربية الأخرى لن توافق عليها . واقترحت الشروط الآتية كأساس لاقرار السلم :

أولا : بقاء الحالة كما هى عليه Statu quo بصفة عامة فيما يتعلق بالصرب والجبل الأسود .

ثانياً : أن يتعهد الباب العالى فى بروتوكول يوقع فى الاستانة مع ممثلى الدول المتوسطة فى النزاع ، بالموافقة على منح البوسنة والهرسك استقلالا داخليا أو إداريا ، ودستور محلى يمنح الشعب حق الإشراف على شئونه المحلية ، وإيجاد الضمانات الكافية لعدم رجوع الباب العالى إلى استخدام السلطة الاستبدادية .

ثالثاً : أن تعطى ضمانات مماثلة ضد سوء الادارة فى بلغاريا .

على أن يقوم الباب العالى بتنفيذ الاصلاحات التى تقدم بها فى ١٣ فبراير

---

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى الجناب الخديو فى ٩ سبتمبر ١٨٧٦ .

سنة ١٨٧٦ إلى الدول العظمى بشأن ولايات البوسنة والهرسك والصرب [١] .

وقد أرسل امبراطور الروسيا الجنرال سوماروكوف Soumarokov (قائد حرص القيصر) إلى بلاط فينا للاتفاق مع حكومة النمسا على تدخلها عسكرياً واحتلال جيوشها للبوسنة ، وكذلك احتلال الجيوش الروسية ولاية بلغاريا ، وذلك فى حالة تسويف الدولة العثمانية فى عقد الهدنة [٢] .

ولكن امبراطور النمسا رفض هذا العرض الروسى لسببين جوهرين :
الأول : أن الامبراطورية النمسوية ليست فى حالة تساعدها على قبول هذا العرض . والسبب الثانى أن هذا التدبير سيرغم النمسا على إستخدام القوة ، وهو مالا تريده حكومتها . رفض الامبراطور النمسوى تدخل الأساطيل الحربية فى البوسفور لأنها فى نظره تعتبر أحسن وسيلة يمكن استخدامها للضغط على الباب العالى [٣] .

ولما كان انتصار القوات العثمانية والمصرية على قوات الصرب يثير غضب الروسيا ، مما قد يضطرها إلى التدخل فى جانب الثوار ، رأت انجلترا أن تضغط على الباب العالى لقبول الصلح بشروط معقولة . فاستجاب العالى لهذا الضغط

(1) D. D F. p. 19 Le Duc Décazes, à M.De Bourgoing, Ambassadeur de France à Constantinople. No. 87, 24 Sept 1876.

(2) D. D. F. p. 93 Le Duc Décazes aux Reprasentants Diplomatiques de la France à L'Etranger. No. 88 Paris, 27 Sept. 1876.

(3) D. D. F. p. 96 Communication confidentuelle faite par le Comte de Wimptfen (Amb. d'Autrice-Hongrie à paris) No.92 Paris Oct. 1876.

وقبل الصلح على الأسس الآتية (١) : .

أولا : أن يذهب أمير الصرب إلى الآستانة لطلب العفو من الباب العالى .

ثانياً : إقامة الجنود العثمانية بالقلاع أو هدمها .

ثالثاً : أن تتحمل الصرب نفقات الجيوش العثمانية حتى عودتهم مع إضافة ٣ ./. إليها .

رابعاً : مد خط حديدى بواسطة الشركة التركية فى جنوب الصرب تتصل بسكة حديد النمسا وتكون تحت إشراف الشركة .

خامساً : إلغاء جنود البوليس الذين يقومون بالإشراف على أمن بلاد الصرب.

سادساً : تحديد عدد الجنود النظامية تحديداً مناسبا موافقا لحاجة البلاد على ألا يزيد عددهم فى المستقبل .

وقد وجدت انجلترا أن هـــذه الشروط معقولة ، فوعدت بالسعى لدى حكومات الدول الأوربية لقبولها .

أسكرت الانتصارات التى أحرزها العثمانيون على الصرب ، وظنوا أن الدول الأوربية لن تضع تهديداتها موضع التنفيذ ، فجددت الأعمال الحربية فى ٣ اكتوبر سنة ١٨٧٦ ، واستطاعت فى ٢٩ من هـذا الشهر سحق قوات الصرب تحت قيادة القائد الروسى تشرنايف Tchernaieff فى كروتشفاتس Kruchevats وبذلك أصبحت الصرب بلا جيش يحميها ، وأصبح الطريق مفتوحا إلى بلغراد.

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) من طلعت باشا إلى جناب الخديو . برقية بالشفرة فى ١٤ سبتمبر ١٨٧٦ (شعبان ١٢٩٣) .

وقد أحدثت الخسائر الفادحة التى منيت بها القوات الصربية تغييراً فى وجهة نظر الحكومة الروسية ، فعزمت على التصرف وحدها إزاء الدولة العثمانية (١).

ونظراً لخطورة الحالة فى البلقان وخشية انجلترا من تدخل الروسيا الحربى قررت الحكومة الانجليزية أن تطلب من الباب العالى عقد هدنة لمدة شهر على الأقل لإتاحة الفرصة أمام الدول الأوربية الكبرى لعقد مؤتمر للتشاور فى ايجاد حل لتلك الأزمة . وأبلغت سفيرها بالآستانة (السير هنرى اليوت) أن يبلغ الحكومة التركية بأنه فى حالة رفضها لهذا الطلب ، فإن الحكومة الانجليزية لن تتقدم لمساعدتها فى هذا الموقف الحرج (٢) وكانت الحكومة الروسية قد تقدمت بمثل هذا الطلب (طلب عقد هدنة) إلى حكومة الآستانة ، ولكنها طلبت أن تكون مدة الهدنة ستة أسابيع.

وقد بحثت الحكومة التركية هذا العرض الانجليزى ، وقررت فى ١٠ اكتوبر سنة ١٨٧٦ عقد هدنة لمدة ستة شهور مع الدول العظمى ، لا مع الصرب والجبل الأسود ، لأنها لم تعدهما من الدول التى يحق لها عقد اتفاقات معها ، بل كانت تعتبرهما ولايتين تحت سيادتها ، وأن ما قاما به ما هـــو إلا خروج عن طاعة السلطان العثمانى . ويبدو أن الحكومة العثمانية قد مدت من أجل الهدنة حتى تتيح لنفسها الفرصة للاستعداد الحربى توقعا لمهاجمتها من جانب الروسيا إذا ما فشلت

---

(1) M. A. Malet; La politique Eurepeanne jusqu' an Traité de Berlin (1871 - 1878) Hist. Générale Vol. XII p. 436.

(2) D.D.F. Vol.11 p.98 Le Duc Décazes, aux Ambassadeur de France á Berlin, Vienne. Rome, Paris, 5 Oct. 1876.

تلك المفاوضات هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لإتاحة الفرصة للدول الأوربية الكبرى لإيجاد حل لتلك المشكلة ، أو توسيع هوة الخلاف بينها إذا لم تصل لحل معين . وفى تلك الحالة يأمن الباب العالى من إجماع الدول الأوربية عليه . ولكن هذه الهدنة كانت مشروطة من جانب الدولة العثمانية بالشروط الآتية [١] :

أولا : عدم اجتياز الثوار للحدود أو الهجوم عليها أثناء الهدنة .

ثانياً : منع الاعانات التى ترد على الثوار من بعض الجهات بصفة غير رسمية .

ثالثاً : عدم إمداد الصرب بالمتطوعين من أى جهة كانت .

رابعاً : عدم تكليف الدولة العثمانية بشىء فيما يختص بالبوسنة والهرسك .

وقد قوبلت تلك الموافقة من الدول الأوربية بصفة عامة بارتياح كبير [٢] . ولكن حدث خلاف بين وجهتى نظر الحكومتين الانجليزية والروسية بشأن أجل الهدنة . فالحكومة الانجليزية قد وافقت على مدة الستة شهور التى قررتها الحكومة العثمانية ، وأعلنت أنها لن تستطيع تقصير أمدها إلا إذا وافقت الحكومة العثمانية على ذلك .

وقد حاول الكونت شوفالوف (سفير الروسيا بلندن) اقناع اللورد دربى

---

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية واردة من طلعت باشا إلى الجناب الخديو فى ١١ أكتوبر ١٨٧٦ .

(2) D.D.F. Vol. II p. 100 M. de Bourgoing. Ambassadeur de France à Constantinople à M Le Duc Décazes No. 99 Therapia, 10 Oct. 1876

بقبول حل وسط يرضى الطرفين ، وهو أن الحكومة الروسية على إستعداد لقبول مدة الستة شهور ، على شرط أن توافق الحكومة الانجليزية مقـــدما على أنه فى حالة رفض تركيا مقترحات المؤتمر ، تعتبر الهدنة غير قائمة (١).

ولكن الحكومة الانجليزية لم تشأ البت فى هـذا الموضوع قبل استشارة بسمرك ، فطلبت من سفيرها ببرلين اللورد اودو راسل Odo Russel بأن يدعـو بسمرك للخروج عن صمته وبأن يدلى بمـا يراه من نصح لحفظ السلام الأوربى . أو أن يقوم - على الأقل - بتزكية اقتراح وزير خارجية الروسيا (الخاص بمدة الهدنة) ، وأن دزريلى سيعتبر ما سيدلى به بسمرك كنصح أخوى. ولكن المستشار الألمانى أبدى أسفه من أن الحكومة الالمانية لا تستطيع أن تطلب من الحكومة الروسية قبول فـــترة الهدنة التى اقترحتها الحكومة العثمانية (٢) .

وفى ذلك الوقت دعت الحكومة العثمانية ولايتى الصرب والجبـل الأسود للدخول معها فى مفاوضات بشأن الصلح ، وذلك بناء على مشورة الدول الأوربية الكبرى، فأرسلت الصرب بمندوبين عنهـا إلى الآستانة وتبعها الجبل الأسود (٣).

---

(1) D.D.F. Vol.II p.101 Le Duc Décazes, aux Ambassedeurs de France à Berlin, Vienne, Saint-Petersbourg, Rome. N.101 Paris, 21 Oct. 1876

(٢) المرجع السابق .

(٣) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى الجناب الخديو فى ١٩ فبراير ١٨٧٧ (٧ صفر ١٢٩٤) .

وقد تم الاتفاق بين مندوبى الصرب وبين صفوت باشا ناظر الخارجية التركية على بقاء الحالة كما كانت عليه من قبل، أى أن تحتفظ ولاية الصرب بما كان لها من إمتيازات سابقة قبل نشوب الحرب الأخيرة بينها وبين الدولة العثمانية ، بشرط خروج الجنود العثمانية من الصرب ، وتتعهد الحكومة الصربية بعدم إنشاء قلاع جديدة فى المستقبل ، وأن يرفع العلم العثمانى إلى جانب العلم الصربى .

أما فيما يتعلق بالجبل الأسود فكان لمندوبيهم مطالب عديدة ، من هذه المطالب تعديل حدوده على حساب الأراضى العثمانية ولكن مجلس المبعوثان (النواب) العثمانى رفض التسليم بأى شبر من أرض الوطن للجبل الأسود (١) . فطلب مندوبو الجبل الأسود الاتصال بأميرهم ليعرضوا عليه نتيجة المباحثات .

ووفى خلال تلك المفاوضات كان الرأى العام العثمانى يتأرجح بين السلم والحرب ، ففى يوم يميل إلى السلم وفى اليوم الآخر يميل إلى جانب الحرب ، إلى أن رجحت كفة الحرب (٢) فى النهاية نتيجة لعدم استطاعة الحكومة العثمانية الوصول إلى اتفاق مع الجبل الأسود . ولهذا أصدرت الحكومة العثمانية أوامرها إلى مراكزها العسكرية بالجبل الأسود بالاستعداد التام لمواجهة أى عدوان من جانب قوات الجبل بعد إنتهاء فترة الهدنة . وكان الخديو اسماعيل يهتم اهتماما بالغاً بتطور الأحداث فى البلقان فى تلك الفترة ، لأنه كان يخشى أن تسير الأمور من سىء إلى أسوأ، وما قد يترتب عليه من تقديم مصر لمزيد من المساعدات

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى الجناب الخديو فى ١٣ ابريل سنة ١٨٧٧ (آخر ربيع أول ١٢٩٤) .

(٢) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى الجناب الخديو فى ١٧ مارس ١٨٧٧ (٢ ربيع أول ١٢٩٤) .

الحربية . بالإضافة إلى قواتها الموجودة بميدان القتال منذ بدء تلك الحرب . فى نفس الوقت الذى كانت تعانى فيه الحكومة المصرية ضائقة مالية شديدة ، فضلا عما فرضته الحكومتان الانجليزية والفرنسية من رقابة ثنائية على مالية البلاد قيدت سلطة الخديو اسماعيل فى الشئون المالية إلى حد كبير . فأية مساعدة حربية جديدة يطلبها السلطان ، معناها إلتجاء اسماعيل إلى فرض ضرائب جديدة على الشعب تمكنه من إمداد الباب العالى بالقوة الحربية اللازمة ، وما قد يكون لهذه الضرائب الجديدة من أثر سيء فى نفوس الأهالى ، وفى زيادة روح التذمر الذى بدأ فى الظهور فى أواخر عصر اسماعيل نتيجـــة لتيقظ الوعى القومى فى البلاد ، بفضل انتشار مبادىء حركة الجامعة الاسلامية وتعاليم جمال الدين الأفغانى ، وللتدخل الأوربى السافر فى شئون البلاد من مالية وإدارية وسياسية، واعتماد الخديو اسماعيل على الرأى العام المصرى ممثلا فى مجلس شورة النواب للوقوف أمام التدخل الأوربى .

أدى الخلاف فى وجهتى النظر الانجليزية والروسية بشأن الهدنة إلى إتجاه الحكومة مباشرة للضغط على الباب العالى لكى يجيب مطالبها بعد أن وجدت أن الثورة أخذت فى الهدوء بعد أن وصل الطرفان العثمانى والصربى إلى اتفاق . فأبلغ (١) السفير الروسى لدى استانبول (اجناتيف) الحكومة التركية رغبة حكومته فى عقد هدنة لمدة ستة أسابيع لعقد مؤتمر من الدول الأوربية الكبرى بالآستانة للنظر فى المشكلة ، وأنها قد وافقت على الأسس التى

(1) D.D. F. Vol. II p. 101 Le Duc Décazes aux Ambassadeurs de France à Berlin, Vienne, Saint-Petersbourg. Rome, No. 101 Paris, 21 Oct. 1876.

رفضتها انجلترا للسلم ، وأن يتناول المؤتمر المناقشة فى الضمانات لحماية حقوق المسيحيين فى البوسنة والهرسك وبلغاريا ، على ألا تشترك الحكومة العثمانية فى فى المؤتمر . وإذا لم تتفق الحكومات الأوربية على تلك الشروط ، فان الحكومة الروسية تعتبر ذلك بمثابة موافقة من تلك الدول على أن تعمل الروسية بمفردها لحل تلك المسألة . وقد أرغمت الحكومة الانجليزية إزاء هذا الموقف من قبل الحكومة الروسية إلى عدم التمسك برأيها بشأن مدة الهدنة وإلى الموافقة على عقد المؤتمر بالآستانة .

وكانت الحكومة النمسوية ترحب بعقد تلك الهدنة وتأمل فى أن يستطيع المؤتمر الوصول إلى حل لتلك المشكلة حتى لا تتعرض ممتلكاتها للخسائر نتيجة للصراع الذى قد ينشب بين تركيا والروسيا . ذلك الصراع الذى سيجذب إليه كل الرعايا الصقالبة الخاضعين لحكم الامبراطورية النمسوية المجرية والمنتشرين فيما بين البحر الأسود والبحر الأدرياتى (١) .

كما كانت سياسة الحكومة الفرنسية العمل على حفظ السلام الأوربى بكل السبل . وأصدرت بتعليماتها إلى سفيرها بالاستانة M. de Bourgoing بأن يعمل على تأييد مقترحات الجنرال اجناتيف لدى الباب العالى (٢) .

وعلى أثر الفشل الذريع الذى منيت به قوات الصرب فى محاولتها الأخيرة على سهل مورافا ، وسقوط استحكامات بلغراد وعاكسيناج تلقى الجنرال

(١) المصدر السابق .

(2) D. D. F. Vol. 11 p. 105 Le Duc Décazes à M. de Bourgoing Ambassadeur de France à Constantinople No. 104 Paris, 27 Oct. 1876.

اجناتيف (سفير روسيا بالاستانة) أمرا من حكومته بقطع العلاقات الدبلوماسية ومغادرة الآستانة إذا لم توقف الحكومةالعثمانية الحرب فى ظرف ثمانية وأربعين ساعة (١) . وقد وافقت الحكومة التركية على الشروط الروسية بوقف القتـال ، وأرسلت بتعليماتها إلى قوادها العسكريين لإيقـــاف العملية الحربية فى كل من الصرب والجبل الأسود (٢) .

مؤتمر الآستانة ١٨٧٦

لم توافق الصرب ولاالجبل الأسود على وقف القتال إلا بعد تدخل الدول الأوربية ، رغم احترام الدولة العثمانية لكلمتها بإيقاف العمليات الحربية لإتاحة الجو المناسب لعقد المؤتمر . وقد حاولت انجلترا أن توفق بـين رغباتها ورغبات الروسيا فى نفس الوقت ، فقبلت عقد المؤتمر من الدول الأوربية دون اشتراك الدولة العثمانية ، ولـكن عـلى أساس المقترحات الانجلـيزية . وفى نفس الوقت اشترطت بألا تسعى الدول المشتركة إلى تحقيق أطماع خاصة من وراء عقد هذا المؤتمر (٣) .

---

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا فى ٢ نوفمبر ١٨٧٦ (١٥ شوال ١٢٩٣) .

(2) D. D. F. Vol. 11 p. 106 M. De Bourgoing, Ambassader de France à Constantinople; à M. Le Duc Décazes, No. 105 Thérapia, 31 Oct. 1876

(3) D. D. F. Vol. 11 p. 107 Le Marquis d'Hapceurt, Ambassadeur de France á Londres, ä M. Le Duc Décazes. No. 107 Londres, à Nov. 1876

وقد أيدت انجلترا النمسا فى هذا الموقف . (١).

ونظرا للتقارب الذى كان موجودا بين الروسيا وألمانيا ، فقد استغلت الروسيا التأييد الألمانى فى مهاجمة الدولة العثمانية وفى تهديدها بأنه إذا لم توافق على إدخال الاصلاحات التى سيقرها المؤتمر ، فستكون فى حل من إستخدام القوة لارغام الباب العالى على قبول ذلك(٢) . ولم تفز الروسيا بتأييد ألمانيا فحسب (٣)وإنما بموافقة النمسا كذلك (٤) ، ولاسيما فيما يتعلق بتلك المشكلة .

ولكى تعزز الروسيا تهديداتها للدولة العثمانية فقد عبأت قوات كبيرة العدد وضعتها على حدود ولايتى الافلاق والبغدان ، وعلى حدود الأناضول ، ويقدر عددها بنحو ٤٠٠ ألف مقاتل . ونظرا لخطورة الموقف فقد أصدر الباب العالى أوامره بحشد الجيوش العثمانية فى جبهتى الروم إيلى والأناضول وتعيين المشير أحمد مختار قائدا عاما على جيوش الأناضول ، والمشير عبد الكريم نادر قائدا

D. D.F. Vol. 11 P. 109 Le Duc Décazes a L. de Vogüe Ambassader de France à Vienne, No. 111 Paris, 16 Nov. 1876.

(2) D. D. F. Vol. 11 P. 108 Le Général Le Flô, Amb. de France à St. Petrsbourg à M. Lo Duc Décazes, No. 109 Petersbourg 11 Nov. 1876.

(3) D. D. F. Vol. II p. 129 M. de Bourgoing, Ambassadeur de France à Constantinople a M. Le Duc Décazes No. 126 Péra 25 Déc, 1876

(4) D.D. F. Vol. II p. 120 Le Général Flô, Ambassadeur de France à St, Petersbourg. â M. Le Duc Décazes. No. 117 Petersbourg, 20 Nov. 1876.

عاما على جيوش الروم إيلى . وعين المشير درويش باشا قائد الباطوم . وكان عثمان باشا فى ذلك الوقت قائدا على فرقة ودين (١) .

وقد نجح بسمرك عن طريق تأييده لموقف الحكومة الروسية فى أن يباعد بين الروسيا وفرنسا، مما يضر بمصلحة الأخيره . وقد أدرك الجنرال لوفلو Le Flô سفير فرنسا فى الروسيا هذه الحقيقة وأشار على حكومته بعدم الانحياز كلية إلى سياسة إنجلترا بشأن تلك المسألة ، بل يجب أن تحاول إرضاء الروسيا بعض الشىء (٢) .

ولما كان السلطان عبد الحميد يخشى اجتماع الدول الاوروبية عليه فى مؤتمر لن تمثل الدولة العثمانية فيه ، فقد رأى القيام بحركة سياسية بارعة يضرب فيها عصفورين بحجر واحد ، فأعلن موافقته على إعلان الدستور العثمانى فى اليوم الاول لإنعقاد مؤتمر الآستانة . ففى إعلانه إرضاء للشعب التركى من جهة ومن جهة أخرى حل لمشكلة البلقان بعد أن سوى هذا لدستور بين جميع الاجناس والاديان فى الحقوق والوجبات .

ولكن هذه اللعبة السياسية لم تنطلى على الدول الأوربية الممثلة فى المؤتمر ، لأنها كانت تعلم حقيقة دوافع السلطان عبد الحميد ، ورأت المضى فى مهمتها التى جاءت من أجلها ، وكأن شيئا لم يكن .

وسنجد أن السلطان عبد الحميد ينتهز فرصة إعـــلان الروسيا الحرب عليه

(١) حقائق الأخبار جـ ١ ص ٧٣١ .

(1) D. D. F. Vol. II p. 120 Le Général Flô, ambassadeur de France à Petersbourg, à Le Duc Décazes. No. 117 Petersbourg, 20 Nov. 1876.

ويصدر أمره بإلغاء البرلمان فى ١٣ فبراير ١٨٧٨/وإيقاف الدستور بصفة مؤقتة نظرا للظروف الصعيبة التى تمر بها الدولة.

وقد استمر الدستور معطلا حوالى ثلاثين عاما حتى سنة ١٩٠٨ .

بدأت الحكومة الروسية تأخذ أهبتها للحرب ، وتعمل على جذب أكبر عدد من الحلفاء إلى جانبها . وكان يهمها أولا وقبل كل شيء معرفة موقف ألمانيا والنمسا من قيام حرب بينها وبين الدولة العثمانية . فطلبت الروسيا من ألمانيا أن تكون على الحياد فى حالة حدوث تلك الحرب . ونظرا لمماطلة ألمانيا فى توضيح موقفها بصراحة، لم تشأ الروسيا أن تضيع وقتها ، ولجأت إلى النمسا تشترى حيادها فى حالة نشوب تلك الحرب .

ولما كانت النمسا تعمل جاهدة على تفوق نفوذها فى غرب البلقان ، فقد وجدت فى هذا العرض فرصتها لإملاء شروطها . فوافقت على طلب الروسيا ،على أن تتعهد الروسيا بالموافقه على احتلال النمسا للبوسنة والهرسك فى معاهدة الصلح[1].

وفى نفس الوقت عملت الروسيا على ضم رومانيا اليها ، لاسيما وأن انضمامها سيتيح للجيوش الروسية المرور فى أراضيها والاستفادة من مواردها فى الحرب . وتم ذلك بموجب المعاهدة السرية التى وقعت بين الطرفين فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٧٨٦ .[2]

---

(1) D. D. F. Vol. II p.133 Le Duc Décazes à M. de Bourgoing, Ambassadeur de France à Constantinople. No. 130 Paris, 6 Jan. 1877

(2) D. D. F. Vol. p. 127 M. Debains, Consul Général de France á Bucarest, à M. Le Duc Décazes. No.123Bucarest, 15 Dec.1876.

وكان من الطبيعى أن تصطدم الدول الأوروبية فى البلقان منذ البداية ، وذلك لإختلاف المصالح ، ونتيجة لذلك انقسم أعضاء المؤتمر إلى فريقين : الأول ، وهو معسكر الروسيا والنمسا وألمانيا ، وكان يرى الإلتجاء إلى القوة إذا مارفضت الدولة العثمانية تنفيذ قرارات المؤتمر . بينما الفريق الآخر المكون من انجلترا [١] وفرنسا [٢] كان لايرى هذا الرأى ، ويصر على عدم القبول أو أو الاشتراك فى عمل عسكرى ضد الباب العالى لارغامه على الرضوخ لرغبة الدول الأوربية .

وحاول إجناتيف ممثل الروسيا فى المؤتمر وسفيرها فى الآستانة أن يوفق بين رغبات الدول الأوربية ، فاقترح أن توافق الدول الأعضاء على توجيه إنذار إلى الباب العالى ، يشتمل على القرارات التى وافق عليها المؤتمر ، ويحذر الحكومة التركية من القيام بمذبحة جديدة أو الاعتداء على ولايات البلقان . وأن أى عمل من هذا القبيل يعتبر إعتداء على الدول الموقعة على هذا الانذار ، تقابله بما تراه من إجراءات .

لم يكن لدى أعضاء المؤتمر بصفة عامة أن يوافقوا على هذا الاقتراح من

---

(1) D.D.F. Vol. 11 p. 132 Le Géneral Flô, Ambassadeur de France à St. Petersbourg, à M. Le Duc Décazes No. 129 St. Petersbourg, 3 Jan. 1877

(2) D. D. F. Vol. II p. 133 Le Duc Décazes a M. de Bourgoing. Ambassadeur de France à Constantinople No. 130 Paris, 6 Jan. 1877

ناحية المبدأ ، ولكنهم طالبوا بتخفيف شروطه حتى لاترفضه الحكومتين التركية والأنجليزية . ولكن مندوب ألمانيا فى المؤتمر رفض هذا الطلب مبينا ما ينطوى عليه من إمتهان لكرامة دول أوربا ، ولكرامة ألمانيا كذلك.

وربما لو استمر الخلاف بين وجهات نظر تلك الدول ، لاستطاعت الدولة العثمانية أن تستفيد منه . ولكنه لم يلبث أن زال ، واتفقت الدول فيما بينها على قرارات المؤتمر . وهى كما يلى (١) :

أولا : إعطاء ولايتى البوسنة والهرسك إستقلالا إداريا تحت إدارة حاكم مسيحى يعينه السلطان العثمانى لمدة خمس سنوات .

ثانيا : تمتع ولاية بلغاريا بالاستقلال الذاتى.

ثالثا : أن يلحـــق بالجبل الأسود مناطق اسبيذا واثنتا عسرة مقاطعة من البانيا والهرسك .

رابعا : عودة الصرب إلى حدودها القديمة مع ضم جهة مالى روزنيك اليها .

خامسا : تقوم قوة عسكرية بلجيكيه عددها ٦٠٠٠ جندى باحتلال تلك المناطق فترة من الوقت على نفقة الدولة العثمانية .

سادسا : جعل اللغة السلافية لغة رسمية ، وتكوين بوليس وطنى لحفظ الامن فى

(1) D. D. F. Vol. 11 p. 132 Le Général Flô, Amb. de France à St. Petersbourg, à M. Le Duc Décazes. No. 129 St. Petersbourg 3. Jan. 1877.

ربوع تلك البلاد ، وكذلك يخصص نصف ميزانية البلاد للصرف على مرافقتها العامة .

سابعا : فى إقليمى فابه ومقدونيا العليا يتم إختيار مشايخ القرى والقضاة بطريق الانتخاب[1].

وعندما عرضت تلك القرارات على الديوان العثمانى فوق العادة رفضها، وبلغ وزير خارجية تركيا هذا الرفض للدول الأعضاء فى المؤتمر . وفى نفس الوقت أعلن قبول حكومته لمشروع أندراسى وزير خارجية النمسا بشأن ولايتى البوسنة والهرسك ، وتكوين لجنة للمراقبة من مسلمين ومسيحيين تنتخب إنتخابا حراً لفترة عام واحد،ويرأسها موظف تعينه الحكومة العثمانية .

وقد ثارت الروسيا لهذا الرفض وأعلن[2] سفيرها بالآستانة الجنرال إجناتيف بأن أى عدوان على ولايات البلقان يعتبر عدوانا على دول أوربا المسيحية .

وقد أبلغ اللورد دربى المركيز دى هاركورت (سفير فرنسا بلندن) بأن المعلومات التى لديه تدل على أن المانيا تنظر إلى الحرب كأمر لا مفر منه ، وأنها

1 - D.D. F. Vol. II p. 128 Le Marquis d'Harcourt, Amb. de France à Londres, à M. Le Duc Décazes. No. 124 Londres, 19 Dec. 1876.

2 - D. D. F. Vol. II p. 137 M. D. Bourgoing, Amb. de France à Constantinople, à M. Le Duc Décazes, No. 135 Pera, 20 Jan. 1877.

راغبه فيه ( )،مع أن هذا يخالف سياسة بسمرك فى نفس الوقت الذى كان يعمل فيه على تجنيب أوربا قيام حرب جديدة قد تعصف بما لألمانيا من مركز متفوق فى القارة الأوربية وكانت تحاول توجية نشاط الدول الأوربية الكبرى إلى خارج الحدود الأوربية لذلك فقد شجعت انجلترا مراراً على احتلال مصر ، ولكن الحكومة الانجليزية لم تفكر فى ذلك (٢) .

ولما كانت الحكومة الروسية تخشى القيام بعمل عدائى ضد الدولة العثمانيــة دون موافقة انجلترا ، فقد حرصت الروسيا على استمالة انجلترا اليهــا ، وذلك بالاشتراك سويا فى حل تلك المشكلة ، وبالاتفاق على صيغة معينة لإقرار السلام تقدم للباب العالى كحل نهائى الموقف . وكان هدف الروسيا من ذلك كسب تأييد انجلترا فى حالة رفض السلطان تلك المقترحات وقيامها بحرب لارغامه على ذلك . أو على الأقل وقوف انجلترا على الحياد .

وبعد محاولات توصل شوفالوف سفير الروسيا بلندن إلى مشروع بروتوكول قبلته الحكومة الانجليزية ليقدم إلى السلطان (٣) .

وقد علم موسورس باشا Musurus سفير تركيا بلندن بنبأ هـذا الاتفـاق ،

---

1 - D.D. F. Vol. II p. 140 Le Marquis d'Harcourt, Amb. de France à Londres, à M. Le Duc Décazes No. 138 Londres 26 Jan. 1877.

(٢) المصدر السابق .

3 - D. D. F. Vol. II p. 148 Le Marquis d'Harcourt, Amb de Frànce à Londres, à M. Le Duc Décazes No. 146 Londres, 16 Mars 1877

وبأنه لا يتضمن سحب الروسيا لجنودها المرابطين على حدود الدولة العثمانية. ولذا يوصى بضرورة الحذر، وتوقع حدوث حرب فى أية لحظة (١). وقد أزعجت تلك الأنباء الخديو اسماعيل، لأنه كان يرغب رغبة أكيدة فى أن تنتهى الأزمة القائمة، حتى يتمكن من سحب قواته من البلقان والتخلص من النفقات الباهظة التى تتطلبها الحملة فى وقت كانت البلاد فى أشد الحاجة الى كل قرش ينفق خارج حدودها.

على أى حال نجحت الروسيا فى سياستها التى رسمتها، فقد استطاعت الاتفاق مع انجلترا حول صيغة لبروتوكول كانت تعلم مقدما رفض تركيا له. ولذلك فقد اتخذت للأمر عدته، ووقفت قواتها وقوات رومانيا على أهبة الاستعداد(٢).

وافقت الدول المشتركة فى المؤتمر على صيغة (٣) البرتوكول الذى يعبر فى مقدمته على عودة السلام إلى الجبل الأسود على أساس خروج القوات العثمانية من أراضيه وتعديل حدوده. وأن تتعهد الحكومة العثمانية الدول الأوربية بتحسين أحوال الولايات البلقانية الثائرة، وأن يتم ذلك تحت إشرافها.

---

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى المعية السنيه فى ٢٦ مارس سنة ١٨٧٧ (١١ ربيع أول سنة ١٢٩٤).

2 - D. D. F. Vol. II p. 153 M. Debains, Consul Général de France à Bucarest à M. Le Duc Décazes. No. 150 Bucarest, 28 Mars 1877.

3 - D. D. F. Vol. II p. 153 Le Duc Décazes à M. de Moûy, chargé d'affsires de France à Constantinople No. 151 Paris, 1er Avril 1877

يصر السلطـان العثمانى على (١) الرفض ، ويأبى أن يتنـازل عن أى أرض للجبل الأسود .

وبهذا الرفض تمكنت الروسيا من الوصول إلى هدفها بعد أن نجحت فى إبعاد انجلترا عن الحرب . ويعبر اللورد دربى عن هذا الرأى للقـائم بأعمـال السفـارة الفرنسية بلندن ، إذ يقول له بأن انجلترا قد بذلت قصارى جهدها فى حل المشـكلة وأن مفتاح الموقف فى يد روسيا الآن ، فإذا كانت تريد الحرب حقيقة ، فقـد تحقق لها ما تصبوا اليه ، وإذا لم تكن تريده ، فقد فشلت فى سياستها .

لم يكن هناك شك فى نجاح سياسة الروسيا بإزاء الأتراك، فموافقة الدول الأوربية على البروتوكول الذى رفضه السلطان قد منح الروسيـا فرصة ذهبية للدخول فى حرب ضد الباب العالى مع التزام تلك الدول جانب الحياد. وأهم ما كانت تحرص عليه الروسيا هو إبعاد انجلترا بالذات عن مساعدة العثمانيين جريا وراء سياستها التقليدية فى المحافظة على كيان الدولة العثمانية . ولم يكن ذلك يخاف على انجلترا .

أما فرنسا فكان يهمها صداقة الروسيا وعدم اغضاب انجلترا فى نفس الوقت، ولذا آثرت الحياد فى حالة حدوث حرب بين الروس والأتراك .

ولم يكن إصرار الأتراك على الرفض اعتمادا على قوتهم أو استعدادهم الحربى

---

1 - D. D. F. Vol. II. p. 154 M. de Moüy, chargé d'affaires de France à Constantinople, à M. Le Duc Décazes, 152 Péra, 10 Avril 1877.

2 - D. D. F. vol. II P. 158 Gavard, Chargé d'affaires de France à Londre, à M. Le Duc Décazes No. 154 Londres 13 Avril 1877

بقدر ما كان لاعتمادهم على معونة انجلترا. فلم يكونوا يتصورون أن تترك انجلترا الروسيا تصل الى أغراضها على حساب الممتلكات العثمانية ، نظرا لتعارض ذلك مع مصالح انجلترا فى منطقة الشرق الادنى.

أما عن موقف القوات المصرية ، فعندما وقعت الهدنة بين الجانبين العثمانى والصربى قامت القيادة العثمانية بتوزيع القوات المصرية على النقط القريبة من مراكز العدو حتى يتم عقد الصلح بصفة نهائية . ثم تلقى الفريق راشد حسنى بعد ذلك أمراً من الفريق محمد على بسحب الجنود المصرية الى سالونيك توطئة لترحيلها إلى مصر إذا لزم الأمر .

ولما كانت الحكومة الروسية تنوى القيام بحرب ضد الدولة العثمانية ، أخذت تحشد جيوشها على الحدود التركية الروسية، وذلك قبل أن يصل مؤتمر الآستانة إلى أية نتيجة ، فأثار هذا العمل مخاوف الباب العالى ، فبدأ هو الآخر بحشد القوات العثمانية والمصرية فى وارنة فى أول يناير سنة ١٨٧٧ وتعيين الفريق راشد حسنى قائدا عاما للقوات العثمانية والمصرية فى تلك المدينة [١].

وبعد وصول القوات المصرية إلى وارنة فى ٢ ينـاير سنـة ١٨٧٧ بدأت فى تحصين المدينة وعمل الاستحكامات العسكرية اللازمة بها ، حيث أنها تمتاز بموقع استراتيجى خطير بالنسبة للروسيا. وقد تعاونت معها فى إنجاز هذا العمل القوات العثمانية الموجودة بالمدينة تحت قيادة أمير اللواء رشيد باشا التركى . وفى هـذا المكان أقامت القوات المصرية انتظاراً للجولة الثانية (الحرب التركية الروسية).

(١) مجله الجيش المصرى . المجلد التاسع ، العدد ٣٧ ص ٣٨٢.

أما عن الأعمال المجيدة التى قامت بها القوات المصرية فى تلك الحرب ، فيكفى أن نذكر ما جاء فى تقرير الفريق محمد على باشا قائد جيش الغرب العثمانى الى الخديو إسماعيل بهذا الخصوص فى ١١ ذى العقدة سنة ١٢٩٣ (أواخر نوفمبر سنة ١٨٧٦) إذ يقول/ « لقد حازت القوات المصرية الملحقة بفرقة ينى يكى برار إعجاب الجميع ، فانتصرت فى كل الحروب التى خاضتها . ولقد برهن ابراهيم خليل افندى صاعقول أغاسى الأورطة الثانية التابعة لآلاى الغارديا الثانى بما أبداه من البسالة والاقدام اللذين شاهدتها وسعادة الفريق راشد حسنى باشا حيث رأى مرأى العين إبان الاستيلاء على الاستحكامات الهائلة، حيث دام القتال ثلاثة أيام. أوفى الحركات التى قامت بها القوة عند الزحف على استحكامات (درة تين) أو إبان التنكيل بالصربيين ، بحكم ما فطر عليه من صفات الشجاعة ـ من ذلك الطراز من الضباط الذين أتوا الحظ الوافر من المقدرة والنشاط . من أجل ذلك بشرناه بترقية إلى رتبة البكباشى كرما وتفضلا من لدى الجناب العالى الخديو (١) » .

وبمناسبة ما قام به جنود الحملة من ضباط وجنود أنعم الخديو إسماعيل على عدد كبير منهم بترقيات نشرت فى الوقائع بتاريخ ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٦ (٢).

---

(١) محفظة ١٥٨ عابدين (تركى) من قائد فرقة ينى بزار من الفريق محمد على باشا الى مقام الحضرة الخديوية فى ١١ ذى القعدة سنة ١٢٩٣ (أواخر نوفمبر سنة ١٨٧٦)

(٢) الوقائع المصرية العدد رقم ٦٨٧ الصادر فى ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٦ وعدد ١٧ ديسمبر .

المجموع	عدد	الرتبة القديمة	الرتبة الجديدة
	١	إسماعيل كامل باشا لواء ٢٢١ جى بيادة غارديا	فريقاً للفرقة الأولى
	١	زكريا حلمى بك أميرالاى البيادة الثالثة بالفرقة الأولى	لواء ٢٢١جى بيادة غارديا بدل اسماعيل كامل باشا
	١	يوسف شهدى بك أميرالاى البيادة الغارديا الثانى	لواء ٢٢١ جى بيادة بالفرقة الثالية
	١	عثمان نجيب بك أميرالاى ٤ جى بيادة ١ جى فرقة	لــواء
	١	حسن حسنى بك قائمقام ١ جى طوبجية	أميرالاى الآلاى الطوبجية الثالث
	١	خورشيد نعمان بك قائمقام البيادة الثالثة بالفرقة الأولى	أميرالاى الآلاى المذكور بدل زكريا

المجموع	عدد	الرتبة القديمة	الرتبه الجديدة
	١	على فهمى بك قائمقام البيادة الغارديا الثانى	أميرالاى الآلاى المذكور بدل يوسف بك
	١	القائمقام محمود فهمى بك المهندس الحربى رئيس أركان حرب الحملة بالسفرية حاليا	أميرالاى
	١	احمد نير بك من معاونى الجهادية والياور الحربى لراشد حسنى	أميرالاى
	١	حسن حشمت أفندى البكباشى بآلاى الطوبجية الغارديا	قائمقام للالاى المذكور
	١	خورشيد بسمى افندى بكباشى الاورطة الأولى بآلاى البيادة الغارديا الأول المرجوة بالسفرية مع آلاى البيادة الغارديا الثانى	قائمقام للالاى الأول المذكور
	١	احمد عفت افندى بكباشى الآلاى البيادة الثالث بالفرقة الأولى	قائمقام لآلاى البيادة الغارديا الثانى بدل على فهمى بك
١٢			

وقد شمل الانعام أيضا ثمانين ضابطا وبعض الأطباء من الصيادلة ، فرفع «سبعة منهم إلى رتبة البكباشية، وثمانية عشر الى رتبة المعاون ، وواحدوعشرون الى رتبة اليوزباشى ، وثمانية عشر إلى رتبة ملازم أول ، وستة عشر إلى رتبة ملازم ثان » (١).

وفى حقيقة الأمر فقد بذلت القوات المصرية جهودا كبيرة ؛ وأظهرت شجاعة وحميه فى القتال ، وذلك لعدم وجود أغراض خفية للخديو اسماعيل كما كان الحال بالنسبة لحملة كريت . وقد نوه (٢) السلطان العثمانى ببسالة الضباط والجنود المصريين فى كل المعارك التى دارت رحاها فى البلقان . كما لفتت هذه الأعمال المجيدة انتباه الصدر الأعظم ، فأخذ يقارن ـ فى حديث مع طلعت باشا القبوكتخدا ـ بين ما قامت به القوات المصرية فى حرب الصرب ، وما قامت به فى كريت . وأوعز الفشل الذى أصابها فى كريت إلى سوء إدارة القيادة المصرية ـ أى بمعنى أوضح سوء سياسة اسماعيل . بالاضافة الى تفوق القيادتين المصرية والتركية ، وتشتت تلك القوات على التلال والجبال (٣).

---

(١) تقويم النيل. المجلد الثالث جـ ٣. ص ١٤٢٣ (إرادة لناظر الجهادية فى ١٦ ذى القعدة سنة ١٢٩٣) .

(٢) محفظة ٢/م عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى الجناب الخديو فى ٢١ ديسمبر ١٨٧٦ .

(٣) المصدر السابق .

الفصل الأول

الموقف فى البلقان

وسياسة اسماعيل إزاء انجلترا

أوضحنا فى الفصل السابق كيف تجمعت السحب القاتمة فى جو العلاقات بين تركيا وروسيا وباتت الحرب متوقعة بين حين وآخر بعد أن فشلت كل الجهود التى بذلتها الدول الأوربية لتخفيف حدة الخلاف ومنع التصادم المسلح بينهما بمختلف الطرق . وعندما وصلت الحالة إلى هذا الحد من التوتر أرسلت الحكومة التركية إلى الخديو اسماعيل تستفسر منه عن مدى ما تستطيع مصر تقديمه من مساعدات حربية فى حالة وقوع حرب بينها وبين روسيا بعد أن اتسعت هوة الخلاف بينهما وأصبحت الجهود التى تبذل فى سبيل إقرار السلم عديمة الفائدة، مما يضطر الحكومة العثمانية إلى الاحتفاظ بـ ٦٠٠ر٠٠٠ مقاتل تحت السلاح ومضاعفة تجهيزاتها العسكرية (١) .

وكانت القوات المصرية الموجودة بميدان القتال فى ذلك الوقت تبلغ ٨٦٨٨ جندياً موزعين على النحو التالى (٢) .

---

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا الى المعية السنية فى ٢٧ مارس ١٨٧٧ (١٢ ربيع أول ١٢٩٤) .

(٢) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف طلعت باشا) يومية محررة من قلم أركان =

٢٧٣٠	جندى وضابط	٢ جى بيادة غارديا	بوارنة
٢٧٢١	« «	٣ جى بيادة برنجى فرقة	
٥٢١	« «	بطريات الطوبجية	
٢٥٤٩	« «	٤ جى بيادة برنجى فرقة	
١٦٧	« «	بطرية الطوبجية	
٨٦٨٨	المجموع الكلى		

وكانت جملة المرتبات الشهرية فقط التى تصرف لتلك القوات حوالى ٤٤٣٤ جنيها مصريا موزعة على النحو التالى [1] :

	قرشا	
—	١٤٠٠٠	٣ جى بيادة برنجى فرقة
—	١٢٢٤٣٤	٤ « « « «
٣٥	٨٥٥٠٩	اورطتين من ٢ جى بيادة غاردية
١٥	٣٦٩٥٤	اورطة من برنجى بيادة غاردية
—	٣٠٩٥٧	أربع بطاريات من الطوبجية الغاردية
٢٥	٢٢٠٠	بطارية الساروخ من برنجى طوبجية
—	٤٤٣٣٩٥	مذكورين فريق ولواء ومهندسين ومعاونين وغيره
٣٥	٣٣٩٥	(هكذا فى الوثيقة)

= حرب من العساكر المصرية بجهة وارنة وودين (محمود فهمى) فى ١٠ ربيع ثانى ١٢٩٤ (ابريل ١٨٧٧)

(١) محفظة ٥٣ (معية تركى) . وثيقة رقم ٣٦١ من حسن باشا ناظر الجهادية فى ٧ ذى الحجة ١٢٩٣ (ديسمبر سنة ١٨٧٦)

وقد أجاب الخديو اسماعيل على طلب السلطان العثمانى تحديد مساعدة مصر الحربية له فى حربها ضد الروسيا بأنه سيبذل كل ما فى استطاعته فى حدود امكانياته الحالية (١) . وبأنه سيدعو مجلس شورى النواب إلى اجتماع غير عادى ليطلب اليه تقديم المساعدات والإعانات المطلوبة وعلى ضوء ما يمكن جمعه منها يتوقف عدد الجنود المزمع إرسالها إلى الآستانة (٢) . وذلك لسوء حالة مصر المالية فى ذلك الوقت . وإذا ألقينا نظرة فاحصة على ميزانية نظارة الجهادية فى سنتى ١٨٧٧ و ١٨٧٨ وجدنا أن ماربط لهذه النظارة فى سنة ١٨٧٧ هو مبلغ ٣٦٨ر٤ قرشا و١٩٥٧٢٠ كيسة (وقدرها فارمان Farman قنصل أمريكا الجـــنرال بمصر (١٨٧٦ - ١٨٨١) بما يقرب من ٩٧٩ر٠٠٠ جنيها) (٣) وهو مبلغ ضئيل جداً إذا ما قيس بما تتطلبه نظارة الجهادية من أموال طائـلة للانفاق على التحسينات العديدة التى أدخلت على الجيش المصرى . هذا فضلا عن تجهيز الحملات الحربية لمساعدة الباب العالى . ورغم قلة المبلغ المخصص لنظارة الجهادية فـلم تستطع تلك النظـارة الحصول عليـه لأن الدخل العـام للدولة فى تلك السنـة كان حوالى ٩ر٥٤٣ر٠٠٠ جنيهـا وكانت نصيب الدائنين منه مبلـغ ٧ر٤٧٣ر٩٠٩ جنيها . بالإضافة إلى نصيب انجلترا من أرباح أسهم القناة والجزية السنوية للباب العـالى ويبلغ حوالى المليون جنيه تقريبا . فيـكون الباقى من الدخل وهو يزيد قليـلا

---

(1) F.o. 87-2632 G. Vivian to the Earl of Derby No. 83 (confidential) Cairo Avril 3. 1877.

(٢) محفظة ٢٨٥ (معيه تركى). برقية مرسلة من الخديو اسماعيل الى طلعت باشا فى ٢١ ابريل ١٨٧٧ (٧ ربيع ثان ١٢٩٤)

(3) Farman, Egypt and its betrayal, P. 197

عن المليون جنيه فقط ترك لنفقات الحكومة، بما فى ذلك مرتبات وجسال الجيش ومرتبـات الموظفين الاوربيين الـكبيرة . وحـــدث نفس الشىء فى عام ١٨٧٨ (١)».

ونتيجة لذلك تأخر صرف رواتب الضباط والجنود ثلاث سنوات متتـالية من سنة ١٨٧٦ إلى سنة ١٨٧٨ فعمت الشكوى (٢) وزاد تذمر الجنود ، وساءت حالة الضباط والجنود وظهروا أمام الأهـالى فى أثمال بالية (٣) . وقـد صور فارمان قنصل أمريكا الجنرال بمصر وقتئذ فى تقريره إلى وزارة الخارجية الأمريكية حالة البؤس والفاقة التى كانت تعانيها طبقـة رجال الجيش من ضباط وجنود أصدق تصوير (٤) .

كما اضطرب تموين الجيش ، وتوقف المتعهدون عن توريد المـواد الغـذائية لنظارة الجهادية لعدم صرف قيمة ما قاموا بتوريده من قبل . ونجد أن مئات من البرقيات من مختلف وحدات الجيش ترد إلى نظارة الجهادية تستصرخها لعدم وجود ما يصرف للجنود من مواد غذائية . ومن يتصفح دفاتر قيـد التلغرافات من رقم ٢٩٥١ - ٢٩٥٩ يجدها مليئة بمئات من مثل تلك البرقيات .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٥ و ٢٢٦ .

(٢) دفتر ١٩٥١ قيد ورود التلغرافات لديوان الجهادية. برقية رقم ٢١ ص ٢٧ فى ١٦ جمادى الآخرة ١٢٩٥ (١٨٧٨) . وهـذا الدفتر يتضمن مئات من البرقيات وكلها معصم بالشكوى من تأخر مرتباتهم ثلاث سنوات .

(3) Loring, A Confederate Soldier in Egypt. P. 177

(4) Amer. Doc. Vol.15 Agency & Consulate General of U. S.A.To the Secretary of State Weshinston Alex 21 March1879

وفى ٢١ ابريل سنة ١٨٧٧ أبلغ الخديو اسماعيل طلعت باشا (كاتب الديوان الخديو بالآستانة) بأنه يعتزم إرسال نجله حسن باشا على رأس القوة المزمع ارسالها لمساعدة السلطان، على أن يتولى القيادة العامة للجنود المصرية . فتسهيلا لمهمته وليستطيع القيام بواجبه على الوجه الأكمل يجب أن توضع كل القوات المصرية الموجودة حاليا بميدان القتال والتى سترسل فيما بعد تحت قيادته فى مكان واحد. ويأمره بأن يسعى لدى الحكومة العثمانية لإجابة هذا الطلب[1] . ويأمل فى أن يكون حسن باشا فى هذه المرة أسعد حظا من سابقتها فى الحملة الحبشية (٢) .

ولكن الخديو اسماعيل خشى أن يتطرق الشك إلى نفس السلطان إذا ما ألح طلعت باشا على الحكومة العثمانية لتلبية هذا الطلب . فقد يعيد هذا الالحاح إلى ذاكرة الباب العالى موقف اسماعيل المماثل بالنسبة لحملة كريت والذى كان من نتيجته هزيمة القوات المصرية فى موقعة أبى قرون ، وتشجيع الثوار على التمادى فى عصيانهم . ولهذا السبب حذر الخديو اسماعيل طلعت باشا من الالحاح فى إجابة هذا الرجاء (٣) .

ويبدو أن الخديو اسماعيل كان يخشى من نتائج الاصطدام بالجيش الروسى مما قد يترتب عليه القضاء على قوة مصر الحربية بميدان القتال فى نفس الوقت

---

(١) محفظة ٢٨٥ (معية تركى) من الحضرة الخديوية إلى طلعت باشا فى ٢١ ابريل ١٨٧٧ (٧ ربيع ثانى ١٢٩٤)

(2) F.O. 78-2932 C. Vivian to the Earl of Derby No. 83 (Confedential) Cairo Avril 3, 1877.

(٣) محفظة ٢٨٥ (معية تركى) من الحضرة الخديوية إلى طلعت باشا فى ٢٥ ابريل ١٨٧٧ (١١ ربيع ثانى ١٢٩٤) .

الذى لم يكن لدى مصر إلا عدد قليل من الجنود بسبب البدء فى سياسة تسريح جزء غير قليل من قوات الجيش المصرى، نتيجة للضائقة المالية وتخصيص نصف ميزانية البلاد لسداد كوبونات الدين . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن قيادة الجيش العثمانى قـد تزج بالقوات المصرية فى خطوط القتال الامامية ليقع عليها عبء الهجوم الروسى الأول مما قد يلحق بها أفداح الاضرار . ولهذا حاول الخديو اسماعيل أن يأخذ موافقة الباب العالى قبل إرسال النجدة المصرية الجديدة على وضع قواته تحت قيادة نجله حسن باشا دون أن يثير شكوك السلطان . لأن اسماعيل فى ذلك الوقت كان فى أشد الحاجة إلى رضاء الباب العالى وعطفه عليه ليشد من أزره فى معارضته للتدخل الأوربى الذى قيد سلطته فى إدارة البلاد، وخصوصاً فيما يتعلق بالشئون المالية .

موقف انجلترا وفرنسا وروسيا من اشتراك مصر فى الحرب التركية الروسية

تعرض الخديو اسماعيل فى عام ١٨٧٧ لضغط من قبل الباب العالى لزيارة الآستانة . ولكنه لم يستجب لهذا الضغط لسببين : أولهما أن حالة مصر فى ذلك الوقت لم تكن تسمح له بذلك . وثانيا أن هذه الزيارة قد تورطه فى الارتباط بالتزامات جديدة فوق طاقته ويحتمل أن تكون فى غير صالح الدائنين الاوربيين (١) .

وعندما تحرج الموقف بين الحكومتين الروسية والتركية وباتت الحرب وشيكة الوقوع بدأ الاضطراب والتردد على الخديو اسماعيل ولم يدر ماذا يفعل.

(1) F.O. 78-2632 C. Vivian to the Earl of Derby No. 83 (Confedential) Cairo Avril, 3.1877

فهو يخشى من رفض مطالب الباب العالى . وفى نفس الوقت يريد أن يتقابل مع رغبات الدول الأوربية وخصوصا انجلترا وفرنسا .

وقد أوضح الخديو اسماعيل لقنصل انجلترا الجنرال بمصر (فيفيان) فأنه إذا نشبت الحرب بين تركيا وروسيا فسيصبح مركزه صعبا ودقيقا . وفى نفس الوقت فليس لديه ساعد قوى (يقصد دولة أوربية) يعتمد عليه فى طلب النصح والمشورة وكان الخديو اسماعيل يرمى من وراء تلك العبارة محاولة الإلمام بموقف الحكومة الانجليزية إزاء تلك المسألة من القنصل الانجليزى نفسه ، ودفعه إلى التلميح له بما ينبغى عليه عمله أو القيام به . ولكنه أصيب بخيبة أمل شديدة عندما أبى القنصل الانجليزى الافضاء بشىء أو الإشارة عليه بما يجب اتباعه وما يجب عليه قبوله من طلبات الباب العالى[١] .

وقد استطلع فيفيان (قنصل انجلترا الجنرال بمصر) رأى زملائه من قناصل الدول الأوربية بخصوص هذا الموضوع، فصرحوا له بأن فى استجابة اسماعيل لأوامر الباب العالى إنما يقوم بتنفيذ الالتزامات التى نصت عليها الفرمانات المختلفة . أى أن موقفه من الناحية القانونية سليم ولا يمكن مؤاخذته عليه .

ويبدى فيفيان لحكومته تخوفه من أنه إذا لم تساعد حكومتا انجلترا وفرنسا الخديو فى موقفه الحالى فسيخضع لا محالة لرغبات الباب العالى مهما كانت تلك المطالب والرغبات مبالغا فيها إلى حد كبير[٢] . وأشار إلى أن الخديو

---

(1) 78-2632 C. Vivian to the Earl of Derby No. 97 (confedential) Cairo Avril 14 1877.

(٢) المصدر السابق .

اسماعيل سيجد صعوبة كبيرة فى تدبير القوات الجديدة المزمع ارسالها إلى البلقان. وذلك بسبب حاجته إلى المال ولتسريح الجزء الأكبر من الجيش لدوافع مالية. ولذا فليس من السهولة بمكان إرسال جنود اضافية إلى الاستانة دون أن يجرد مصر من الجنود [١].

هذا بالإضافة إلى أن مركز الخديو أصبح محفوفا بالمخاطر فقد انتابت الاضطرابات أخيراً صعيد مصر نتيجة لزيادة الضرائب وكان عليه أن يضع حدا لتلك الاضطرابات بالقوة العسكرية . كما أصبح الخديو وعائلته غير محبوبين من الشعب المصرى (٢) . وقد ساد شعور قوى بين الأجانب وبين بعض المصريين بأن المخرج الوحيد لإنقاذ البلاد من الأخطار المحدقة بها هو أن تقوم انجلترا بإحتلال مصر (٣) .

وفى ٢٥ ابريل سنة ١٨٧٧ أرسل قنصل النمسا الجنرال بمصر إلى وزير خارجية حكومته يخبره بنبأ إرسال تركيا تعليمات إلى الخديو إسماعيل لإرسال قوات عسكرية إضافية إلى الآستانة . وبأن قنصلى روسيا وفرنسا الجنرالين قد تلقيا من حكومتيهما تعليمات بالعمل على إعاقة إرسال القوات المصرية مهددين بمحاصرة السواحل المصرية .

أما الحكومه الانجليزية فكانت ضد فكرة التدخل فى الوقت الحاضر[٤]. أى

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .

(4) W.S.A. Alex.-Caire 1877 fasc, XXXVIII/161 Teleg, du Consul général de Cischini au Ministrère de l'Exterieur No. Chiffré. Le Caire, 25 Avril, 1877.

أن فرنسا كانت تؤيد سياسة الروسيا إزاء الدولة العثمانية . وقد أوضح اللورد ليونز (١) (سفير إنجلترا فى باريس للورد دربى وزير الخارجيه الانجليزية بأن انجلترا لاتستطيع الاعتماد على معونة فرنسا فى مقاومة الروسيا وذلك لسببين :

الأول : أن الرجل الفرنسى ليست لديه أية رغبة فى مقاومة الروسيا وذلك على أمل أن تكون حليفة لفرنسا - إن عاجلا أو آجلا - ضد ألمانيا .

والثانى : أن الفرنسيين يخشون من أن تؤدى الحرب إلى رجحان كفة إنجلترا فى شرق البحر المتوسط . ولكن فرنسا كانت فى صراع مع الدول الاوربية وخصوصا إنجلترا. ومع ذلك فهى تعتبر أن نمو البحرية الروسية فى البحر المتوسط أقل شرا من سيطرة إنجلترا المسلم بها على البحار . (٢) .

وقد أبرق (٣) اللورد ليونز سفير إنجلترا فى باريس إلى اللورد دربى يخبره بأنه تلقى من المستر فيفيان قنصل إنجلترا الجنرال بمصر برقية تشير إلى أن الخديو إسماعيل قد تلقى تحذيرات من قنصلى فرنسا وروسيا الجنرالين بأن أية مساعدة لتركيا قد تقابل بمحاصرة الشواطىء المصرية . ويبدى السفير الانجليزى دهشته من هذا الموقف الذى يقفه قنصل فرنسا الجنرال بمصر دى ميشيل من هذا الموضوع، وبأن أى عمل من هذا القبيل قد يدفع الدول الاوربية إلى التدخل مما قد يعرض سلامة أوربا للخطر .

---

1 - F. O. 27 - 2237 Lord Lyons to the Earl of Derby No. 306 (very confedential Extract). Paris, 24, April 1877.

2 - F. O. 27 - 2229 Lord Lyons to the Earl of Derby No, 244 Paris, 25. April 1877

3 - Ibid.

وفى ٢٦ ابريل سنة ١٨٧٧ تقابل اللورد ليونز(١) (سفير انجلترا بباريس) مع الدوق دى كاز وزير خارجية فرنسا وأبلغه بتصرف القنصل الفرنسى الجنرال بمصر وتأييده لزميله الروسى فى التهديد بمحاصرة الشواطىء المصرية إذا ما فكرت مصر فى مساعدة الباب العالى . فأجاب الوزير الفرنسى بأنه لم يرسل أية تعليمات إلى القنصل الفرنسى بمصر تدل على ميل فرنسا لتأييد حصار الموانى المصرية . بل إنه يعتقد بأن الروسيا لن تتعرض للشئون التجارية للدول الأوربية فى أى مكان فى منطقة الشرق الأدنى . وإختتم حديثه قائلا بأنه علم أن الحكومة الانجليزية قد أرسلت بعض البوارج الحربية إلى ميناء الاسكندرية وبورسعيد لمنع الروسيا إذا ما حاولت محاصرة السواحل المصرية . وأنه كان يرجو أن تشترك فرنسا مع إنجلترا فى القيام بهذه المظاهرة البحرية .

وقد كانت تعليمات الحكومة الفرنسية التى أرسلتها إلى قنصلها الجنرال بمصر دى ميشيل تشير إلى أن مصر لن تسطيع القيام بدور فعال فى هذه الحرب دون أن تتعرض للخطر وأن من مصلحتها الامتناع عن تقديم تلك المساعدة. وأشارت عليه بابداء النصح للخديو وإفهامه بأن هذا العمل سيعرضه للخطر ، وربما قوبل العدوان بمثله .

وأشار القنصل النمساوى دى سيشينى De Cichini بأن القنصل الفرنسى الجنرال قد تلقى تعليمات على حكومته بمعارضة إرسال أية مساعدة حربية للاشتراك فى الحرب الروسية التركية . لان هذا سيسبب إضرارا للدائنين الأوربيين

---

1 - F. O. 27 - 2237 Lord Lyons to the Earl of Derby No, 315 Paris, 26 April 1877

ولـكنه تعدى حدود العليمات المرسلة اليه عندما أشار إلى الخديو باحتمال ضرب الاسكندرية بالمدافع اذا ماقام بمساعدة الباب العالى [١].

وقد أجاب الخديو [٢] على ذلك بأن المساعدة العسكرية لن يكون لها أى تأثير عـلى التزامات الحـكومة المصرية قبل الدائنين لأن نفقاتهـا ستجمـع من الضرائب الجديدة التى فرضها مجلس شورى النواب . وأشـار قنصل إنجلترا الجنرال بمصر (فيفان) بأن معارضة القنصل الفرنسى الجنرال لن يـكون لها أى أثر [٣] .

وقد أنبأ قنصل النمسا الجنرال بمصر دى سيشينى حكومته بأن الخديو إسماعيل قد قرر إرسال عشرة آلاف جندى تحت قيادة إبنه حسن باشا ناظر الحربية . وصدرت الأوامر إلى المديرين بجمع جنود الرديف . ولـما عـلم قنصل الروسيـا الجنرال بمصر دى لـكس De LeX بعزم الخديو ذهب لمقابلته مرة أخرى وأوضح له بأن الحكومة الروسية قد تجد نفسها مضطرة لأن تقوم بأعمـال إنتقامية إزاء مصر وربما حاصرت الشواطىء المصرية إذا ما قام الخديو بتنفيذ مطالب البـاب العالى . ومـا يثير الدهشة أن القنصل الروسى الجنرال لـم يبد حتى الآن (٢٨ ١٨٧٧)أى إستعداد للرحيل ومغادرة الديار المصرية رغم نشوب الحرب بين تركيا وروسيـا وإسناد رعاية المصالح الروسية فى مصر إلى البارون سورما Saurma قنصل ألمانيا الجنرال بمصر .

---

1 - W. S. A. Alex - Caire 1877, Fasc. XXXVIII/181 Rapport de Consul général chevalier de Cischini, an Ministère de l'Exterière. Z. 20 polit. Le Caire 27 Avril, 1877.

2,3 - F. O. 78 C. Vivian to the Earl of Derby. Political No. 105 Cairo 28 April 1877.

بل أن القنصل الفرنسى دى ميشيل قد ذهب إلى أبعد من هذا الحد، فقد حاول الخديو اسماعيل اقناعه بأن الحكومة الانجليزية متفقة مع الحكومة الفرنسية فى عدم السماح بإرسال أية مساعدات حربية إلى الباب العالى وعندما أشيع هذا الخبر ووصل إلى مسامع قنصل إنجلترا الجنرال بمصر (فيفيان) بادر إلى مقابلة الخديو وأطلعه على حقيقة موقف حكومته من الحرب بين روسيا وتركيا، وأوضح له كذب ما إدعاه زميله الفرنسى (١) .

أما الحكومة الانجليزية فقد طلبت من قنصلها الجنرال بمصر أن يقف موقف الحياد التام بالنسبة لإرسال النجدات الحربية المطلوبة، وبألا يدلى برأى أو بنصحية للخديو إسماعيل بهذا الخصوص (٢) .

وقد ذكر القنصل الأنجليزى الجنرال بأن الخديو إسماعيل قد قام بتقديم تلك المساعدة من تلقاء نفسه ودون ضغط خارجى . وأخبره زميله الفرنسى بأن الحكومة الفرنسية قد أرسلت اليه بتعليمات تنص على عدم التدخل، وبأن يقوم بنصح الخديو إسماعيل بألا يسمح لأحد بالتدخل فى التزاماته المالية (٣) .

---

1 - W. S. A. Alex.-Caire 1877, Fasc. XXXVIII/181 Annexe au rapport du consul de Cischini au Ministère de l'Exterieur. Z 20/pol. de 27 Avril 1877. (Lettre privée du consul général de Cischini au baron Orezi sec. en chef., Vienne Le Caire, Le 28 Avril 1877.

2 - W. S. A. Alex-Caire 1877. fasc. XXXVIII/181 Rapport du consul géuéral chevalier de Cishini, au Ministère de l'Exterieur. Z. 20 pol. Le caire, 27 Avril, 1877

3 - F.O. 78 - 2632 C. Vivian to the Earl of Derby No 129 caire 12 May, 1877

الموقف الدولى عند اعلان الحرب

بعد أن رفضت الحكومة العثمانية بروتوكول لندن كما سبق أن أشرنا، أرسلت حكومة بطرسبرج منشورا دوريا إلى الدول الأوربية الكبرى التى اشتركت فى مؤتمر الاستانة وفى إصدار بروتوكول لندن تعلن فيه بأن رفض الباب العالى للبروتوكول قد جعلها فى حل من الدخول فى مفاوضات جديدة مع تركيا [١] . وفى ٢٤ ابريل سنة ١٨٧٧ أعلنت الحكومة الروسية الحرب على تركيا وأصدر القيصر الروسى أوامره لقواته بعبور نهر بروث [٢] .

أما عن موقف [٣] الحكومة الفرنسية من تلك الحرب فقد أعلنت بوضوح وجلاء بعد ان عملت من أجل سيادة السلام فى هذا الجزء من العالم متعاونة مع الحكومة الانجليزية، بأنها ستتخذ موقف الحياد التام فى هذا الصراع. ولكنها لن تدخر وسعا إذا ما تغيرت الظروف الحالية من أن تعمل بالاشتراك مع الدول الأوربية الكبرى الى عودة السلام مرة ثانية .

---

1 - D. D. F. 1er cerie vol. II p. 158 Le général Le Flô, Ambassadeur de France à St. Petersbourg, à M. Le Duc Décazes, No. 155 St Petersburg, 16 Avril 1877

(٢) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) ترجمة البرقية الواردة من طلعت باشا إلى الجناب الخديو فى ٢٤ ابريل سنة ١٨٧٧ (١٠ ربيع ثان سنة ١٢٩٤) .

3 - D. D. F. ler serie vol. II p. 161 Le Duc Décazes aux Representants de France à La Haye, Berlin, Londres, Vicnne, Munich, Versailles, Copenhagne, Stockholm, St. Potersbourg No. 159 Versailles, 25 Avril 1877

وقد استفسر الجنرال لوفلو Le Flô سفير فرنسا ببطرسبرج الأمير جورتشكوف وزير خارجية روسيا عما إذا كانت الحكومة الروسية تنوى احتلال الآستانة فأجاب الوزير الروسى على ذلك بأن الروسيا لن تحتل الآستانة ويؤكد بذلك للدوق ديكاز وزير خارجية فرنسا [١] .

أما عن موقف [٢] الحكومة الانجليزية من هذه الحرب فقد عبر عنه اللورد دربى وزير خارجية انجلترا فى الخطاب الذى أرسله فى أول مايو ١٨٧٧ إلى اللورد لوفتش سفير انجلترا فى بطرسبرج إذ احتج فيه على نقض الحكومة الروسية لشروط معاهدة باريس (٢٠ مارس سنة ١٨٥٦) التى وقعت عليها الروسيا والدول الأوربية الأخرى ، وتعهدت كل دولة من جانبها باحترام استقلال الدولة العثمانية والمحافظة على كيانها . وأن فى إستخدام القوة ضد الدولة العثمانية دون إستشارة الدول الموقعة على المعاهدة المشار اليها فيه خروج على نصوص تلك الاتفاقية. واكتفت انجلترا بإرسال هذا الاحتجاج، خصوصاً وأن الملكة فيكتوريا كانت لا ترغب فى دخول الحرب ، وكذلك دزريلى رئيس الوزارة البريطانية . ولهذا استقر الرأى على الوقوف على الحياد . وقد أعلن اللورد داربى وزير خارجية انجلترا فى ٦ مايو سنة ١٨٧٧ عن حياد انجلترا فى هذا الصراع طالما كانت مصالحها فى الشرق الأدنى غير معرضة للخطر . وفى نفس الوقت حذر الحكومة الروسية من التعرض لقناة السويس والخليج العربى أو المضايق لما للحكومة

1 - D. D. F. 1er serie vol. 11 P. 173 Le Général Flô, Amb. de France àPetersbourg, à M. Le Duc Décazes No. 168 St. Petersbourg, 19 Mai 1877

2 - D. D. F. 1ere serie vol. II p. 165 de Gontaut - Biron, Amb. de France à Berlin à M. Le Duc Décazes. No. 162 Paris, 9 Mai 1877

الانجليزية فيها من مصالح حيوية (١) .

وقد شددت الحكومة الانجليزية بصفة خاصة على بقاء حرية الملاحة فى قناة السويس مكفولة للجميع واعتبرتها فى المقام الأول من الأهمية . وأوضحت بأن أى هجوم على مصر التى تعتبر جزء من ممتلكات الدولة العثمانية المحاربة سيغير من موقف انجلترا الحيادى، ويعد عملا عدائيا موجها الى انجلترا ذاتها (٢) .

وقد أجاب جورتشكوف وزير خارجية الروسيا على ذلك فى ٩ يونيه سنة ١٨٧٧ « بأن الحكومة الروسية لا ترغب فى محاصرة قناة السويس أو تعطيلها أو تهديد الملاحة فيها وأنها لن تدخل مصر تحت ستار العمليات الحربية» .

كما أشارت المذكرة بأن مدينة الآستانة ومنطقة المضايق ليست مطمعا للروسيا لأنها تهم مصالح الدول جميعها . وكذلك أكدت بأنها لن تمد نطاق الحرب إلى الخليج العربى، وستراعى الحكومة الروسية المصالح الانجليزية طالما احتفظت انجلترا بموقف الحياد (٣).

وقد أملى على الحكومة الروسية هذه السياسة طبيعة موقفها وحرصها على

---

1 - Buckle, The Life of B. Disraeli vol. II p.1 007 (Lord Beaconsfield to Queen Victoria 2, Whitehall Gardens, May 5, 1877

2 - D. D. F. lerè serie vol. II p. 175 Duc Décazes à M. Le général Flô, Amb. France à Petersbourg, Paris, 21 Mai, 1877

3 - D. D. F. lere serie Vol. 11 p. 185 Le général Flô, Amb de France à Petersbourg à M. Le Duc Décazes, No. 182 St. Petersbouag, 9 Juin 1877.

عدم إفساد علاقاتها مع انجلترا فى الوقت الذى تصطلى فيه الجيوش الروسية بنار الحرب مع تركيا (١) .

وفى نفس الوقت عمل الخديو إسماعيل من جانبه على حماية قناة السويس فى حدود إمكانياته الحربية . فبث الألغام فى مدخل القناة لمنع السفن الحربية الروسية من الاقتراب منه . كما أرسل عوامتين مدرعتين من الاسكندرية إلى ميناء السويس لحراسة تلك الألغام . كما أعد قوة حربية للسهر على حراسة القناة وحمايتها تحت إشراف ضباط بريطانيين وذلك إرضاء للحكومة الانجليزية (٢).

وقد حاول الخديو إسماعيل قبل ذلك إقامة بعض الاستحكامات عند مدخل القناة . ولكن عارض الصدر الأعظم عالى باشا فى هذا الإجراء، وذلك فى الفترة التى سادت فيها العلاقات بين الخديو والباب العالى فى عامى ١٨٦٩ و ١٨٧٠ فاضطر الخديو إلى عدم إتمامها (٣) .

أما عن موقف المانيا من تلك الحرب فقد رأينا من مواقفها السابقة التى أشرنا اليها كيف كانت تسعى لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بين الدول الكبرى، وكيف كانت تؤيد سياسة الروسيا إزاء الباب العالى . ولكن ألمانيا كانت ترغب

---

(١) الدكتور محمد مصطفى صفوت : انجلترا وقناة السويس ص ٦٦

2 - P. O 78 2634 Vagnol, Bagnor. North Wales (D-R 23 Oct. 1877 C. Vivian to Lord Tenterden C. B. Private.

(٣) - محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من حضرة الخديوية الى طلعت باشا فى ٨ مايو سنة ١٨٧٧ (٢٣ ربيع ثانى سنة ١٢٩٤)

رغبة أكيدة فى أن تظل الحرب محلية [١] (اقليمية) أى لا تصبح حربا عالميا تشترك فيها دول أوربا . لهذا هنأ الامبراطور غليوم الأول سفير فرنسا فى برلين جونتو بيرون M. de Gontaut-Biron على موقف الحياد الذى وقفته حكومته من هذا الصراع [٢]. ولكنه كان فى نفس الوقت مستاء من سياسة انجلترا إزاء تلك المشكلة ومن رفضها التوقيع على مذكرة برلين، ومن احتجاجها على منشور وزير الخارجية الروسية جورتشكوف .

وأخذ الامبراطور غليوم يتهكم على تصريح الحكومة الانجليزية لقولها بأنها لن تدخل الحرب إلا إذا هددت الآستانة أو مصر. وتساءل متى تعتبر الآستانة مهددتين فى نظر الانجليز ؟ فهل عند انتصار الروس فى الميدان الآسيوى أم فى الوقت الذى يستولى فيه الاسكندر على الآستانة نفسها ؟ ثم أضاف قائلا لسفير فرنسا ببرلين بأن الانجليز أعلنوا موقف الحياد فى نفس الوقت الذى قاموا فيه بتسليح المراكب وتعبئة ٤٢ فرقة [٣] . أى أن موقف الحكومة الانجليزية كان موقف الحياد المسلح واليقظة التامة فى كل الاحتمالات السياسية والحربية التى قد تطرأ على الموقف .

وإذا تناولنا موقف الامبراطورية النمسوية المجرية نجد أن حكومة النمسا

---

1) D. D. F. Vol II p. 165 M. de Gontaut - Biron, Amb. de France á Berlin, à M. Le Duc Décazes No. 162, Paris 9 Mai 1877

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

كانت تؤيد بصفة عامة السياسة الروسية إزاء الدولة العثمانية . فقد وقعت مع الحكومة الروسية فى ١٥ يناير سنة ١٨٧٧ اتفاقا سريا يسمح للنمسا بالاستيلاء على البوسنة والهرسك فى نظير وقوفها على الحياد فى الحرب مع تركيا . كما وقعت الحكومتان الروسية والنمسوية قبيل إعلان الحرب بأيام قلائل اتفاقا بينهما ينص على تعهد الامبراطوريتين بعدم احتلال أراضى الصرب بالرغم من مطالبة الرأى العام المجرى باحتلال بلغراد فى حالة معاودة الأمير ميلان القتال . وقد تمسك الكونت اندراسى باحترام اتفاقه مع الحكومة الروسية رغم اعتقاده بأن تلك الحرب ستؤدى إلى إتساع أراضى الجبل الأسود واستقلال رومانيا والصرب، واحتمال ضم أبيروس وتساليا إلى اليونان ، وفتح البوسفور والدردنيل ، وإنشاء حكومة تتمتع بقدر من الاستقلال الذاتى فى بلغاريا وأن جميع تلك التغيرات ستخل بالحالة الراهنة فى البلقان وستؤثر تأثيراً خطيرا على المصالح النمسوية[1] .

ولهذا فقد آثرت الحكومة النمسويه المجريه الوقوف على الحياد لاتفاقها مع الحكومة الروسية من جهة ولموافقة المانيا على موقف الحكومة الروسية إزاء تركيا، ولعدم محاولتها إغضاب انجلترا التى كانت تربطها بها علاقة ودية من جهة أخرى. هذا بالاضافة إلى مشاغلها الداخلية ومحاولتها إيجاد نوع من الوحدة بين عناصرها المختلفة فى اللغة والعادات والمذهب الدينى .

---

1 - D. D. F. Vol. II p. 184 M. de Ring, chargé d'Affaires de France, à Vianne, à M. Le Duc Décazes, No. 181 Lettre particulière. Vienne, 5 Juin 1877

حالة الدولة العثمانية عند اعلان الحرب

إذا نظرنا إلى حالة الدولة العثمانية فى ذلك الوقت نجد أنه كان على رأسها السلطان عبد الحميد الذى أرغم على إعلان الدستور كما ذكرنا فى أول يوم من انعقاد مؤتمر الاستانة كمناورة سياسية. ولكنه فى نفس الوقت كان يضمر شرا للدستور وأنصاره . فما لبث أن توترت العلاقات بينه وبين الصدر الأعظم مدحت باشا ، فعزله بعد أن مكث فى منصب الصدارة العظمى ٤٨ يوما فقط ، وأمر بنفيه إلى أوربا . فثار طلبة المدرسة الحربية هاتفين بحياة أبى الدستور (مدحت باشا) ومطالبين بعودته. ولكن نكل بهم أعوان السلطان وأسكتوا أصواتهم وزجوا بهم فى السجون بعد أن فرضوا رقابة شديد على الرسائل والصحف والمجلات والكتب، وحظروا عقد الاجتماعات، فعم السخط وبدأ أنصار الدستور يعملون سرآ للتخلص من حكم السلطان عبد الحميد الاستبدادى .

هذا من الناحية الدستورية الداخلية ، أما من الناحية الخارجية فقد أخذ ضغط الحكومة الروسية على الدولة العثمانية يتخذ أشكالا متعددة، منها أن الروسيا جعلت تناصر حركة الجامعة الصقلبية Pan Slavism التى أخذت تنتشر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وحركة الجامعة الصقلبية فكرة سياسية نبتت فى الروسيا وفى البلدان الصقلبية المجاورة لها [1]. وجدوا فيها فكرة مثالية يمكن تحقيقها بصفة عملية تحت الزعامة السياسية للروسيا . وكان هدفها العمل على ضم صقالبة أوربا مهما اختلفت حضاراتهم ومذاهبهم الدينية ، وذلك للتخلص أولا من النفوذ الألمانى والسيطرة التركية ثم تكوين كتلة حضارية سياسية فى شرق

---

1 - Buckle; The Life of Disraeli vol. II p. 879

أوربا ووسطها تقوى على مناهضة غرب أوربا وتسعى لتحقيق آمال الروسيا في التفوق (١)».

وقد استغل ساسة الروسيا هذه الحركة لتقويض أركان الامبراطورية العثمانية في آسيا . فبعثوا إلى الآستانة في عام ١٩٦٤ بسفير روسى يشتعل حماسا للحركة الصقلبية وهو الكونت إجناتيف الذى اتخذ نشر هذه الحركة هدفه الرئيسى خلال الثلاث عشرة سنة التى مكثها في الآستانه يمثل بلاده (٢).

وعمل على إدخال كل القوميات المسيحية الخاضعة للسيادة العثمانية تحت النفوذ الروسى . وأوصى تلك الشعوب بأن تنظر إلى الامبراطورية الروسية كمحررة لهم من نير الحكم العثمانى . وكانت الحكومة الروسية تسعى الى تحقيق هذا الهدف بصفة رسمية وبطريقة سرية (٣) . ولم تكن السفارة الروسية بالآستانة وحدها هى التى تسعى لتحقيق مبادىء الحركة . بل كان يشترك معها فى هذا المضمار كل موظفى السلك القنصلى الروسى فى شبه جزيرة البلقان . وبفضل الضغط السياسى من جهة والتدخل فى شئون البلقان من جهة أخرى أصبحت ولايات البلقان كخلية تموج بالمؤامرات وبالجمعيات السرية التى تجد معاونة وتعضيدا من قبل السياسة الروسية (٤) .

وكان يعاصر تلك الحركة فى نفس الوقت حركة أخرى هى حركة الجامعة

---

(١) الدكتور صفوت - الاحتلال الانجليزى لمصر ص ١٧ و ١٨

2 - Buckle; The Life of B. Disraeli Vol. II p. 879 & 880.

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق .

الجرمانية التى كانت تهدف الى تكوين وحدة سياسية تعمل على الوقوف أمام الحركة الصقلبية من جهة، وأمام فرنسا من جهة أخرى، ولبسط سيطرتها على أواسط أوربا من جهة ثالثه " .

كان لابد إذاً للسلطان عبد الحميد من مواجهة هذا الخطر الذى يتهدد الدوله" العثمانية بالفناء . فرأى من الضرورى أن يستند الى تأييد حركة مشابهة" إلى حد ما للحركتين السابقتين وتهدف الى تكتيل العالم الإسلامى خلفه للوقوف أمام عدوان الدول الأوربية وعلى الأخص الروسيا . فاحتضن فكرة الجامعة الأسلامية التى نادى بها جمال الدين الأفغانى «فهى تتطق وطموحه ورغبته فى المجد، وتلائم مصالح الدولة العثمانية التى أحاطتها الأخطار من كل جانب فى عام ١٨٧٧ . فهى فى خطر قاتل من ناحية الروسيا التى ظلت سياستها عاملة على هدم ملك آل عثمان وهى مهددة بنظرية جلادستون رئيس الأحرار فى انجلترا الذى كان ينادى بتقسيم الدولة العثمانية فى أوربا ويعمل على تأييد القوميات المسيحية فى البلقان وفى آسيا[1]» .

وقد لقيت هذه الدعوة نجاحا كبيرا فى مصر فهى مقام جمال الدين الأفغانى روح الحركة والداعى اليها (من ٢٢ مارس منه ١٨٧١ الى ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧٩) ولذا كان تأثر المصريين بها كبيراً . وكذلك انتقلت الدعوة إلى شمال افريقيا والسودان . وقد نجحت هذه الدعوة نجاحا كبيراً فى الأقطار المذكورة لأنها كانت مهدا للطوائف والطرق الإسلامية. فلا غرو إذا مااهتم الشعب المصرى اهتماما كبيرا بقيام الحرب الروسية التركية، وتتبع أحداثها لأنه قد اعتبرها

(١) د. الدكتور صفوت . الاحتلال الانجليزى لمصر ص ١٩

مسألة حياة أو موت بالنسبة للخلافة الإسلامية بالآستانة. أى أنها حرب دينية بين دولة مسيحية وبين الخلافة الإسلامية ممثلة فى شخصية السلطان عبد الحميد . فالدور الذى لعبته مصر فى هذه الحرب لم يكن ذا صفة حربية فحسب، بل كان ذا صفة أدبية ودينية أيضا .

موقف مصر من المساعدة الحربية

دعا الخديو إسماعيل مجلس شورى النواب فى ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٧ للاجتماع وخطب [١] فى أعضاء المجلس موضحا ما بذلته الدولة العثمانية من محاولات الاصلاح وما تعمله من أجل صيانة السلام، ولكن بالرغم من ذلك فقد أعلنت الحكومة الروسية عليها الحرب ولهذا لا يسعه إلا المبادرة بمساعدة السلطان . وحيث أن ميزانية الدولة لاتسمح بذلك فإنه قد دعاهم لهذا الاجتماع للتشاور فى تدبير مورد إستثنائى تستطيع مصر عن طريقة تقديم المساعدة المطلوبة، فتؤدى ما عليها من واجب نحو الباب العالى، وتستجيب فى نفس الوقت لما يتطلبه الموقف من محافظة على تعهداتها قبل الدائنين .

أى أن الخديو إسماعيل رغم إخلاصه للسلطان ورغبته فى القيام بواجبه نحوه، قد تعمد أن يضع قضية الاسلام والامبراطورية العثمانية فى المرتبة الثانية بعد

---

(1) W. S A. Alex Caire1877, Fasc. XXXVIII/161 Piece jointe au rapport du M. Le Consul général de Cischini au Ministère des Affaires Etrangères en date du 11 Mai 1877. No. 23 (Extrait du Journal Moniteur) Alex, 7 Mai, 1877'

دفع الديون [1] . وذلك لخوفه من أن يؤدى التخلف فى دفع أقساط الديـون الأجنبية إلى غضب الدول الأوربية عليه فتعمل على خلعه .

وقد وافق المجلس على تخصيص مايقرب من نصف مليـون جنيـه لمساعدة الدولة العثمانية لتجهيز ما يقرب من عشرة آلاف جندى فى أقرب وقت ممكن(٢). وذلك بفرض ضريبة خاصة على الأرض يبلغ مجموعها ٤٨٠,٠٠٠ جنيها مصريا بمعدل نصف دولار على الفدان الواحد من الأرض الصالحة للزراعة بمصر، ويعادل ١/٨ من الدخل السنوى[3] . وهذا بالاضافة إلى فرض زيادة قدرها ١٠ ٪ على سائر الضرائب الأخرى[4].

ويبدو أن الخديو إسماعيل قد عزم على تخصيص دخل البلاد العادى لفوائد ديونها ولنفقات الحكومة . أما الأموال التى تنفق فى مساعدة الباب العالى فيجب تدبيرها من موارد إستثنائية (٥) .

---

(1) Amer. Doc. vol. 13 Despt. No. 137 p. 224 E. Farman Cairo 30 May 1877

(2) P. O. 78-2632 C. Vivian to the Earl of Derby. Political No. 129, 21 May 1877.

(3) Amr. Doc. Vol. 13 Despt, No. 137 Farman to Evarts. Cairo. 30 May 1877

(4) W. S. A. Alex. - Caire 1877, Fasc. XXXVIII/181 Rapport du Consul général de Cischini au Ministère de l'Exteur Z. 27 pol. Le Caire, 29 Mai, 1877

(5) Amr. Doc. E. Farman to Evarts. vol. 13 Despt, No. 137 p. 224 Caire 30 May 1877

ويذكر قنصل أمريكا الجنرال بمصر (فارمان) فى تقريره إلى وزير الخارجية الأمريكية إيفارتز Evarts فى ٣٠ مايو سنة ١٨٧٧ بأن نبأ إعلان الحرب الروسية التركية قد أحدث دويا كبيرا فى مصر وخصوصا فى الدوائر المالية ، فمعنى إعلان الحرب فى نظر الرأى العام فى مصر أن الدين الإسلامى فى خطر ، وأن بقاء الدولة العثمانية والمحافظة عليها هو الضمان الوحيد لسلامته [١].

كما أوضح فيفيان (قنصل إنجلترا الجنرال بمصر) لوزير الخارجية الانجليزية داربى فى ١٢ مايو سنة ١٨٧٧ بأنه لم يستطيع أن يتبين مدى الحمية والعطف اللذين أثارهما طلب المساعدة العسكرية من مصر . إذ يبدو أن الخديو إسماعيل ورجال حكومته قد قاموا بتقديم تلك المساعدة وهم يشعرون بإنهم ملزمين بذلك قبل السلطان ، وقد حاولوا التوفيق بين القيام بهذا العمل وبين الرغبة فى كسب حسن ظن الدول الأوربية، وذلك بمراعاتهم الدقيقة تنفيذ تعهداتهم المالية إزاء الدائنين [٢]

وإذا كان الخديو إسماعيل لم يكن فى موقف يسمح له بذلك . فلم تكن الخزانة المصرية فى حالة تسمح لها بتقديم تلك المساعدة . فلابد أن يلتجىء إلى فرض ضرائب جديدة، مما سيؤدى إلى زيادة غضب الفلاحين عليه . هذا فى نفس الوقت الذى كان يحاول فيه إسماعيل إيجاد نوع من المقاومة الشعبية إلى حد ما ممثلة فى أعضاء مجلس شورى النواب تقف خلفه لتؤازره فى معارضته لتدخل النفوذ الأوربى فى شئون مصر . هذا بالإضافة إلى ما قد تسببه تلك الحرب من المساس بالتزامات إسماعيل المالية إزاء الدائنين، وما تثيره من غضب الدول الأوربية التى

---

(١) المصدر السابق .

(l) F. O. 78 - 2632 C. Vivian to the Earl of Derby - political No. 129 Cairo 21 May 1877

ما كانت تهتم بمصالح مصر أو الدولة العثمانية بقدر اهتمامها بمصالحها الخاصة ومصالح دائنيها . علاوة على أن الخديو اسماعيل لم يكن له مأرب من وراء تقديم تلك المساعدة، وخصوصا بعد أن حصل من الباب العالى على الفرمان الشامل فى عام ١٨٧٣ . ولهذا نجد أن إسماعيل لا يرحب بطلب المساعدة ويعتبره عبئا ثقيلا ألقى على كاهله .

وقد استغل أعداء اسماعيل من أفراد أسرته تردده وعدم تحمسه لإرسال القوات الجديدة المطلوبة فى الحرب فى تدبير المؤامرات له واتهامه بالتحالف مع الروسيا ضد الباب العالى. وترويج هذا الزعم لدى الحكومتين العثمانية والانجليزية. فاتصل خليل باشا (زوج ابنة أخى الخديو اسماعيل) باللورد ليونز سفير انجلترا فى باريس وأخبره بوجود معاهدة سرية بين الخديو والروسيا وقعت فى عام ١٨٧٢ بين شريف باشا ناظر الخارجية المصرية وقنصل روسيا الجنرال بمصر (دو لكس) وأن هذه المعاهدة تنص على ألا يرفض الخديو اسماعيل إرسال قوات مصرية لمساعدة الباب العالى فى حالة قيام حرب بين تركيا والروسيا . بل عليه أن يمد السلطان بجيش مصرى تحت قيادة مصرية مع تزويدها بالتعليمات السرية بأن تكون على إتصال بالقواد الروس وأن تتبع تعليماتهم بشأن القوات التى تحت أمرتها (١).

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى اتهم فيها الخديو اسماعيل بالتآمر مع الروسيا . بل حدث ذلك فى عام ١٨٧٥ عندما عين الخديو اسماعيل القائد الرومى

(1) F. O. 27 - 2238 Lord Lyons to the Earl of Derby. No. 374 Very Confidential Paris, 11 May 1877

فاديف Fadeyev بنظارة الجهادية المصرية للقيام بتنظيم الجيش المصرى (١) . فاشيع فى ذلك الوقت أن الاستعانة بخدمات هذا القائد الروسى إجراء عملى يرمى إلى العمل على هدم كيان الامبراطورية العثمانية، على أمل أن يصبح الجيش المصرى فى غضون خمس أو ست سنوات جيشا قويا يستطيع اسماعيل استخدامه ضد الدولة العثمانية، فى نفس الوقت الذى يقوم فيه صقالبة البلقان بالثورة ضد الحكم التركى . ولكن الأحداث مرت سراعا واستخدم الجيش المصرى ـ لا ضد الباب العالى ـ ولكن ضد الحبشة (٢) .

وقد حاول الخديو اسماعيل أن يكتفى بزيادة عدد قواته الموجودة بميدان القتال منذ حرب الصرب إلى ١٢ ألف مقاتل، على أن تبقى القوات المصرية الباقية بمصر للمحافظة على قناة السويس . ولهذا فقد ذكر القنصل الأمريكى فارمان لحكومته بأن مصر التى يتراوح عدد سكانها بين ٥ و ٦ مليون نسمة لا تمد الباب العالى بأكثر من ١٢ ألف رجل فى تلك الحرب(٣).

ويصف فارمان شعور المصريين إزاء الصراع التركى الروسى قائلا بأنه يعتقد أن هذا العمل الذى قامت به الحكومة المصرية يمثل بحق شعور المصريين نحو الدولة العثمانية . فهم يعتقدون فى عدالة قضيتها ويبتهجون بإنتصارها، ويأسفون

(1) F. O. 65 - 912 Lord Augustus Loftus, Amb. of England in St. Petersbourg to the Earl of Derby. No 389 St. Petersboug 18 Dec. 1875.

(2) Sumner; Russia and the Balkans (1870 - 1880) p. 70

(3) Amer. Doc. Farman to Evarts. Vol 13 Despt. No. 137 Cairo may 1877

لهزيمتها. ولكن شعورهم لا يرتفع إلى مرتبة الوطنية فليست لديهم غيرة دينية تدفعهم إلى التضحية ... فليس من شك فى أننا لا نجـد فى مصر ٥٠٠ متطوع لخدمة تركيا (١) .

وقد أضاف فارمان بأن حالة مصر هادئة وأنها أقل اضطرابا بسبب تلك الحرب من معظم الدول الأوربية . ويشير إلى أن القوات المصرية المزمع إرسالها والموجودة بميناء الاسكندرية تتكون من آلايين من المشاة من ٦٠٠٠ رجل تحت قيادة اسماعيل أيوب باشا وأربع بطاريات جبلية وفرقة مكونة من ٣٠٠ فارس تكون الحرس الخاص للأمير حسن باشا ناظر الجهادية وقائد القوات المصرية بالحملة (٢) .

وقد مكثت تلك القوات بميناء الاسكندرية مدة غير قصيرة، وذلك بسبب الاضراب الذى قام به الميكانيكيون من عمال بواخر نقل الجنود بسبب تأخر صرف مرتباتهم ولادعائهم بأنهم التحقوا للعمل بالبواخر التجارية وليس للعمل فى الأعمال الحربية (٣) .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد أشيع بأن المدرعة الروسية Petropaelowsk قد غادرت ميناء اسبيتجا Spezzia ، وربما اعترضت طريق النجدة . ولهذا آثر الخديو اسماعيل إبقاء الجنود بالاسكندرية ريثما تصل البوارج

(١ و ٢) المصدر السابق .

(3) W. S. A. Alex. - Caire 1877, Fasc. XXXIII/181 Rapport- du Consul général de Cischini au Mini tèrse de l' Exterieur Z. 27 polit. Le Caire, 29 Mai, 1877

الحربية العثمانية المكلفة بحراستها (١) .

وبوصول سفن الحراسة العثمانية أبحرت النجدة (٢) فى ١١ يونية سنة ١٨٧٧ على السفن المصرية : محمد على ومصر والرحمانية والغربية والشرقية والبحيرة والدقهلية . وتولى قيادتها قاسم باشا وكيل البحرية وياوره البحرى اسماعيل سرهنك (مؤلف كتاب حقائق الأخبار). وكان يرافق السفن المصرية أسطول عثمانى مكون من المدرعتين مسعودية وأورخانية والفرقاطتين السليمية وخداوندكار تحت قيادة الفريق حسين باشا الكريدى ، وذلك للقيام بحراستها من مهاجمة الأسطول الروسى المتجول فى البحر المتوسط (٣) .

وكانت تلك النجدة الحربية تتكون من القائد العام حسن باشا نجل الخديو اسماعيل ، ويرافقه اللواء على رضا باشا والزبير رحمت باشا وبلوتس بك الألمانى وزهراب بك وتورنايزن بك والكونت صورمانى وميكلين بك ويعقوب سامى بك ومحمد نسيم بك . ومن الأطباء : بدر بك وديزرايلى وغيرهم من الكتاب والمأمورين . وجعل له بلوك خفر من تلامذة المدرسة الخطرية تحت قيادة الصاغ خليل أفندى عفت، وكان من ضباط أركان الحرب تحت رئاسة مورى بك وبينهم الصاغقول أغاسية عبد الرازق افندى نظمى ومصطفى افندى صدقى

---

(١) المرجع السابق .

(3) W. S. A. Alex. Caire, 1877 Fasc. XXXVIII/181 Rapport du Consul gênéral de Schaeffer au Ministère de l' Exterieur p. 13 Pol. Alex. 11 Juin, 1877

(٣) اسماعيل سرهنك ـ حقائق الأخبار جـ ٢ ص ٣٥٢

واليوزباشى خليل أفندى كامل والملازمين روبى أفندى فهمى ومحمد أفندى أمين ومصطفى أفندى كامل وعبد الرحمن أفندى رشدى ومحمد أفندى رحمى ويوسف أفندى ضيا وحسين أفندى رمزى وعلى أفنـدى حيدر وحسن أفندى حارث . وكان من الأطباء أحمد حمدى بك وفوزى بك وأحمد خلوصى أفندى ومحمد درى بك وأحمد حافظ وغيرهم . أما الجنود الذين أرسلوا فكانوا يتكونون من الآلاى البيادة قيادةطه بك لطفى ، والآلاى الثالث من الحرس يقوده راشد بك كامل ، والآلاى الأول من الحرس أيضا يقوده محمد شوقى بك وأربع بطاريات من المدافع يقودها حسن بك حسنى المعروف بالترك واسماعيل صبرى بك وآلايان من السوارى هما الآلاى الأول من الحرس يقوده محمود بك سامى والآلاى الثانى منه يقوده أحمد بك عبد الغفار وأورطة من المهندسين عليها البكباشى على أفندى السماع . فكان الجميع ١١٫٥٣٠ جندياً (١) .

وقد زود الخديو اسماعيل الأمير حسن باشا قائد النجـدة المصرية بتعليمات لإبلاغها إلى الحكومة العثمانية عند الحاجة . فيقول له « بأنه إذا تطرق الحديث إلى عدد العساكر المرسلة أخيراً من مصر يجب أن يكون الرد على الوجه التالى : لقد خصص مجلس شورى النواب مبلغا من المـــال للعساكر الذين سيوفدون للحرب . وقد نص القرار الصادر فى هذا الشأن على وجوب أخذ هذا المبلغ مما يضم على المال المفروض على الأفدنة والأملاك وعوائد الدخولية وما إلى ذلك من الايرادات الأخرى ، بشرط أن يتم تحصيل المبلغ فى خلال سنة تبتدىء من تاريخ صدور القرار . غير أنه لما كان قد تعذر الآن تحصيل هذا المبلغ فقد

(١) المصدر السابق ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .

استقرض مبلغ من المال بالفائدة صرف فى مرتبات العساكر وانفق منه على لوازماتهم الأخرى وتم بذلك تجهيز هذا القدر من الجنود على قدرر الامكان وبالسرعة المطلوبة .

ولقد شرع فى تشكيل فرقة وجند نحو ٢٠ ألف رجل وهم الآن تحت السلاح . على أن القصد من ذلك هو تمرين العساكر على الحركات العسكرية وإصابة الهدف وإيجاد قوة مدربة احتياطيا للطوارىء والعساكر الذين وصلوا إلى هنا (الاستانة) أخيراً هم من ضمن العشرين ألف عسكرى... ولولا حاجتنا إلى المال لأمكن إرسال عدد أكبر من هؤلاء العساكر » .

أى أن الخديو اسماعيل أراد بذلك تبرير ضآلة عدد من الجنود المصرية التى أرسلت للاشتراك فى هذه الحرب إذا ما قيس إلى عدد الجنود الذين أرسلوا لإخماد ثورة كريت مع الفارق الكبير بين أهمية وخطورة كل من الميدانين بحالة مصر المالية وبما أمكن جمعه من المال .

ويذكر قنصل انجلترا الجنرال بمصر (فيفيان) بأنه إذا طالت مدة الحرب بين تركيا وروسيا فلن تكون تلك القوات آخر دفعة يطلبها الباب العالى من مصر (١) .

ولم تقتصر جهود مصر الحربية فى مساعدة الباب العالى على إمداده بالرجال فحسب بل أن الحكومة المصرية قد زودت الدولة العثمانية - بناء على طلب الباب العالى فى ٣ يونية سنة ١٨٧٧ - ببعض الطوربيدات والمراكب الصغيرة لمساعدة

---

(1) F.O. 78 - 2633 C Vivian ta the Earl of Derby. No.214 Politieal Confidential. Alex. 15 July 1877

السفن العثمانية على بث الألغام وللطواف حول الأسطول العثماني ليلا لدفع الخطر عنه (١) .

كما استعانت الحكومة العثمانية بمصر فى إمدادها بثلاثين غواصاً من الغواصين المهرة الذين يقومون بالعمل فى قناة السويس، وبعدد آخر مماثل من جدة وذلك لالتقاط الألغام التى تعوق حركة الأسطول العثمانى فى البحر الأسود (٢) .

وأرسل الخديو اسماعيل (فى ٢٤ يونية سنة ١٨٨٧ -اظهاراً لولائه وأخلاصه للسلطان - بـ ١٦ ألف بندقية ومليونين ونصف مليون طلقة على باخرة خاصة للاستانة(٣) وكذلك زود الأسطول العثمانى بأربعة سواريخ (روكت) ثم بستة أخر (٤) .

وقد أرسل اللورد ليونز سفير انجلترا فى فرنسا إلى اللورد دربى وزير خارجية انجلترا فى ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٧ يخبره بأن الحرب التركية الروسية ستؤدى حتما إلى تغيرات كبيرة فى منطقة الشرق الأدنى، وأن مصالح انجلترا الحيوية تتطلب منها

---

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية واردة من طلعت باشا فى ٣ يونية ١٨٧٧ (٢١ جماد أول ١٢٩٤).

(٢) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية واردة من طلعت باشا فى ١٨ يونيه ١٨٧٧ (٧ جماد آخر ١٢٩٤) .

(٣) دفتر ٢٧ عابدين (تركى) وثيقة رقم ٢٧ فى ١٢ جماد الثانى ١٢٩٤ (٢٤ يونية ١٨٧٧)

(٤) محفظة ١٥٩ عابدين (تركى) من ابراهيم أدهم إلى مقام الخديوية الجليلة فى ١٩ جماد ثان ١٢٩٤ (يونية سنة ١٨٧٧) .

اتخاذ تدابير معينة إزاء مصر والبلدان الأخرى التى لا تدخل فى نطاق النفوذ الفرنسى . وأن هذه التدابير يجب أن تعتمد على حد كبير على ما تتمتع به انجلترا من سمعة واسعة كدولة لها السيطرة على البحار (١) . أى أنه كان يحض حكومته على القيام بعمل يجرى للمحافظة على المصالح البريطانية فى مصر .

وفى تلك الأثناء أبلغ طلعت باشا (القبوكتخدا) الخديو إسماعيل بأن أمير الجبل الأسود قد طلب الدخول فى صلح لوضع أسس للسلم عن طريق القنصل الانجليزى فى جيتينة (٢) .

وقد أخبر الخديو إسماعيل القنصل الانجليزى فيفيان فى ١٣ أغسطس سنة ١٨٧٧ بأنه أعد قوة حربية كبيرة استعداداً لإرسالها إلى تركيا عند الحاجة . ويعلق القنصل الانجليزى على هذا النبأ بأن الخديو اسماعيل واقع تحت تأثير ضغط شديد من قبل الباب العالى لإرغامه على تقديم تضحيات تجر البلاد الى الخراب الشامل، ويمكن معها أن يحتفظ الوالى بتعهدات المالية (٣) .

وفى مقابلة أخرى (٤) للقنصل الانجليزى فيفيان استفسر من الخديو عن

(1) F. O. Lord Lyons to the Earl of Derby No. 542 Secret Extract. Paris 26 June 1877

(2) F. O. 78 - 2633 C. Vivian to the Earl of Derby. No. 214 Political Confidential Alex. 14 July 1877.

(3) F. O. 78 - 2633 C. Vivian to the Earl of Derby. No. 255 Political. Alex. 13 August. 1877

(4) F. O. C. Vivian to the Earl of Derby. No. 263 Political Alex. 16 August 1877.

الاستعدادات الجارية، من إعداد الجنود وتجهيز بواخر النقل التى ستخصص لمساعدة الدولة العثمانية عند الحاجة كما سبق أن صرح من قبل، وهل هناك نصيب من الصحة للأنباء التى تواترت والتى تشيع بأن تلك القوات خصصت لجزيرة كريت ؟ فنفى الخديو ذلك، وأضاف بأن ليس فى نيته إرسالها إلى أية منطقة معينة ، وإنما يتوقف ذلك على الأوامر التى تصدر اليه من السلطان . ونظراً لحاجة الجنود المصريين الشديدة الى الذخيرة كما أبلغه بذلك نجله حسن باشا ، فقد أرسل عشرين مليون طلقة، وعدداً من الأطباء، وأجهزة للمستشفى العسكرى بالآستانة ، وأنه يقوم بإعداد وتنظيم سرية اسعاف كاملة لمرافقة الجنود وستزود بعلم للهلال الأحمر [1].

وعندما أبدى القنصل الانجليزى ملاحظة بشأن ما تجره تلك الاستعدادات الحربية على البلاد من خراب ودمار سواء فى الرجال أو المال . صدق الخديو على هذا القول ولكنه أضاف بأن هذا الصراع هو مسألة حيــاة أو موت بالنسبة للدولة العثمانية، وأن واجبه ومصالحه تضطره بألا يمتنع عن تقديم المساعدة اللازمة لتركيا فى ذلك الوقت. وسيستمر هذا الوضع قائما ما لم يتقرر حياد مصر بموافقة الباب العالى والدول الأوربية الكبرى . وفى هذه الحالة يمكنه أن يسرح نصف الجيش المصرى على الأقل وأن يخفض الميزانية الضخمة لنظارة الجهادية (٢) .

وقد لاحظ فيفيان بأن أسلوب الخديو إسماعيل أصبح يختلف إختلافا بينا عما كان عليه وقت اندلاع الحرب، ويتكلم بمرارة وإزدراء عن موقف اليونانيين

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق.

وتطوعهم للخدمة ضد الدولة العثمانية . وأعرب عن اطمئنانه فى استطاعة مصر الوقوف أمام اليونانيين بمفردها عند اللزوم . وبأن اعلان الحرب من جانب اليونان على الدولة العثمانية ، سيترتب عليه طرد جميع الرعايا اليونانيين من الامبراطورية العثمانية . ويسره بأن يقوم بتنفيذ هذا الإجراء فى مصر التى يقطنها حوالى سبعين ألف من اليونانيين معظمهم من التجار ، مما ستجسم عنه نتائج خطيرة بالنسبة لليونانيين والمصريين على السواء . (١)

وقـــد أشار قنصل انجلترا الجنرال بمصر (فيفيان) فى مناسبة أخرى (٣٠ أغسطس سنة ١٨٧٧) بأن تجريد مصر من العناصر القادرة على العمل سيستنزف طاقة البلاد استنزافا خطيرا ، بينما زيادة نفقات العسكرية لا تساعد بدون شك على تحسين أحوال البلاد المالية . (٢)

بدأ الخديو اسماعيل فى أواخر سنى حكمه يحاول استرضاء انجلترا والاعتماد على معونتهـــا ، فهى الدولة التى وقفت فى طريقه وحالت بينه وبين ضم جزيرة كريت إلى حكم مصر ، دون أن تنفعه صداقة فرنسا . كما أنه لم يستطع الاعتماد على فرنسا مرة ثانية عندما ساءت العلاقات بينه وبين الباب العالى فى عامى ١٨٦٩ و ١٨٧٠ ، وذلك لهزيمة فرنسا فى حربها ضد ألمانيا فى عام ١٨٧٠ ، ولم تعد لها القوة ولا النفوذ اللتان كانتا لها من قبل ، وأصبحت لألمانيا الكلمة الأولى

---

(١) المصدر السابق .

(1) F.O. 78-2633 C. Vivian to the Earl of Derby No. 270 Polit Alex. 30th 1877

فى أوربا. ولذا فإن فرنسا لم تستطع مساعدته أو الوقوف إلى جانبه فى هذا الخصام، فنصحته بالتعقل والاعتدال وأوضحت له بصراحة تامة بأنها لاتستطيع تأييده إلا فى حدود الفرامانات الممنوحة له . [١] هذا بالاضافة إلى أن إنجلترا تمتلك جانبا من أسهم قناة السويس بعد شرائها من مصر . ومن جهة أخرى فهى إحدى دولتى الرقابة الثنائية على مالية البلاد والتى ينظر اليها كوريثة للباب العالى فى حكم مصر ، إذا ما اتفقت الدول الأوربية على تقسيم الممتلكات العثمانية . ولهذا كله بدأ الخديو إسماعيل يتحول عن سياسته فى الاعتماد على فرنسا الى الاعتماد على انجلترا .

وقد شعرت الحكومة الفرنسية بتحول الخديو إسماعيل نحو انجلترا والعمل على كسب صداقتها ومعونتها ، فحاولت استرضاء اسماعيل باذلة له الوعود الخلابة لمعاونته وتعضيده ، وذلك لإيجاد نوع من التوازن بين نفوذها المتراجع والنفوذ الانجليزى المتزايد فى مصر . ويوضح لنا ذلك الحديث الذى دار بين المسيو بارو Barrot (سكرتير الخديو اسماعيل الخاص والموجود بأجازة فى باريس) وبين الدوق ديكاز وزير خارجية فرنسا حول الشئون المصرية ، اذ أعرب [٢] الوزير الفرنسى عن اعجابه بالتصرف الحكيم الذى أتى به الخديو فى هذه الظروف العصيبة التى تمر بأوربا ، وقال إن الخديو لم يتصرف كما ينبغى أن يكون إزاء

---

(١) المصدر السابق.

(2) F. O. 78 - 2633 C. Vivian to the Earl of Derby No. 266 Polit. secret and confidential Alex., 21 August 1877.

الدول الاوربية فحسب ، بل إنه استطاع أيضا أن يقوم بما يمليه عليه واجبه نحو السلطان . وقد شرح وجهة نظره هذه لكل الممثلين السياسيين الذين تحدث معهم وخصوصا السفير الروسى الذى كان يشكو من الدور الذى قامت به مصر فى هذه الحرب . وأنه رد على شكوى السفير الروسى بأن الخديو اسماعيل لم يفعل سوى ما يمليه عليه واجبه بحكمة واعتدال ، وأن الحكومة الروسية ستعرف ذلك فى النهاية وستقدر تصرفه حق قدره .

ثم أضاف الوزير الفرنسى قائلا بأن الظروف الحاضرة قد وجهت نظر الدول الاوربية – وخصوصا انجلترا وفرنسا – نحو مصر . وبالرغم من الحرب وما سيترتب عليها من حدوث تغييرات فى الامبراطورية العثمانية ، فإن الحكومتين الانجليزية والفرنسية مشغولتان بمستقبل مصر وتتبادلان الرأى بشأنه وقد أعلنت الحكومة الانجليزية مرارا وتكرارا بأنها لن تفعل شيئا بمصر إلا بموافقة فرنسا، وأن هذا كسب هام ومرضى بالنسبة لمصر . ويجب على مصر أن تعلم بأن مصالحها – بفضل صداقة فرنسا – ستكون فى حماية تامة .

وأضاف الوزير الفرنسى قائلا بأن الحكومة الفرنسية قد فوتحت بشأن إيجاد نوع من الحماية على مصر ، ولكنها رفضت قبولها أو حتى مناقشتها . ولكن وجهتى نظر الحكومتين الانجليزية والفرنسية قد تغيرتا ، واتجهت مصر نحو حياد قناة السويس أو ربما نحو إستقلال مصر بضمان إنجلترا وفرنسا . ولكن الحكومة الفرنسية أرادت أن تطمئن مقدما على مستقبل سوريا إذا ما تقرر إستقلال مصر، لأنها كانت تنظر إلى سوريا كمنطقة نفوذ فرنسية . فسأل الدوق ديكاز المسيو بارو (سكرتير الخديو الخاص) عما إذا كان الخديو اسماعيل قد ترك نهائيا سياسة محمد

على وابنه ابراهيم إزاء سوريا ؟ وهذا سؤال على جانب كبير من الأهمية ، إذ أن امتلاك مصر لقناة السويس سيقربها من حدود سوريا. فأجاب المسيو بارو على ذلك بقوله بأن سياسة الخديو اسماعيل هى على الدوام الاخلاص للسلطان ، وإنه لايعتقد بأن سموه يفكر فى الاستقلال أو فى إلحاق سوريا بمصر . فعقب الدوق ديكاز على هذا بقوله ، بأنه يكرر إعجابه واحترامه لموقف الإخلاص والولاء الذى يقفه الخديو ، ولكن ربما كانت الأحداث أقوى من إرادته، وقد تدفعه بشدة بالرغم منه الى فصم الرابطة التى تربطه بالباب العالى لما قد يترتب على النتائج المحتملة للحرب .وأضاف الدوق قائلا ، بأنه يريد أن يفهم سمو الخديو بأن فرنسا تتشبث بشدة أكثر من ذى قبل بالسياسة التى تتبعها إزاء مصر منذ محمد على ، وأن على سموه أن يثق فى الاعتماد على صداقة فرنسا ومعونتها .

واختتم وزير الخارجية الفرنسية حديثه برجاء حار بأن يظل ما دار بينهما من حديث فى طى الكتمان وألا يبوح الخديو به لأحد . ولكن اسماعيل أراد أن يبرهن للحكومة الانجليزية بأن ليس بينه وبين الحكومة الفرنسية أسرار ، وبأنه يعتمد على صداقة ومعاونة انجلترا وحدها ،فأطلع فيفيان(القنصل الانجليزى الجنرال بمصر) على مضمون المحادثة السابقة ، راجيها بأن تظل سراً بين الحكومتين الانجليزية والمصرية، وألا يشار اليها فى كتاب أزرق Blue Book وألا تكون موضوع اتصال الحكومة الفرنسية .[1]

وقد أوضح له الخديو بأنه مخلص فى سياسته إزاء انجلترا وبأنه يعتبرها الصديقة

(١) المصدر السابق .

الخاصة لمصر ، وأنه عندما سيكون على فراش الموت، فستكون آخر نصيحة يسديها لخلفه بأن يحتفظ بتلك السياسة فى كل الظروف والأحوال . وأن وجهة نظره فى الموضوعات التى وردت فى سياق الحديث السابق تتلخص فيما يلى [١] :

«أولا : لا أستطيع مطلقا أن أتفق مع الدوق ديكاز فى ترحيبه الحار لموقفى إزاء الباب العالى ، مع اللهجة التهديدية التى وجهها إلى ممثل فرنسا هنا (مصر) عندما اقترحت لأول مرة إرسال مساعدة حربية إلى تركيا . ولكننى آمل بل ومستعد لأن اقتنع بأن دى ميشيل (قنصل فرنسا الجنرال بمصر) قد تجاوز التعليمات الصادرة إليه .

«أما فيما يتعلق بالرأى القائل بأن الرابطة بين مصر والباب العالى لابد أن تتأثر نتيجة للحرب ، فأعلن بصراحة وإخلاص بأنى أعتقد أن الاستقلال سيكون نكبة على المصالح الحقيقية لمصر ، وليس بطبيعته ذا فائدة لانجلترا . ولن أكون وسيلة لتمزيق أوصال الدولة العثمانية ، وذلك بأن أفصل عنها مصر التى تعتبر الساعد الأيمن لها ليس لدى مطامع شخصية لتغيير لقب (الجناب العالى) (أو صاحب السمو بلقب صاحب الجلالة) وعلى الاقل فإنى أعتقد بأن الجرى وراء المظهر الأجوف للقب (صاحب الجلالة) سيرغمنى على التصرف بغير إخلاص لسيدى السلطان وأفقد بذلك الأمن الضرورى لبلادى ، وكل التعديلات التى أرغب فى إدخالها على العلاقات المستقبلة بين الباب العالى ستكون فى شكل ضمان وحماية ضد الابتزاز والمطالب التى تتعرض لها مصر باستمرار نتيجة لجشع السلطان أو لشكوكه التى لا أساس لها من الواقع والتى ترغم مصر على البحث عن تضحية مهلكة لإرضائه

---

(١) المصدر السابق .

أو لاستخلاص بعض الامتيازات التى يجب أن يمنحها الباب العالى لمصر إذا ما أدرك فائدتها الحقيقية . وفيما عدا هذا التحفظ لا أريد أى تعديل فى العلاقات السياسية التى تربط مصر بتركيا .

« أما فيما يتعلق بفكرة ضم سوريا إلى مصر فإنى أعارضها باستمرار . وقد عرض على السلطان السابق عبد العزيز حكم سوريا ، ونصحنى نوبار باشا بقبولها ، ولكننى أجبت على هذا العرض بأننى أخشى فى أن أسبب لجلالتكم مشغوليات خطيرة إذا ما أصررتم على ضم تلك الأراضى إلى ، والتى أعتقد عن إقتناع بأنها ستضعف مصر أكثر مما تعمل على تقويتها . إن موقع مصر يحتم عليها العمل على إدخال المدنية إلى القارة الأفريقية وهذا العمل الضخم سيستنفد كل قوتها وحريتها ومواردها مما لا يجعل لديها بقية من جهد توجهه نحو قارة أخرى هذا هو اعتقادى بصراحة وإخلاص ولن يضطرنى الجشع فى أن أحيد عنها . »

من الوثيقة السابقة يتضح لنا موقف للخديو إسماعيل من إنجلترا والباب العالى فى تلك الظروف القاسية التى تمر بها الدولة العثمانية ومصر ، فهو يحاول كسب صداقة إنجلترا لدرء الأخطار المحيطة به فى تلك الظروف التى تتعرض لها الدولة العثمانية المتفكك والانحلال . وهو فى نفس الوقت يعلم أن إستقلال مصر عن الباب العالى - فيما لو أسفرت الحرب عن هزيمة الدولة العثمانية وتصفية ممتلكاتها - معرض للخطر ، وأن بقاء مصر تحت السيادة العثمانية خير ضمان لها من أطماع الدول الاوربية لأن مصر لن تستطيع أن تدافع عن إستقلالها أمام هذه الأطماع وأن كل مايرجوه من تعديلات فى العلاقات بين مصر والدولة العثمانية هو إيجاد الضمانات الكافية ضد رغبة الباب العالى فى إبتزاز أموال مصر واستنزاف دماء أبنائها فى حرب لا مصلحة لها فيها .

وخلاصة القول فإن خضوع اسماعيل فى ذلة واستكانة لانجلترا - مع علمه بنواياها الاستعمارية إزاء مصر بصفة خاصة - قد عجل بوقوع مصر فى قبضتها . وهذا يدلنا على مدى ما كانت تتمتع بها انجلترا وفرنسا - ولا سيما الأولى - من نفوذ فى مصر منذ أن فرضت نوعا من الوصاية المقنعة على العلاقات المصرية التركية فى معاهد لندن ١٨٤٠ .

الفصل الثانى

سير القتال

الاستعدادات للحرب

أعدت الروسيا نفسها للحرب فى ميدانين فى وقت واحد : الميدان الاوربى والميدان الآسيوى. وقد حشدت فى الميدان الأول قوة حربية قوامها مائتان وخمسون ألف مقاتل تحت قيادة الدوق نيقولا العظيم . وفى الميدان الاسيوى جهزت جيشا قوامه ٦٠٫٠٠٠ مقاتل تحت قيادة الجنرال لوريس مليكوف Loris Melikof وكانت القوات الروسية بطبيعة الحال أحسن نظاما وأكثر إستعدادا من ناحية المعدات الحربية من القوات العثمانية. وفى ١٦ ابريل ١٨٧٧ وقعت إتفاقا بشأن مرور الجيش الروسى فى أراضى رومانيا . وبعد ذلك أعلنت تلك الولاية إستقلالها وأعلنت الحرب على تركيا فى ٢١ مايو سنة ١٨٧٧ وفى أواخر مايو انضم الجيش الرومانى ويبلغ ٦٠٫٠٠٠ مقاتل إلى الجيش الروسى المرابط على شواطئ الدانوب .

أما الجانب التركى، فقد أخذ فى الاستعداد للحرب لانه كان يعلم بأن المفاوضات ان تنجح مع الروس . ولهذا فقد خصصت الحكومة العثمانية ١٧٠ طابورا [1]

---

(١) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف طلعت باشا) رد عبد الكريم نادر باشا (عبدى باشا) سردار الجيش العثمانى المقدم إلى ديوان الحرب العثمانى ردا على المذكرة **التى قدمها الفريق على النظامى باشا النائب العام الى ديوان الحرب فى ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ .**

لميدان البلقان وذلك للمرابطة فى المواقع الحصينة وفى غيرها فى المنطقة التى تمتد من ودين الى آخر منطقة دوبراويجه بما فى ذلك موقع وارنه . وأن ترابط فى أدرنه قوة احتياطية مكونة من ٤٠٫٠٠٠ جندى نظرا لشدة الحاجة اليها . هذا فضلا عن القوة البحرية المخصصة للدفاع عن الطونة المكونة ، من خمس مدرعات تعرف بالدربات من أربع بواخر من نوع الأسقونة ، ومن أربع طرادات . وكان بالنهر المذكور ثمانية وابورات للادارة النهرية » (١) ثم أرسلت (فى ٨ ربيع ثانى سنة ١٢٩٤) الحكومة العثمانية بأربع قراويت ومدرعتين تحت قياة على بك للانضمام الى أسطول نهر الطونة تحت قيادة محمد على باشا الافسرايلى خلف حسين باشا الكربدى ألذى عين أميرالاى لأسطول البحر المتوسط .

أما فى ميدان القوقاز فقد وضعت الحكومة الروسية جيشا يتكون من تسع وخمسون طابورا من المشاة و٤٠٫٠٠٠ من السوارى و٦٠ مدفعا تحت قيادة الغازى مختار باشا . وجيش آخر تحت قيادة اسماعيل باشا يتألف من ٤٠ طابورا و ٥٥ مدفعا . (٢) وسنوجز الكلام عن هذا الميدان لأن قوات مصر الحربية لم تشترك فيه بل كان مقصورا على الاتراك فحسب .

وفى تلك الأثناء تجاوزت قوات الجبل الاسود الحدود ، فصممت الحكومة العثمانية على اخضاعها بالقوة ، وكان لديها فى الجبل الاسود والهرسك ثمانين طابورا من الجنود . (٣) فهاجمت قوات سليمان باشا وعلى صائب باشا ومحمد على باشا

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار ج ١ ص ٧٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٣٨ و ٧٣٩ .

(٣) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا الى مهردار الخديو فى ١ يونيه ١٨٧٧ (١٩ جماد أول سنة ١٢٩٤)

الجبل الاسود ففر أميرهم خشية الوقوع فى يد العثمانيين . فأغضب هـذا العمل الحكومة الروسية فاقتربت قواتها من ماجين، وفى نفس الوقت طمأنت حكومة النمسا بأنها لن تتجاوز حـدود الصرب ، كما نصح الكونت أندراسى الحكومة العثمانية بعدم التعرض النساء والأطفال (١)

وبوصول النجدة المصرية تحت قياده الأمير حسن إلى سالونيك أسرعت بالذهاب إلى وارنة للانضمام إلى القوات المصرية الموجودة تحت قيـادة راشد حسنى . ثم غادرها الأمير حسن إلى شمنى حيث تقابل مع السردار عبد الكريم (عبدى باشا) القائـد العام للبلقان للتشاور فى الدور الذى ستقوم به القوات المصرية فى هذه الحرب ، وفى نفس الوقت فقد أوضح للقائد التركى أن حامية وارنة الكونة من ١٢ أورطة مصرية وطابورين عثمانيين غير كافية ، نظرا لإتساع موقع وارنة وأهميته العسكرية . ثم رجع الأمـير حسن إلى وارنة ثانية لتنظيم الدفاع عنها .

وفى أثناء إقامة القوات المصرية بمدينة وارنة بعد عقد الهدنة فى حرب الصرب أخذت فى تجديد التحصينات القديمة واقامة استحكامات جديدة . وفيما يلى ثبت بتلك الطوابى والقلاع .

الطوابى الموجودة بحرى وارنة

أولا . طابية (حجر أوغلى) موجودة على حافة البحر الاسود من الجهة البحرية الشرقية وتبعد عن سور المدينة بنحو الـ ٥٠٠ متر . وتم بنائها وتركيب

---

(١) محفظة ٢٨ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا الى مهردار الخديو فى ٢٤ يونيه سنة ١٨٧٧ (١٣ جماد ثانى ١٢٩٤) .

مدافعها وشغلتها الجنود المصرية ٣ جى أورطة ٢ جى بيادة غارديا (حرس) .

ثانيا : طابية (درت تبه) موجودة على خط الجبل المشرف على وارنة وبعيدا عنها من الجهة البحرية بنحو الثلاثة آلاف متر . وتم تجهيزها وإعدادها وشغلتها البنود العثمانية .

ثالثا: طابية (كمرد ده سى) على الخط المذكور غربى طابية (درت تبه) وقد تم تجهيزها وشغلتها الجنود المصرية من عساكر ٢ جى أورطة و ٣ جى بيادة برنجى فرقة مصرية .

رابعا . طابية (فرنقة) وقد استمر العمل فيها عدة سنوات ، وهى كبيرة الحجم وتقع غربى طابية (كمرد ده سى) على خط الجبل المذكور . وقد شغلتها ١ و ٢ جى أورطة ٣ جى بيادة برنجى فرقة مصرية . وبها ١٦ مدفعا ومدفعين هاون .

خامسا : طابية (أورمان تبه) أنشئت على خط الجبل أيضا غربى طابية فرنقة .

الطوابى الموجودة قبل وارنة

أولا : طابية (سردار أكرم طابية سى) وقد تم بناؤها ، ولم توضع فيها المدافع حتى أول مايو سنة ١٨٧٧ . وشغلتها القوات المصرية من عساكر ٢ جى أورطة و ٢ جى بيادة غارديا مصرية .

ثانيا : طابية (غلطة برونى) وقد شيدت على لسان داخل البحر الأسود . وتم تجهيزها وإعدادها بواسطة الجنود العثمانية .

ثالثا : طابية (عساكر مصرية غارديا) وشيدت بالقرب من طابية (سردار

أكرم وتم بناؤها ولم تكن المدافع قد وضعت فيها حتى أول مايو سنة ١٨٧٧ . وشغلتها الجنود المصرية من برنجى أورطة ٢ جى بيادة غارديا .

كما كانت هناك فى وارنة ثلاث طوابى أخرى هى : (طاشلى برون بها ٨ مدافع ومدفع هاون ، و (أرمانلى تبه) وبها ٩ مدافع ومدفع هاون) ، و(جوزلى تبه) وبها ٨ مدافع ومدفع هاون وكان بكل منها أورطة مصرية . وقد ذكر الأمير حسن بأن هذه الطوابى واهية المتاريس وليست على شىء كبير من حيث الملائمة للدفاع (١) » .

وقد شكا الأمير حسن من عدم وجود جنود مصريين من سلاح المهندسين للقيام بترميم وإنشاء الطوابى الحديثة ، وكان يستخدم فى ذلك جنود المشاة. ولهذا كانت أعمالهم بطيئة وغير فنية . فلا عجب إذا لم تكن الطوابى بالدرجة المطلوبة من المتانة والاتقان وتلافيا لهذا النقص طلب الأمير حسن من والده الخديو سرعة إرسال السبعة بلوكات من عساكر المهندسين التى جهزت فى مصر بكامل آلاتها ومعداتها (٢) . وقد أجيب إلى طلبه (٣) .

---

(١) - محفظة ٥٤ (معية تركى) وثيقة رقم ١٧١ (تقرير حربى من ناظر الجهادية حسن باشا الى مهردار الخديو) فى ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٤ (٧ يوليه سنة ١٨٧٧) .

(٢) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف حسن باشا) برقية من حسن باشا الى مهردار الخديو فى ١٥ يوليه سنة ١٨٧٧ (أربعة رجب سنة ١٢٩٤)

(٣) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف حسن باشا) برقية من حسن باشا الى مهردار الخديو فى ١٧ يوليه سنة ١٨٧٧ (٦ رجب سنة ١٢٩٤) .

كانت الروسيا قبل إعلان الحرب على تركيا قدعقدت اتفاقا سريامع رومانيا ينص على أن تقوم رومانيا بتقديم كا المساعدات للجيش الروسى مع إستخدام أراضيها ومؤنها ووضع جيشها تحت يادة الروسية. وقد احتجت الدولةالعثمانية على ذلك لدى الدول الأوربية لما فيه من مخالفة لحق السيادة العثمانية وللمعاهدات، إذ أن رومانيا ما زالت ولاية خاضعة لسيادتها ، ولايحق لها أن تعقد معاهدة مع دولةمعادية لتركيا . وقد أرسلت الحكومة العثمانية بعض قطع الأسطول العثمانى إلى السواحل الرومانية لتهديدها ، فاطلقت الشواطىء الرومانيـة النار عليها ، وأرسلت بجيشها ٦٠,٠٠٠ جندى للانضمام للجيش الروسى ، وأعلنت استقلالها فى ١٤ مايو سنة ١٨٧٧ كما سبق أن ذكرنا . وأعلن الأمير شارل فى البرلمان الرومانى بأن استقلال رومانيا لن يغير من المركز أو الحقوق الممنوحة لها بمقتضى المعاهدات (١) .

وبعدأن اخترقت الجيوش الروسية خطوط الهدنة ، تمسكت الحكومةالعثمانية بنصوص معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ التى تنص على ضرورة الرجوع إلى الدول الموقعة عليها لإحالة هذا الأمر إلى المحكمة الدولية . وقد اتصلت بهذا الشأن بالحكومة الانجليزية (٢) .

سير الحرب

أما عن سير الحرب فقد عبرت الجيوش الروسية حدود الدولة العثمانية ،

---

(١) D.D F lere serie vol. II P. 180 Le Duc Décazes, à N. Debain Consul Général de France à Boçarest. Paris, 23 Mai 1877

(٢) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية واردة من طلعت باشا فى ٢٦ إبريل سنة ١٨٧٧ (١٢ ربيع ثانى سنة ١٢٩٤)

ودخلت ولايتي الأفلاق والبغدان (رومانيا) . وفى أواخر مايو انضم اليها الجيش الرومانى وعدده ٦٠,٠٠٠ مقاتل وتج... على الضفة العليا لنهر الطونة محاولا عبوره . ولكن لم يستطع فى ذلك الو... لفيضان النهر الشديد . وفى أواخر يونيه استطاع جزء من الجيش الروسى من عبور النهر عند Béudjaka بالقرب من جالاتز Galatz وذلك فى ٢٢ يونيه سنة ١٨٧٧ .

أما المحاولة الكبرى لعبور النهر فحدثت فى ٢٧ يونيه ١٨٧٧ إذ استطاع الجنرال الروسى دراجوميروف Dragomirof من عبور النهر عند زيمنيجه أمام زيشتوى Sis ova بعد قتال مع الجيش التركى دام ١٤ ساعة . ثم أنشأ الجيش الروسى جسرا فوق الصنادل عبرت عليه معظم قواته بسرعة كبيرة متجهة نحو مدينة وارنة . حدث فى الوقت الذى كان فيه القائد العام للجيوش التركية عبد الكريم باشا قابعا فى معسكره بمدينة شمنى « لا يبدى حراكا ولا يخرج من خيمته إلا فى النادر، غير مهتم بأمر القتال كما يجب ويصرف أوقاته فى أمور لا فائدة منها تقريبا » (١) .

أما عن كيفية عبور النهر من الموقع المقابل لزشتوى فيتلخص فى أن هذا الموقع كان به قوة عثمانية تحت قيادة اللواء أحمد حمدى باشا « وبينما كانت المنطقة الكائنة تجاه هذا الموقع عبارة عن برك ومستنقعات فقد كان من المحقق إنها - من الناحية الفنية - غير ملائمة لعبور النهر » (٢) . ولكن الجيش الروسى رغم ذلك استطاع

---

(١) اسماعيل سرهنك - حقائق الاخبار ج ١ ص ٧٣٦

(٢) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف طلعت باشا) تقرير مقدم من عبدى باشا الى ديوان الحرب ردا على مذكرة الفريق على نظامى باشا فى ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ .

فى ظلمة الليل من تسيير عدد كبير من البواخر والرفاصات والقوارب ، دون أن يشعر به أحد » (١) . وتقدم نحو زشتوى وأمكنه بما لديه من استعدادات من نقل عدد كبير من قواته وتبلغ ٢١٫٠٠٠ جندى بسرعة كبيرة (٢) ولم تستطع قوات روسجق تحت قيادة أشرف باشا من تقديم المساعدة الكافية لقوات زشتوى فى الوقت المناسب أى أن القوات العثمانية المرابطة بزشتوى اعتمدت على عدم إمكان العدو — من الناحية الفنية — العبور من تجاه زشتوى لوجود المستنقعات والبرك ، ولم يهتموا بتركيز حامية كبيرة فى تلك المنطقة وقد استغل الجيش الروسى نقطة الضعف هذه فى دفاع العثمانيين أحسن استغلال . وتدور المعركة بين القوات الروسية والقوات العثمانية تحت قيادة اللواء أحمد حمدى باشا ينسحب بعدها الفريق التركى الى موقع بيلا للتحصن والاستعداد .

وقد أحدث عبور القوات الروسية نهر الطونة دون مقاومة كبيرة ذعرا شديداً فى الآستانة ، فعزل الباب العالى القائد العام للقوات العثمانية عبد الكريم نادر باشا على الفور وعين مكانه محمد على باشا . وأرسل السر عسكر راديف باشا ومعه نامق باشا إلى روسجق لإجراء تحقيق فى كيفية عبور القوات الروسية نهر الطونة دون مقاومة كبيرة لأن القيادة العثمانية كانت تعتمد على النهر كأحد المواقع الطبيعية التى تعوق تقدم الجيش الروسى ، والذى لا يمكن عبوره إلا بعد خسائر جسيمة .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف حسن باشا) برقية من حضرة صاحب الدولة حسن باشا فى ٢١ يونيه سنة ١٨٧٧ .

وقد أدان السر عسكر رديف باشا ، السردار عبد الكريم نادر باشا فى تقريره الذى رفعه إلى ديوان الحرب ، فتقرر إحالته إلى مجلس حربى لمحاكمته . وأوضحت تلك المحاكمة الكثير من نقط الضعف فى خطوط الدفاع التركى ، علاوة على إهمال القائد العام عبد الكريم باشا (عبدى باشا) ووزارة الحربية التركية أيضا .

وكانت التهمة التى وجهت اليه هى أنه رغم القوة الحربية والبحرية الكبيرة التى قذفت بها الدولة العثمانية فى ميدان نهر الطونة ، فإن القوات الروسية استطاعت عبور النهر من نقطتين دون أن تجد مقاومة كافية من قبل القوات العثمانية . وفى نفس الوقت كانت الجيوش العثمانية تحتل موقعا هاما عند بلبه فاخلى هذا الموقع وفتح الطريق إلى طرنوه . ومع أن موقع طرنوه كان حصينا من الناحية الطبيعية فلم تحشد القوات الكافية مما سهل على الروس الاستيلاء عليها .

كما أنه لم يعمل على حشد قوات كافية فى زشتوى نيكبولى بعد أن اتضح له من مناورات العدو أنه يريد عبور النهر من هذين الموقعين . بل انه لم يحاول القيام بأية محاولة لمنع تقدم القوات الروسية التى اجتازت النهر من زشتوى وبقى داخل تحصيناته بشملى ، « واكتفى بارسال ذاك الخبر المفزع إلى الآستانة حيث قال : لقد عبر الروس الطونة وسيخرقون البلقان ، وسيأتون إلى أدرنه ومن ثم إلى استامبول [1] » .

وقد دافع القائد العام عن نفسه فأوضح بأن وزارة الحربية التركية قد نقلت

---

(١) محفظة عابدين (ملف طلعت باشا) المذكرة المقدمة من الفريق على نظامى باشا النائب العام إلى ديوان الحرب فى ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ (٢ شعبان سنة ١٢٩٤) .

الفريق حسن باشا قائد بحرية الطونة والذى شغل هذا المنصب عشرين عاما ، وله دراية واسعة والمام كبير بشئون النهر ، وذلك قبيل إعلان الحكومة الروسية الحرب بفترة وجيزة . وفى نفس الوقت فقد تأخر وصول عارف باشا الذى الذى عينته الدولة العثمانية مكانه ، ولم تكن له دراية بهذا النهر من قبل . وقد وصل أخيراً إلى نهر الطونة بعد أن كانت القوات الروسية قد انتشرت على ساحله السفلى .

ويذكر القائد العام السابق عبد الكريم باشا بأن « عدد السفن العثمانية التى كانت موجودة بنهر الطونة ليست من القوة والحجم والمناعة والعدد بحيث تتحمل قذائف العدو وتقابله بالمثل . » ولذا فقد روى أن أمر الاحتفاظ بالنهر وتنفيذ التصميمات والخطط الخاصة بتخريب جسر (سنيرت) والسكة الحديدية القائمة فى الضفة المقابلة ، وتعطيلها يتوقف على دخول المدرعتين المطلوبتين الى النهر [1] .

ويبدو أن نقل حسين باشا قومندان أسطول الطونة من مركزه قبيل إعلان الحرب قد أربك القائد العام عبد الكريم باشا الذى كان يشرف على القيادة البحرية أيضا ، فلم يستطع أن يتصرف بحكمة وسرعة ودراية فى الوقت المناسب . واعتمد على تعيين خلف له للقيام بما كان يجب عليه القيام به فى الوقت الملائم وبالسرعة يتطلبها الموقف .

حدث هذا فى نفس الوقت الذى أخذت فيه القوات الروسية تقوى من مركزها على الضفة المقابلة بالاستحكامات القوية المجهزة بالمدافع الكبيرة . وبذلك أصبحت قطع الأسطول العثمانى الصغيرة الحجم محصورة فى مكانها ولا تستطيع

---

(١) المصدر السابق .

التحرك إلى حد كبير [١] .

ويوضح القائد السابق عبد الكريم باشا فى تقريره بأن ما أبلغته وزارة الحربية التركية من أن جميع الحدود العثمانية قد حصنت ، وأصبحت فى حالة جيدة للدفاع وصد العدوان ، وبأنه قد حشد على طول نهر الطونة قوة حربية عظيمة ومنظمة ، محض إفتراء . إذ أن نهر الطونة الذى يعتبر من الحدود الرئيسية الهامة خلو من الاستحكامات والموانى المنظمة التى تلجأ اليها السفن العثمانية عند الحاجة . وقد تشكلت لجنة برياسته وعضوية دولة أحمد أيوب باشا وسعادة بلونة باشا وكبار ضباط البحرية وأركان حرب لدراسة جبهة الطونة وتقرير الاستحكامات اللازمة فى المواقع الهامة على طول النهر ، وفى موقعى وارنة وشمنى ، وإنشاء الموانى للاسطول العثمانى فى روسجق وبعض الجهات الأخرى . ثم بدء بتنفيذ توصيات اللجنة وذلك بتقوية المنطقة القائمة بين كوستنجة وبوغاز كوى بالاستحكامات ، تفرق أعضاء اللجنة ولم يتم المشروع . وبناء عليه فان تخوم الطونة التى قيل أن جميع نواحيها قد قويت والتى يمتد طولها إلى مسافة مسيرة مائتى ساعة تقريبا ليس فيها الآن مواقع مستحكمة سوى موقع ودين وروسجق وسلسترة فحسب . وهناك فى موقعى طوتراقان ونكبولى بعض الاستحكامات البسيطة بينما جميع جهات الحدود ومواقعها خالية من الاستحكامات ، مما يساعد العدو فى إعتداءاته كما هو معلوم [٢] :

ويذكر عبد الكريم باشا حقيقة هامة ، هى أن الدولة العثمانية لم تدخل هذه

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

الحرب اعتماداً على ما لديها من القوات العسكرية ، وأملا فى إحراز النصر على العدو ، «وإنما اخترنا الحرب حتى النهاية لمجرد المحافظة على شرف الدولة وكرامتها وقررنا بذل جميع التضحية فى هذا (١) ».

ويدلنا هذا على أن الحكومة العثمانية كانت كبيرة الأمل فى أن تدخل انجلترا الحرب الى جانبها كما حدث فى حرب القرم ، ولولا هذا الأمل لقبلت فض النزاع بينها وبين الروسيا بالطرق الدبلوماسية.

وبناء على ما لدى الحكومة من إمكانيات استطاعت أن تخصص ١٧٠ طابوراً لميدان نهر الطونة « للدفاع بها على قدر المستطاع ، وخصص لودين من هـــذه الطوابير ٣١ طابورا للمحافظة على المواقع القائمة بين حدود سربيا ونيكبولى ، وعشرين طابورا لسلسترا للمحافظة على المواقع الكائنة بين طواتراقان وبوغاز كوى بما فيها طوتراقان، و٨ طوابير خصصت للمحافظة على دربريجه والاستحكامات و ١٦ طابورا منها خصصت لوارنة ، وخمسين طابوراً لشمنى لتكون كاحتياطى تموين لكل الجهات وليس بخاف على ذوى الخبرة أن عدد الجنود الذى أسلفنا ذكره لا يمكن حسبانه قوة كبيرة بالنسبة الى الأسلحـة الحديثـة والاستحكامات المنشئة فى المواقع المعلومة تبعا لها ، بل لا يمـــكن حسبانها قوة كافية للموقع المذكور (٢) ».

وبعد عبور نهر الطونة كانت القوات العثمانية مكونة من ١٠٠,٠٠٠ جندى فى البوسنة والهرسك، ولم يكن للدولة العثمانية فى بلغاريا سوى ١٨٦,٠٠٠ مقاتل مقسما

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

ودين وسلسترامع احتياطيها فى شمنى ووارنة دون وجود قوات هامة فى القلب فى مواجهة الجيش الروسى فى منطقة العبور .

وقد زحف الجيش الروسى على طرنوه مجتازا طريقا متفرعة من الطريق المؤدية من زشتوى الى سلوى دون أن يتعرض لحامية بيله . وقد اضطرت قيادة الجيش العثمانى الى سحبها لقلة عددها ولخشيتها من قطع خط الرجعة عليها ووقوعها فى قبضة الروس . وبذلك استولت عليها القوات الروسية فى ٦ يوليه سنة ١٨٧٧ ، ففصلت الجيش العثمانى إلى شطرين : أحدهما شرق نهر ياترا والآخر غرب هذا النهر . وكذلك وقعت نيكبولى فى أيدى الروس كما لم تستطع القيادة العثمانية من وضع القوات اللازمة لموقع طرنوه ، إذ أنها تحتاج للسيطرة عليها مابين ٢٥و٣٠ طابورا ، واكتفى بأربعة طوابير فقط تحت قيادة الأميرالاى على حمدى بك « بقصد حفظ الأمن الداخلى » (١) . ولذا استطاع العدو أن يعبر النهر من هذه النقطة دون مقاومة تذكر .

وقد قسم العدو قواته التى عبرت نهر الطونه وتقدر بـ ١٢٠ ألف مقاتل إلى ثلاثة أقسام : (٢) القسم الأول ويبلغ ١٧٠ ألف ونيف ويقع غربى روسجق . والقسم الثانى وقدره ١٠ آلاف ونيف فى جهة طرنوه . والقسم الثالث ويتكون من ٤٠ ألف جندى وخصص للمحافظة على زشتوى وعندما ظهرت فرسان العدو فى ورت ستينك ، أخرج أحمد أيوب باشا قائد فرقة قاضى كوى (المكونه

---

(١) المصدر السابق .

(٢) محافظة ٥٤ (تركى) تقرير من حسن باشا الى مهردار الجناب الخديو وثيقة رقم فى ١٠ رجب سنة ١٢٩٤ ، ٢١ توليه سنة ١٨٧٧ .

من ٣٣ أورطة من المشاة و٥ آلاف فارس من الجراكسة المعاونة وتسع بطاريات مدفعية) وقوة من فرسانه واشتبكت مع فرسان العدو فى مناوشة خفيفة أسفرت عن قتل ١٥ نفرا من العدو . أما من الجانب التركى فقد استشهد جندى واحد وجرح اثنان . ثم ارتد كل من الطرفين إلى موقعه [١] .

واستطاع القسم الأول من جيش العدو من مهاجمة بيله والاستيلاء عليها فى ٦ يوليه سنة ١٨٧٧ دون مقاومة . وقد حاول أحمد أيوب باشا إنقاذها فخرج من قاضى كوى ومعه ١٦ طابورا من المشاة و ٥٠٠ من الخيالة والجراكسة وعساكر المعاونة وآلايين الخيالة ، وستة بطاريات من المدافع وتقابل مع قوات أشرف باشا الآتية من روسجق إلى كوبرى بسارابيا ومعه ١٧ طابورا من المشاة وأربعة بلوكات من العساكر الخيالة النظامية وثلاث بطاريات من المدافع [٢] . ولكنهما لم يتمكنا من ذلك .

أما الفريق الثانى فتقدم نحو ط نوه واشتبك مع الطوابير العثمانية الاربع هناك ، وبعد قتال خفيف ارتدت الطوابير العثمانية إلى الخلف وسقطت المدينة فى يد العدو فى ٧ يوليه سنة ١٨٧٧ ، كما استولت القوات الروسية على سلفى ولوفجه [٣] . وكان اللواء المصرى عثمان باشا نجيب يقيم فى ذلك الوقت فى

(١) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف حسن باشا) برقية من دوات حسن باشا إلى مهردار الخديو فى ١٦ يوليه ١٨٧٧ (٥ رجب ١٢٩٤) .

(٢) محفظة ٥٤ (تركى) وثيقة رقم ١٨١ تقرير من حسن باشا إلى مهردار الخديو فى ١٠ رجب ١٢٩٤ (يوليه ١٨٧٧) .

(٣) المصدر السابق .

موقع روسجق وتحت امرته اورطة مصريةواورطتين عثمانيتينفقط ، وكانمعرضا لهجمات العدو فى أى وقت من الأوقات . ولذا كان موقفه ضعيفا وغاية فى الخطورة [١] .

ولقد صدرت التعليمات من الاستانة بمهاجمة العدو بزشتوى،فخرجتقوة من شمنى مكونة من ١٠ طوابير على رأسها أحمد ايوب باشا متجهة نحو روسجق للانضمام إلى قوتها وذلك للقيام بهجوم مشترك ، فانضمت اليها قوة من روسجق تحت قيادة اشرف باشا مكونة من ١٢ طابورا وبدأت فى مناوشة فرسان العدو. ولكن صدرت تعليمات أخرى إلى تلك القوة بعدم مواصلة الزحف والانتظار لوضع خطة أخرى .

تقدمت الجيوش الروسية مخترقة البلقان ، فاستولى الجنرال جوركو Gourko على مضيق شبقة Sohipka واستولى البارون كرنده Krunder على مدينة نكبولى بالقوة واسر بها ٧ آلاف جندى وغنم ١١٣ مدفعا و ١٠ آلاف بندقية وذلك فى ١٥ يوليه سنة ١٨٧٧ [٢] . وقد أسرع الغازى عثمان باشا بفرقة مكونة من ٤٠ اورطة من ودين لإنقاذ نيكبولى، ولكنه عندما علم بسقوطها وهو على مقربة منها التجأ إلى موقع بلونة Plovna لمناعته ولاشرافه على الطرق العسكرية التى تصل بين شواطىء نهر الطونه وداخل البلقان . فتبعته القوات الروسية ، وهاجمته هجوما عنيفا مرتين متتالين الأولى فى ٢٠ يوليه سنة ١٨٧٧

---

(٢) محفظة ١٦٠ عابدين برقية من صاحب الدولة حسن باشا إلى مهردار الخديو فى ١٠ يوليه ١٨٧٧ (٢٩ جماد ثان ١٢٩٤) .

(3) H.A. Malet; Le politique Européene jusqu'au Traité de Perlin (187ı-1878) Hist. Générale vol. XII ch XII P. 418.

والثانية فى ٣٠ من نفس الشهر . ولكنها باءتا الفشل .

وقد انسحب الجيش الروسى بعد الهجوم الثانى بعد أن فقد فى ميدان القتال ما يقرب من ٧٠٠٠ جندى (١) . وقد عززت نقطة بلونه بإمدادات اضافية من الجنود ، ثم قسمت إلى ثلاثة أقسام : الأول تحت قيادة الغازى عثمان باشا وأقام فى بلونة للمحافظة عليها . أما القسم الثانى فكان تحت قيادة محمد على باشا ، وهدفه محاربة الجيش الروسى الذى يقوده الأمير الكسندر ولى عهد روسيا . وقد اشتركت القوات المصرية مع قوات محمد على باشا ، تحت قيادة الأمير حسن باشا وانتصرت على القوات الروسية فى موقعة صارى نصوحلر . أما الجيش الثالث فكان تحت قيادة سليمان باشا وهو من رجال الحرب البارزين ، وقد حضر من الجبل الأسود لانتزاع موقع شبقه من أيدى الروس . فالتقى بالجيش الروسى الذى يقوده الجنرال جوركو ، وانتصر عليه فى بلدة اسكى زغرة .

وبعد انتصار القوات المصرية الملحقة بجيش محمد على باشا فى موقعة صارى نصوحلر قسم الغراندوق نيقولا قواته إلى جزئين : الأول لمواجهة قوات محمد على باشا والثانى لمقابلة قوات عثمان باشا التى كانت تهدد القوات الروسية .

وقد حاول القواد الأتراك الثلاث محمد على باشا وعثمان باشا وسليمان باشا القيام بعمل موحد للاطباق على الجيش الروسى الذى تحرج مركزه ، والذى كان لا يستطيع التقدم فى البلقان دون أن يستولى أولا على موقع بلونه والقضاء على ما به من قوة حربية كبيرة فأمر القصر الروسى بتجنيد الحرس الروسى وأربع فرق جديدة . وفى نفس الوقت استعجل وصول الجيش الرومانى الذى كان حتى

---

(١) المصدر السابق .

ذلك الوقت مصراً على الثبات على الضفة اليسرى لنهر الطونه وكان يأمل القيصر الروسى فى أن يكون لديه فى أواخر أغسطس ٥٥٠٫٠٠٠ جندى ، ولكن كان عليه فى نفس الوقت أن يحافظ على ما استولى عليه من المواقع .

قام القواد الثلاث بهجوم عام على القوات الروسية فى كل المواقع وكانت قواتهم مقسمة إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول ويطلق عليه اسم فليق هزار غراد، ويستند جناحه الأيمن على قريتى نيزو وتباسقه. وجناحه الأيسر بقرية قره حسن أما القلب فيعسكر بجهة فاتسلو .

والقسم الثانى ويطلق عليه اسم فيلق جمعه ويضم القوات المصرية تحت قيادة حسن باشا . وكان جناحه الأيمن يمتد من قرية قره حسن إلى قرية حيضر كوى ويعسكر قلبه على التلال الواقعة بين قره وحيضر كوى رصارى نصوحلر ويازلر على اليمنى لنهر لرم ، ويمتد الجناح الأيسر حتى عربلر تقريبا .

والقسم الثالث ويطلق عليه اسم فرقة عثمان بازارى فيستند جناحها الايمن إلى عربلر ، وقلبها فى قريتى ليلىوقوزلر ويمتدجناحها الأيسر حتى قرية قره حسن. كما توجد على التلال الواقعة بين قاضى كوى ونهر لوم قـــوة مختلطة من الجنود المصرية والعثمانية . وتقدر قوة هذا الخط الدفاعى الممتد من قاضى كوى إلى عثمان بازارى بمائة طانور من المشاة تقريبا [1] .

أما الجيش الروسى فكان مقسما إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول ويعسكر بجوار قريتى اوبر تلك ودوموله . والقسم الثانى يقيم بقويرتسه ، والثالث بقرية

(١) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف حسن باشا) برقية من حسن باشا فى اشيك تبه ١٠ سبتمبر ١٨٧٧ .

جزدوى الواقعة على الطريق بين عثمان بازارى وطرنوه .

وقد حدث تصادم فى أوائل سبتمبر سنة ١٨٧٧ بين فيلق هزار غراد وبين قوات العدو، فاستطاعت قوات الفليق من طردالعدو من فاتسلوه والإستيلاد على نهر لوم بأسره (١) .

وقامت قوات سليمان باشا بضغط شديد متواصل على قوات الجنرال جوركو فى موقع شبقة مدة خمسة أيام دون توقف (٢١-٢٦ أغسطس سنة ١٨٧٧) . كما استطاعت قوات محمد على باشا استرجاع خط استحكامات نهر لوم وتمكن عثمان باشا من الخروج من بلونه متجها نحو kalevitzé بعد مهاجمته القوات الروسية المواجهة لهم ثمانى مرات (٢) .

وفى هذا الموقف الحرج بالنسبة للقوات الروسية المهاجمة عبرت القـــوات الرومانية نهر الطونه لمساعدات القوات الروسية ، كما حضر القيصر الروسى بنفسه على رأس جيش آخر إلى ميدان القتال لتشجيع قواته على الزحف والقتال ، وبفضل تلك الإمدادات الجديدة تمكن الجنرال الروسى زمرمان Zimmerman من عبور نهر الطونة عند موقع ايساقجى والنوغل فى أراضى دوبراويجه منتجها نحو بازارجق حيث تعسكر بعض القوات المصرية التى كلفها القائد التركى محمدعلى باشا الدفاع عنها .

---

(١) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف حسن باشا) برقيـة من حسن باشا المعسكر فى اشيك تبه فى ١٠ سبتمبر ١٨٧٧ .

2 - F.O. 65-998 Lord Augustus Loftus to the Earl of Derby Extract No. 157 St. Perersbourg. Fac. 7.1878.

وعندما هاجم العدو دوبراويجه انسحبت قواتها إلى بازارجق وتولت القيادة المصرية بوارنه إمداد هذا الموقع بخمس أورط : ثلاث مصرية وبطاريتى مدفعية مصريتين ، واورطتين عثمانيتين تحت قيادة الفريق راشد حسنى باشا لتنضم إلى الاحدى عشر اورطة الموجودة هناك . على أن تكون جميع قوات الموقع المذكور تحت قيادة راشد باشا ليتولى إيقاف زحف العدو من هذه الجهة (١) . وقد وصل راشد باشا إلى بازارجق فى ١٩ يوليه سنة ١٨٧٧ ووجد أن القوة الموجودة بها تتكون من تسعة طوابير ونصف طابور من المشاة وآلاى من السوارى وبطاريتى كروب سوارى و١٠٥٠ من عساكر المعاونة ونحو ٢٠٠ من سوارى الجراكسة وانها فى حاجة ماسة إلى المؤن (٢) .

وأخذت القوة المصرية العثمانية الموجودة ببازارجق بمساعدة هدايت باشا اللواء الثانى وقائد العساكر المعاونة تنظم حركات استطلاعية لمعرفة تحركات العدو ومدى قوته الحربية ، وكتابة تقرير يومى بذلك إلى القيادة المصرية بوارنة (٣) . وحدث أثناء خروج المير اللواء هدايت باشا للاستطلاع بجهات متتالية أن غنم بعض الدواب والماشية التى تركها العدو ، وتتكون من ٨٠٢٢ راس من الاغنام

---

(١) المجلة التاريخية المصرية المجلد الثالث العدد الأول ص ١٧٧ (برقية بدون رقم إلى قيادة وارنه فى ١٤ كانون الثانى سنة ٩٣ الموافق ٢٦ يناير ١٨٧٨

(٢) المصدر السابق ص ١١٣ (برقية رقم ١٦٤ فى ٧ تيموز سنة ٩٣ الموافق ١٩ يوليه ١٨٧٧ تلغراف إلى قيادة وارنه بالشفرة) .

(٣) المصدر السابق برقية رقم ١٨٨ فى ١٤ تيموز سنة ٩٣ الموافق ٢٦ يوليه ١٨٧٧ إلى هدايت باشا اللواء الثانى بازارجق وقائد العساكر المعاونة) .

و ١٠٠ طور و ٧ جمال و ٢٦ فرسا [١] .

ولما كان موقع بازارجق وشمنى مهددين من قبل العدو ، وكان الأمير حسن باشا يخشى على القوات المصرية الموجودة فى هذين الموقعين ، فقد أرسل اليها كتابا يحضها فيه بأن تكون على إستعداد لمغادررة أماكنها بكامل مهماتها ومعداتها ، والذهاب إلى وارنه بناء على أية اشارة يصدرها اليها [٢] .

وتجاه موقع قاضى كوى اشتبكت قوية وعثمانية مكونة من سبع اورط وثمانية مدافع وعدد من الفرسان مع العدو فى معركة دامت سبع ساعات أظهر فيها القوات المصرية والعثمانية « إقداما وبسالة تستحق التقدير » .[٣] وتصيب العدو بهزيمة كبيرة ، واضطر إلى الفرار بعد أن دخلت القوات المصرية والعثمانيه قاضى كوى ظافرة . « وكان قتلى العدو يجاوز مائتى نفس ويبلغ جرحاه ضعفى القتلى ، واغتنم منه نحو مائتى بندقية وأشياء أخرى [٤] » .

وفى إحدى الجولات الكشفية التى قامت بها القوات المصرية لاستطلاع

---

(١) المصدر السابق (برقية رقم ٢١٨ فى ٢١ تيموز سنة ٩٣ الموافق ٢ أغسطس ١٨٧٧ إلى قيادة واورنه العليا) .

(٢) المصدر السابق (برقية رقم ٤٤٧ فى ٣١ تيموز سنة ٩٣ الموافق ١٢ ١٨٧٧ تلغراف وارد إلى قيادة بارازجق من قيادة وارنه) .

(٣) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف حسن باشا) من حسن باشا فى عاشقلر تكية سى إلى الجناب الخديو فى ١٦ أغسطس ١٨٧٧ (١٢ رمضان ١٢٩٤) .

(٤) محفظة عابدين (ملف حسن باشا) من حسن باشا فى عاشقلر تكيه سى إلى الجناب الخديو برقية رقم ٦٩ فى ٢١ أغسطس ١٨٧٧ (٢٥ شعبان ١٢٩٤).

قوات العدو ، اشتبكت مع قوة صغيرة يزيد عددها عن الألف من قوات العدو عند مليورة ، وأسفرت المعركة ، عن قتل ما يزيد عن المائة جندى من قوات العدو عدا الجرحى وخسرت القوات المصرية ١٥ شهيداً وثمانية جرحى (١) » .

كما هاجمت قوات مصرية تمثل الجناح الأيمن للجيش العثمانى وكانت تحتل موقعا جبلياً على مسيرة أربع ساعات من قرية جمعه (وكان الجناح الأيسر فى موقع هزار غراد) ، قوات العدوفى قرية بوبوقريتى حيدر ويازلر «فانسحب العدو واستولت القوات المصريه عليها بعد أن غنمت ١٨٠٠ بندقية ومثلها من معاطف المطر وثلاث عربات محملة بمهمات وأشياء أخرى . أما الخسائر فى الجانبين فكانت ضئيلة (٢) » .

وقد اتفق محمد على باشا مع الأمير حسن على أن تقوم سبع أورط مصرية الجنود الموجودة بوارنه وثلاث بطاريات أحداها جبلية والاثنتين الآخرين من طراز كروب ، وأن تلحق بها ٦ طوابير عثمانية من حامية بازارجق وبطارية واحدة للذهاب إلى قريتى جمعه وعثمان بازارى والانضمام إلى القوات الموجودة بها على أن يتولى الأمير حسن قيادة تلك القوات التى تتكون من حوالى ٢٢ طابورا للدفاع عن هذين الموقعين . وإذا ما استطاع سليمان باشا الانضمام

---

(١) المجلة التاريخية المصرية (المجلد ٣ العدد ١ ص ١٤٤ برقية رقم ٣١٣ فى ١٩ أغسطس ١٨٧٧ إلى قيادة سلستره) .

(٢) محفظة ٢٦٠ عابدين (ملف حسن باشا) برقية من حسن باشا فى ٢١ أغسطس ١٨٧٧ (٢١ شعبان ١٢٩٤) .

اليه بقواته التى تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ طابورا فسيتغير موقف قوات هذين الموقعين من الدفاع إلى الهجوم [١] .

أصدر الفريق حسن باشا أمره الى الفريق راشد حسنى باشا واللواء زكريا باشا بالقدوم على رأس قوة مكونة من الآبين من المشاة والآى من المدفعية وآخر من السوارى ، وانضمت اليهم بعض الجنود التركية وفرقة من المعاونة واحتلوا أماكنهم فى مواجهة قوات الجنرال زمرمان ، وكانت مكونة من ثلاثين أورطة وثلاثين مدفعا وأربعة الآيات من الفرسان [٢] . ثم أصدر الأمير حسن أمره الى القائد المصرى راشد باشا بالاشتباك مع قوات العدو ، وقسم القائد المصرى قواته الى جناحين ، تولى قيادة الجناح الأيمن طه باشا والأيمن زكريا باشا ، وتعرض الجناحان لمقدمة جيش العدو فى ٢٦ يناير سنة ١٧٧٨ [٣] . ، وتبادلا اطلاق النار من الخامسة الى العاشرة صباحا ، اتضح بعدها أن قوات العدو كبيرة العدد ولا قبل للقوات المصرية عليها . فانسحبت من بازارجق الى قرية دربند بعد أن استشهد اللواء زكريا باشا وأصيب البكباشى مصطفى أفندى صبرى بجروح. وكان عدد الشهداء والجرحى يربوا على ٣٠٠ [٤] .

---

(١) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف حسن باشا) برقية من حسن باشا فى ٢٢ ١٨٧٧ (١٢ شعبان سنة ١٨٩٤ .

(٢) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف حسن باشا) برقية من حسن باشا الى مهردار الخديو فى ٢٧ يناير سنة ١٨٧٨ (٢٤ محرم سنة ١٢٩٥)

(3) F O, 65 Lord Augutus Loftus to the Earl of Derby Extract No. 157 St. Persbonrg Peb. 7-1878

(٤) محفظة ١٦٠ (ملف حسن باشا) برقية من حسن باشا الى مهردار الخديو فى ٢٧ يناير سنة ١٧٧٨ (٢٤ محرم سنة ١٢٩٥) .

وقد دون الفريق راشد حسنى قائد القوات المصرية ببازارجق تفاصيل ما دار فى تلك المعركة فى تقريره الذى أرسله إلى الخديو اسماعيل وهذا نصه :

« أحيط علم سيادتكم أنه من قبل كم يوم حصلت مناوشات جزئية مع العدو الذى جاء وتجمع فى قرة الياس وجاير أورمان الكائنة على بعد ساعتين بازارجق فلأجل استكشاف قوته أمس تاريخه صار إخراج قوة من العساكر المصرية الشاهانية مركبة من ثمانية طوابير ومقدار من السوارى وبطاريتين طوبجية وعندما تحركت أربع طوابير من هذه القوة من يسار قرة الياس والأربع الباقية من يمين جاير أورمان على طريق كلنجك هجم من عساكر العدو على جناحنا الأيسر قدر عشر طوابير وعشرة مدافع ، وعلى جناحنا الأيمن ثمانية طوابير وثمانية مدافع ، وصار تقسيم الأربع الآيات السوارى التى كانت موجودة مع هذه الطوابير على الجناحين ، ولو أنه صار امتداد المحاربة بشدة من الساعة الخامسة الى الساعة العاشرة ، ولكن للثبات والشجاعة التى أظهرتها عساكرنا اضطر العدو للتقهقر بعدما قتل من عساكره قدر أربعمائة نفر وجرح ثمانمائة. وقد عادت عساكرنا الى مراكزها . ولو أنه حضر اثنى عشر طابورا بيادة واثنى عشر مدفعا لامداد العدو ، ولكن لم تحصل محاربة نظراً لاقتراب الغروب وبما أن أصل مقصدنا هو استكشاف قوة العدو ، ومعرفة مقدارها ، فلمناسبة اتساع موقع بازارجق وكون قوتها هى الثلث بالنسبة لقوة العدو ، قد أصدرنا أمراً بأنحيازهم إلى قرية دربند . وأول ما أظهر البسالة فى هذه المحاربة سعادة اللواء زكريا باشا . وقد أصيب برصاصة فى ثديه الأيمن أثناء إعطائه الكوماندة اللازمة للعساكر ونال شرف ارتشاف كوثر الشهادة دو ستة يوزباشية وملازمون أومئة واحد وأربعون نفرا . ولا غرو أنه خلدوا أسمائهم وشهرتهم بصفحات التاريخ . وقد

تزينت صدور كل من القائمقام خورشيد بك بسمى واثنين يوزباشية وثلاث ملازمين وواحدوأربعون نفراً بنياشين الجراح وحق لهم الفخر والمباهاة بذلك. وبما أن الاقدام والشجاعة التى أظهرتهاعساكرنا المصرية الشاهانية فى هذه الواقعة من الأمور التى تستحق الذكر ، صار اخطار سعادتكم بإعلان هـذا النصر المبين على كافة آلايات الاوردطة مع كال الشكر (١)».

ونظرا لما أبدته القوات المصرية من بسالة فى تلك المعركة التمس عثمان باشا نجيب لواء الالآيين الثالث والرابع المشاة الغارديا مكافأة الضباط الذين خاضوا تلك المعركه وكذلك معركة روسجق ، فأنعم الخديو على الضباط الآتية أسماؤهم بالترقية تقديراً لبسالتهم واخلاصهم (٢) :

من الالآى الرابع المشاة للفرقة الأولى

المجموع	عدد		
	١	القائمقام حسين مظهر بك	الى رتبة أميرالاى
	١	البكباشى سليم عونى بك	الى رتبة القائمقام
	١	البكباشى محمود فؤاد بك	الى رتبة القائمقام
	٧	من اليوزباشية «لم تذكر أسماؤهم»	الى رتبة المعاون
	٤	من الملازم الأول «لم تذكر أسماؤهم»	الى رتبة اليوزباشى

(١) المجلة التاريخية المصرية ص ١١٣ (برقية رقم ١٦٤ فى ٧ تيموز سنة ٩٣ الموافق ١٩ يوليه ١٨٧٧ . تلغراف الى قيادة وارنة بالشفرة).

(٢) محفظة ٥٤ (معية تركى) وثيقة رقم ٢٩٤ تقرير من حسين كامل ناظر المالية إلى مهردار الخديو فى ١٠ ذو القعدة ١٢٩٤ (١٥ نوفمبر ١٨٧٧) .

المجموع	عدد	
	١٠	من الملازم الثانى ، لم تذكر أسماؤهم ، الى رتبة الملازم الأول
٢٤		

من آلاى المدفعية الغارديا (بطارية المدفعية كروب)

المجموع	عدد		
	١	البكباشى سليمان نجاتى بك	إلى رتبة القائمقام
	١	معاون الاورطة بدوى منسى بك	إلى رتبة البكباشى
	١	اليوزباشى محمد شفيق بك	إلى رتبة المعاون
	١	الملازم الأول على فهمى أفندى	إلى رتبة اليوزباشى
	١	الملازم الثانى حسن محبوب أفندى	إلى رتبة الملازم الأول
٥			

وفى خلال فترة الحرب أمر الخديو اسماعيل بتشكيل لجنة لجمع التبرعات لمعاونة جمعية الهلال الأحمر على أداء رسالتها الجليلة فى ميدان القتال ، وقام الخديو وكبار رجال الحكومة بالتبرع لتلك الجمعية ، ورد بعضها فى الوقائع المصرية (فى ١٦ سبتمبر سنة ١٨٧٧) وإليك بيانه [١] :

٠ —	قرشا	
—	٧٧١٥	الحضرة الفخيمة الخديوية

(١) الوقائع المصرية العدد ٧٢٧ فى ٩ رمضان سنة ١٢٩٤ (١٦ سبتمبر سنه ١٨٧٧) .

—	قرشا	
—	٥٨١٠	حضرة دولتلو محمد توفيق باشا ناظر الداخلية وولى عهد الخديوية المصرية .
٢٠	٣٨٥٧	حضرة دولتلو حسين باشا كامل ناظر المالية
٣٠	١٩٢٨	حضرة دولتلو شريب باشا ناظرالخارجية والحقانية
٣٠	١٩٣٨	سعادتلو خيرى باشا مهردار الجناب الخديوية الأعظم
٣٠	١٩٢٨	سعادتلو محمد زكى باشا خازندار الحضرة الخديوية
٣٠	١٩٢٨	سعادتلو راغب باشا ناظر الزراعة والتجارة »

ويقال بأن « ما جمع من ذلك أموالا طائلة لم يصل منها إلى الآستانة إلا نحو النصف [١] » . كما أقام الخديو اسماعيل امام قصره بالآستانة مستشفى كبير لمعالجة الجرحى والمرضى من جنود الجيش ، وكان يشرف عليها أطباء مصريون وكذلك وضع تحت تصرف نظارة البحرية العثمانية البواخر المصرية. محمد على والغربية والرحمانية وطنطا ودسوق والدقهلية والمحلة لمساعدتها فى نقل قوات الجيش والمهاجرين [٢] .

ونظراً لحاجة القوات العثمانية إلى القنابل فقد أمد الخديو اسماعيل تلك القوات بعشرة آلاف قنبلة . هذا عدا عشرين ألف قنبلة أخرى سبق أن أرسلها من قبل [٣] .

(١) اسماعيل سرهنك ـ حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٥٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية بالشفرة إلى كامل بك فى ٢٥ نوفمبر ١٨٧٧ (٢٠ ذى العقدة ١٢٩٤) .

بعد ذلك واصل الجيش الروسى ضغطه على مدينه بلونة ، واشتبك فى قتال مرير مع القوات العثمانية مدة ستة أيام متوالية من ٧ إلى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٧٧ ، ولم يستطع خلالها إلا الاستيلاء على معقل جريفتسا Grivitza فقط . وكان هذا النصر عديم الفائد لانه كلف الجيش الروسى ما يقرب من ١٦٫٠٠٠ رجل . ولم تكن هذه النتيجة بطبيعة الحال مشجعة للجيش الروسى على مواصلة التقدم والقتال ، خصوصاً وقد بدأ فصل الشتاء على الابواب وقد نصحت الحكومة(١) الالمانية القيصر الروسى بالانسحاب إلى رومانيا لتمضية الشتاء فيها ثم معاودة التقدم فى أوائل الربيع .

ولكن القيصر الروسى لم يشأ أن يضيع ثمرة مجهوداته الحربية وأن يتيح للقوات العثمانية فرصة تنظيم صفوفها وتحسين مواقعها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن توقف الحرب قد يكون فى صالح الدولة العثمانية ، وربما تدخلت الحكومة الانجليزية إلى جانب الحكومة العثمانية ، وأرغمت الحكومة الروسية على قبول نوع من الصلح دون أن تحصل الحكومة الروسية على نصر حاسم على القوات العثمانية . ولذا أصر القيصر الروسى على مواصلة الحرب فى الشتاء والاستمرار فى محاصرة بلونة ونتيجة لتشديد جوركو الحصار على بلونة ، واشتباكاتهم المتواصلة مع قوات المدينة من ١١ اكتوبر إلى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٧٧ أن استطاع قطع كل إتصال بين بلونة وبين مدينة صوفيا حيث يوجد محمد على على رأس قوات النجدة .

وفى نفس الوقت حاول سليمان باشا شغل قوات العدو ناحية طرنوه لتخفيف

---

(1) H.A. Malet, La politique Europeén jusqu'au Traité de Berlin 8171-1:78 Hist. général vol. XII ch. XII p. 435,

الضغط عن حامية بلونه . أما عثمان باشا قائد حامية بلونه فقد تحرج موقفه نتيجة للحصار الشديد الذى فرضه الروس على المدينة ، وللقتال المستمر والضغط المتواصل عليها حتى نفدت المؤنة عن آخرها . ولما أيقن بإستحالة وصول أية مساعدات من الخارج لإنقاذه ، حاول فى ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٧ الخروج من مأزقه يائساً مهما كلفه الأمر . وقد خرج من المدينة منتصراً فى أول الأمر ، ولكنه جرح فى المعركة ، واندفعت القوات الروسية إلى داخل المدينة ، فاضطر إلى إلقاء سلاحه بعد دفاع مجيد سجله له التاريخ .

وبالرغم من دفاع هذا القائد العظيم فقد حاكمته الحكومة العثمانية ونفته خارج البلاد .

وعندما اقترب فصل الشتاء سعى الخديو اسماعيل لدى الباب العالى لتركيز القوات المصرية الموجودة فى المناطق القريبة من موقع وارنه لعدم احتمالهم البرد [١] . وقد ووفق على هذا الطلب من حيث المبدأ [٢] . ونظرا لانتشار موجة من البرد المبكر أصيب ٤٠٠ من الجنود المصريين بنوبة برد شديدة ، فطلب الأمير حسن من القائد التركى محمد على باشا السياح للجنود المصريين بالعودة إلى وارنة فرفض القائد التركى ذلك بحجة أن موجة البرد لا تشتد إلا بعد شهر أو شهرين . فأصر الأمير حسن على العودة ونفذ رأيه دون موافقته . هذا فى نفس الوقت الذى كانت الحرب فيه قائمة على قدم وساق .

---

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا الى مهردار الخديو فى ٩ اكتوبر سنة ١٨٧٧ (٢ شوال ١٢٩٤) .

(٢) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية واردة من طلعت باشا إلى مهردار الخديو فى ١٩ اكتوبر ١٨٧٧ (٢ شوال ١٢٩٤) .

ولهذا يبدى الخديو اسماعيل أسفه على هذا التصرف الخاطىء من قبل الأمير حسن فيبعث بكتاب إلى الآستانة يقول فيه « إن عدم قيامه بهـذا الواجب وانسحابه من تلقاء نفسه بهذه الصورة وعودته إلى وارنة أمر لا يمكن تجويز وقوعه. ومن جهة أخرى فان احتجاجه بأن العساكر المصرية لا تحتمل البرد ليس فى محله ، حيث أن العساكر المصرية فى حرب القرم أمضوا مواسم الشتاء فى سباستبول وكوزلره وفى محاصرة سلسترة وفى جهة ارضروم . ومع ذلك لم تكن مهماتهم ولوازمهم كاملة كما هو الآن . ويطلب منه العودة إذا صدر إليه أوامر بذلك[1] .

وهذا التصرف من قبل حسن باشا إن دل على شىء فانه يدل على عدم تقديره للمسئولية كرجل من رجال الحرب ، واستخفافه بالقيادة التركية فكيف يجوز له سحب القوات المصرية من المناطق التى كانت القيادة التركية تعتمد فيها على سواعد المصريين للدفاع عنها. ولو أن حسن باشا كان قائدا للقوات المصرية ، إلا أن هذا المركز لا يجيز له بأن يأتى من الأعمال ما يتنافى مع الأوامر العسكرية الصادرة إليه من القيادة التركية .

وقد حدث قبل ذلك ان اصطدم الأمير حسن باشا بالقائد العام محمد على باشا وذلك لعدم تنفيذ الأمير حسن تعليمات القائد العام التركى بتتبع الفرسان المصريين لفلول الجيش الروسى المنسحب من Popkioj [2] .

---

(١) محفظة ٢٨ عابدين (تركى) برقية بالشفرة من الخديو إلى طلعت باشا فى ١٦ اكتوبر ١٨٧٧ (٩ شوال ١٢٩٤) .

(2) W.S.A. 1877 fasc, XXXVIII/183 Rapport du Consul général Monthong au Ministrère 1 des affaires Ftrang. No, Yarna le 23 Sept, 1877,

ويبدو لى أنه مما شجع الأمير حسن على هذا التصرف ماتلقاه من تعليمات والده الخديو اسماعيل بعدم إطاعة الأوامر التى تصدر إليه من الباب العالى بشأن وضع القوات المصرية تحت القيادة العثمانية مباشرة وضرورة بقائها فى مكان واحد تحت قيادته (١).

بل لقد دفع هذا التصرف سفير انجلترا فى الآستانة المستر لايارد إلى الاعتقاد بأن هذا التصرف من جانب الأمير حسن يدعوه إلى تصديق ما وصل إلى سمعه من الصدر الاعظم بوجود مفاوضات سرية بين الخديو اسماعيل والحكومة الروسية الغرض منها إبعاد والى مصر عن انجلترا وادخاله فى تحالف مع الحكومة الروسية. وإلا فكيف يفسر إنسحاب الأمير حسن إلى وارنه عندما هددت القوات الروسية بالتقدم نحو نهر لوم دون أمر من قائده التركى بحجة أنه لا يستطيع مواجهة الشتاء فى بلغاريا (٢).

ولكن الخديو اسماعيل يعلل قلة أهمية الدور الذى لعبته القوات المصرية فى تلك الحرب إلى غيرة القائد العام التركى محمد على باشا الذى لم يمنح الأمير حسن قيادة مناسبة ، فى تلك الظروف (٣).

ومما جعل السفير الانجليزى بالآستانة يميل إلى الإعتقاد بوجود مؤامرات

---

1 - F O. 87-2776 A.H. Layard to the Earl of Derby. No 45 Consntinople Jan. 11. 1878

(٢) المصدر السابق.

(3) F.O. 78-2 54 C Vivian to the Earl of Derby Political No 86 Cairo March 28. 1878.

تحاك بين الروسيا والخديو اسماعيل ، أنه علم منذ عدة شهور - أى فى أواخر عام ١٨٧٧ - بأن هناك اقتراحا يرمى إلى تعيين الأمير حسن أميرا لولاية بلغـــاريا الجديدة المستقلة استقلالا ذاتيا، على أن يقوم بدفع الجزية السنوية للباب العالى . وقد طلب منه أن يزكى هذا المشروع ويساعد على إخراجه إلى حيز التنفيذ لدى حكومته (١) .

وقد دافع الخديو اسماعيل أمام قنصل انجلترا الجنرال بمصر (فيفيان) ورد تلك الشائعات إلى ما يدبره له أعداؤه فى الآستانة وفى أوربا من مؤامرات وقال الخديو بأنه من الصعب عليه بعد أن تحمل عداوة الروسيا باخلاصه فى مساعدة السلطان فى أوقات الحرب ، بأن يتهم بتآمره مع الروسيا.فإذا كان لديه ميل نحو الروسيا ، كان من السهل عليه أن يرفض إرسال أية مساعدة حربيـة لتركيا بحجة الضائقة المالية ، ولن تجد أى دولة - باستثناء تركيا - خطأ فى هذا التصرف . ولكنه لم يتردد فى القيام بما هو مفروض عليـه من التزامات وواجبات كوال مخلص وكأمير مسلم إزاء الباب العالى.وأنه قد تحمل التهديدات الروسية والتحذيرات الفرنسية ، وبأنه قام بأكثر مما هو مطلوب منه .

وأبدى الخديو اسماعيل تخوفه للقنصل الانجليزى من أن تصب الروسيا جام غضبها على مصر فى أى شكل من الأشكال .وأضاف بأن الجنرال اجناتيف (سفير الروسيا بالآستانة) مطلع اطلاعا تاما على سياسته فى معارضة الفريق الذى يميل الى الروسيا فى الآستانة.ومدى ارتباط ذلك بسقوط محمـــود باشا نديم صنيعة الروسيا. وأن الخديو اسماعيل سبق أن نصح السلطان السابق عبد العزيز بأن

---

1 - F.O. 73 - 2779 A.H. Layard to the Earl of Derby No. 206 Secret Constantinople Feb, 9, 1878.

يتخلص من مستشاريه ذوى الميول الروسية ، وأن يرجع إلى التحالف التقليدى مع انجلترا ، ولكن هذا الحديث قد سمع خلسة ورفع إلى الجنرال اجناتيف بواسطة عيونه لدى البلاط العثمانى .

وأوضح الخديو اسماعيل بأنه لا يمكن أن يتآمر مع الروسيا ضد انجلترا وأنه أقرب ما يكون انجليزى المشرب ، وأن ميله إلى انجلترا مبنى على اقتناع أساسه التبصر والإخلاص ، وأن هذه السياسة التى يسير عليها هى بحق فى صالح مصر ، ولن ينحرف عنها . وقد عقب القنصل الانجليزى الجنرال على هـــذا الحديث فى خطابه الى حكومته بأنه يعتقد أن الخديو اسماعيل مخلص فيما يقول [1] .

ونظرا للموقع الهام الذى تحتله مدينة وارنة التى تتولى القوات المصرية الدفاع عنها بصفة أساسية، فى مواجهة قوات العدو الغازية، ونظرا لقلة عدد الجنود الموجودة بها ، فقد أرسل الأمير حسن إلى الخديو يشكو اليه ، ويصف الحالة السائدة فى المدينة وفى المناطق المجاورة لها ، فيقول « بأن موقع وارنة على جانب عظيم من الأهمية كما لا يخفى على أحد . أما بازارجق (وبها قوات مصرية أيضاً) فعبارة عن سهل متسع ، ومكشوفة ونقاطها متفرقة بعيدة عن بعضها . ومن البداهة أن العساكر التى بها لا تفى بحاجتها بالنسبة لسعة موقعها، لاسيما إذا ماحاول العدو محاصرة سلسترة ، فانه ـ مع وجود العساكر فى بازارجق ـ لا يستطيع أن يوجه جميع قواته إلى سلسترة ، بـل يضطر إلى سوق بعض قواتـه إلى بازارجق . وبذلك تنقسم قـواته إلى قسمين . وفى حالة ما إذا أراد العدو تخريب السكة الحديدية التى بين وارنة وشمنى لمحاصرة شمنى ، فانـه لن يتمكن من ذلك لوجود

---

2 - F. O. 78 - 2854 C. Vivian to the Earl of Derby Political No. 36 Cairo March 28, 1878,

العساكر فى بازارجق . وعدا ما تقدم فإن بازارجق بمثابة الخط الأول لموقع وارنة ، وإذا ماتعذر مقابلة العدو هناك (بازارجق) ترتد عساكرها إلى وارنة وفقا للقواعد الحربية وتنضم إلى قواتها حيث يجب هنا (وارنه) الثبات فى الدفاع ، ولذا فان موقع بازارجق فى غاية من الأهمية ويحتاج الآن ، وفى المستقبل مضاعفة حاميته، ولا يمكن الدفاع عن بازارجق ووارنه بحاميات قليلة . وقد كان جملة العساكر المصرية بميدان المعركة حتى يناير سنة ١٨٧٨ (٢١ أورطه) .

الفصل الثالث

التوسط الدولى وعقد معاهدة برلين

بعد أن اخترقت الجيوش الروسية البلقان ووصلت إلى ينى زغرة فى ١٥ يوليه سنة ١٨٧٧ واتخذت الطريق المؤدية إلى أدرنة ، أرسل وزير خارجية فرنسا الدوق دى كاز إلى سفيره بلندن المركيز دى هاركورت بأن يبلغ الحكومة الانجليزية بأن الوقت قد أصبح مناسبا للتوسط فى النزاع سواء على أساس عقد هدنة أو مؤتمر أو أى شيء آخر (١) . ولكن اللورد دربى أجاب بأن الوقت مازال غير مناسب للتدخل لأن أدرنة لم تهدد بعد . وبينما كان وزير خارجية الروسيا جورتشكوف وسفيرها فى لندن شوفالوف يميلان إلى توسط انجلترا فى الموقف ، نرى الجنرال أجناتيف سفير الروسيا بالآستانة والعسكريون الملتفون حول الامبراطور اسكندر يرغبون فى مواصلة القتال . (٢) أى أن الحكومة الانجليزية كانت لا ترغب فى التدخل إلا إذا هددت أدرنة ، لأن تهديد أدرنة التى تعتبر آخر معقل تركى ، معناه تهديد الآستانة. ولن تسمح أنجلترا للحكومة الروسية بذلك.

كما أن الرأى العام الروسى كان يميل فى ذالك الوقت إلى إنهاء الحرب ،

---

(1) D.D.F. ler serie vol.11 P. 19? Le Duc Décazes a M. Le Marquis d'Harcou › France a Londres No. 190 Paris 16 Juillet 1877

(2) D.D.F. ler serie vol. P. 193 Le Marquis d'Harcourt a M, Le Duc Décazes no. 191 Londres. 18 Juillet 1877,

ففى ٢٢ سبتمبر سنة ٧٧ ، أرسل القائم بأعمال السفارة الفرنسية ببطرسبرج ، إلى حكومته يبلغها بأن الحرب فقدت الكثيرين من مشايعيها فى الروسيا ، وأن الرأى العام الآن ينادى بضرورة الانتهاء منها بطريقة مشرفة ما أمكن ذلك .

ونظراً للخسائر الكبيرة التى منيت بها القوات العثمانية،وللموقف الحرج الذى تقفه قواتها فى ميدان القتال ، طلب الباب العالى توسط الدول الأوربية التى اشتركت فى مؤتمر الآستانة فى النزاع (١) .

وفى ذلك الوقت ،بالرغم من قسوة الشتاء وتراكم الجليدفى المضايق والممرات استطاع الجيش الروسى وعلى رأسه جوركو التقدم نحو الجنوب ، يجر مدافعه ويحمل قذائفه للوصول إلى مشارف Etropol والنزول على صوفيا ، وهزيمة الجيش العثمانى هزيمة كبيرة فى ٣ يناير سنة ١٨٧٨ ، وكذلك رفع الحصار عن مضيق شبقة كما القت قوة عثمانية تقدر بنحو ٣٢,٠٠٠ جندى كانت محاصرة أمام هذا الموقع منذ شهر أغسطس ، سلاحها فى ٩ يناير سنة ١٨٧٨ . وفى ١٦ يناير دخل جوركو Philippopoli ثم اندفعت الجيوش الروسية ناحية الجنوب وتجمعت حول أدرنه حيث بقى سليمان باشا وجيشه . وفى ٢٠ يناير سنة ١٨٧٨ تركزت جميع القوات الروسية المهاجمة حول المدينة ، ثم واصلت مقدمة الجيش الروسى التقدم إلى أن وصلت إلى Redeste على بحر مرمرة . وبذلك تمت هزيمة العثمانيين .

وقد استغل الصربيون هذه الفرصة فاستولوا على نيش وبيرو pirot كما

---

1 - M. A. Malet, La politique Europeene yusqu'au Traite' de Berlin (1871-1878) Hist. Gén. Vol. 111 p. 435 6

استولى أهل الجبل الأسود على ميناء أنتيفارى (بار) و Duleigne (١٠ إلى ١٩ يناير سنة ١٨٧٨) .

أما فى الميدان الاسيوى أو ميدان القوقاز حيث كانت تعمل الجيوش الروسية وتقدر بنحو ٦٠٫٠٠٠ مقاتل تحت قيادة الجنرال ميليكوف Melikof أمام القوات العثمانية تحت قيادة الغازى مختار باشا ، فقدزحف ميليكوف بقواته نحو مدينة قارص ، كما اتجه الجنرال درهوجاسوف Der Hongassof بقواته نحو مدينة بايزيد . وأخذت القوات الروسية الأخرى تهدد أردهان وباطوم . وفى ١٧ مايو سبة ١٨٧٧ استطاع الجنرال ميليكوف من الاستيلاء على مدينة أردهان وكذلك تمكن درهوجاسوف من إحتلال مدينة بايزيد فى ٣٠ أبريل سنة ١٨٧٧ وهزم العثمانيين فى درام طاغ فى ١٠ يونية سنة ١٨٧٧ وأخذت قوات ميليكوف تحاصر قارص وتهدد أرضروم .

وفى ذلك الوقت تقدم الغازى مختار باشا على رأس قوة مكونة من ٩٥ طابورا من المشاة و ٤٫٠٠٠ من السوارى و ٦٠ مدفعا وانتصر على قوات ميليكوف ودرهوجاسوف بجهات زوين فى ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٧ [١]. ونتيجة لهذا الانتصار اضطر مليكوف إلى الإنسحاب ورفع الحصار عن مدينة قارص. واكتفى الجنرال بالتحصن فى الأماكن التى استولى عليها ، والقيام بمناوشات خفيفة دون الاشتباك فى معارك كبيرة ، نظراً للخسارة التى منى بها واقلة عدد الجنود الذى تحت أمرته وانتظاراً للمدد المطلوب .

وفى أواخر سبتمبر سنة ١٨٧٧ أعاد الهجوم مرة أخرى بعد وصول المدد

---

(١) حقائق الأخبار ج ١ ص ٧٣٨

وتقابل مع قوات مختار باشا فى الآجه طاغ حيث دارت معركة حامية استمرت عدة أيام ، اضطر بعدها الجيش العثمانى إلى الإنسحاب إلى أرضروم ، وبذلك استطاعت القوات الروسية من محاصرة مدينة قارص حصاراً شديدا والاستيلاء عليها فى ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٧ بعد أن أسروا فيها على ما يقرب ١٧٫٠٠٠ جندى و ٣٠٠ مدفعا (١) . وبعد تلك الموقعة لم يستطع مختار باشا أن يتصدى لقوات ميليكوف ، والتجأ إلى مدينة أرضروم للتحصن بها مع فلول قواته ، واستمر يدافع عن تلك المدينة إلى إنتهاء الحرب .

بعد احتلال الروس لمدينة أدرنة فى ٢٠ يناير سنة ١٨٧٨ سافر الجنرال اجناتيف اليها لمتابعة مفاوضاته بشأن الهدنة (٢) . بعد أن قبلت الحكومتان الروسية والعثمانية فى أوائل يناير سنة ١٨٧٨ قبول مبدأ وقف القتال على أساس بقاء قوات الطرفين فى الأماكن التى تحتلها وقت إعلان الهدنة (٣) ، وأن تشترك الصرب والجبل الأسود فى محادثات الهدنة (٤) .

---

(١) المصدر السابق ص ٧٣٩ .

(2) D.D.F. 1er serie vol. II P. 237 Le Général Le Flô, Amb. de France à Petersbourg á M. Waddington: Ministre des Affaires Erangères. Petersbourg ; 24 jan. 1878.

(٣) المجلة التاريخية المصريه المجلد ٣ العدد ١ ص ١٥٤ برقية رقم ١٣٤٥ فى ٢٧ كانون الأول سنة ٩٣ الموافق ٨ ينساير ١٧٧٨ (تلغراف وارد من قيادة هزارغراد إلى فضلى باشا ومنه إلى قيادة بازارجق)

(٤) المصدر السابق ص ١٥٥ برقية رقم ٤٦٨٦ فى ٢٨ كانون الأول سنة ٩٣ الموافق ٩ يناير سنة ١٨٧٨ تلغراف من قيادة هزارغراد إلى فضلى باشا ومنه إلى قيادة بازارجق.

وبعثت الحكومة العثمانى بنامق باشا وسرور باشا الى قزانلق للمفاوضة فى شروط الصلح والهدنة معا، وذلك كشرط أساسى من قبل الروسيا لإعلان الهدنة ثم عززت الحكومة العثمانية مندوبيها بثالث هو الياور عزت بك . ، وقد طلب السلطان فى رسالة شخصية إلى امبراطور الروسيا بأن يأمر جنوده بالكف عن القتال حتى يتفق الطرفان على الهدنة ، فرفض ذلك إلا بعد إقرار شروط الصلح والهدنة (١) . حدث هذا فى نفس الوقت الذى تزحف فيه بعض القوات الروسية على أدرنة والبعض الآخر على الاستانة، فأصبح موقف الحكومة العثمانية فى غاية الخطورة، فوجدت الحكومة الانجليزية أن الوقت قد حان للتدخل فى النزاع والحيلولة بين القوات الروسية وبين الوصول الى الاستانة ، فاتفقت مع الباب العالى على إرسال الأسطول الانجليزى بالوقوف بالقرب من ميناء أزمير لحماية العاصمة التركية (٢) . وكان من سياسة االورد دربى ألا يتدخل فى المفاوضات الجارية بين الطرفين الروسى والعثمانى ، على أن يقوم بالاحتجاج على كل ما من شأنه أن يمس المعاهدات والمصالح الأوربية . (٣)

كما أن الكونت اندراسى وزير خارجية النمسا قد أوضح لحكومة بطرسبرج بأنه لا يعرف مدى قانونية أية معاهدة تبرم بين الروسيا وتركيا تتعلق بمسائل

---

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى مهردار الخديو فى ١٦ يناير سنة ١٨٧٨ .

(2) D.DF 1er serie vol. II P. 238 M. de Mody, chargé d'affaires de France à Consianti ople, à M. Waddington No. 233 Péra, 25 Jan. 1878.

(3) D.D.F, 1er serie vol. II P. 239 Le Marquis d'Harcourt à M. Waddington No. 235 Londres, 29 Jan 1878.

الشرق الادنى التى سبق أن نظمتها معاهدات دولية سابقة دون اشتراك الدول الاوربية المعنية بالامر، وإقترح عقد مؤتمر لحل المشكلات الحالية كأحسن وسيلة للوصول إلى هذا الهدف بينما كانت المانيا تعارض فى أول الامر أية فكرة ترمى إلى عقد مؤتمر أوربى [١] . وذلك خشية أن تتعارض المصالح المتضاربة للدول المشتركة فى المؤتمر، مما قد يؤدى إلى حرب أوربية عامة ، تذهب بما لألمانيا من مركز متفوق فى القارة الأوربية .

وقد إزداد الموقف خطورة عندما أحاطت القوات الروسية بجيش سليمان باشا فى فلبه ويقدر بنحو مائة طابور ، وبسقوط أدرنة (٢٠ يناير سنة ١٨٧٨) وتفرق باقى القوات التركية فى مناطق متباعدة ، فأحمد أيوب باشا بجورلى مع بضعة طوابير. ومحمد على باشا فى كليسا ببضعة طوابير أخرى ، وثروت باشاوأحمد مختار باشا فى بجتالجة (٢) .

وفى ٢٨ يناير سنة ١٨٧٨ أبرق طلعت باشا (القبوكتخدا) إلى الخديو اسماعيل ينبئه بالشروط السرية التى عرضها الغراندوق نيقولا فى قزانلق على مفاوضى الباب العالى لوقف اطلاق النار وهى (٣):

---

(1) D.D.F. ler serie vol. II P.241 M. de St. Vallier; Amb. de France à Berlin, a M. Waddington No.237 Berlin.30 Jan.1878

(٢) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى مهردار الجناب الخديو فى ٢١ يناير سنة ١٨٧٨ (١٧ محرم سنة ١٢٩٥) .

(٣) محفظة عابدين (ملف طلعت باشا) من طلعت باشا إلى مهردار الخديو فى أول صفر سنة ١٢٩٥ (٤ فبراير سنة ١٨٧٨)

« المادة الأولى : أن تعين حدود بلغاريا بحيث تمر هذه الحدود فى المناطق التى أغلب سكانها من البلغار وأن توضع فى شكل امارة ممتازة مكلفة بالويركو على شرط أن لا تقل حدودها عن الحدود التى أقرها مؤتمر الآستانة بأى حال ، وان تكون لها حكومة قوية مسيحية وعساكر وطنية ولا ترابط هناك بعد الآن عساكر سلطانية .

المادة الثانية : يتصدق على استقلال الجبل الأسود مع ضم الأراضى التى استولى عليها حربا على ان تحدد مستقبلا حدوده النهائية .

المادة الثالثة : التصديق على استقلال المملكتين (الافلاق والبغدان) أى رومانيا وان تعوض تعويضا كافيا بضم أراض جديدة اليها وكذلك التصديق على استقلال الصرب وتعديل حدوده .

المادة الرابعة : تمنح البوسنه والهرسك ادارة ممتازه بضمانات كافية على أن تسرى مثل هذه الاصلاحات فى جميع الولايات المسيحية فى البلاد العثمانية .

المادة الخامسة : تتعهد الدولة العالية بدفع النفقات الحربية التى اضطرت الدولة الروسية إلى انفاقها ، وتعوضها عما أصابها من أضرار . وفى حالة ما إذا لم تدفع هذه التعويضات والنفقات نقداً تسوى هذه المسألة فى المستقبل ، إما من ناحية الادارة وإما بطريقة أخرى فى مقابل ذلك .

المادة السادسة : يتداول جلالة السلطان الرأى مع صاحب الجلالة قيصر الروسيا فى أمر المحافظة على المصالح الروسية فى مضيق استانبول والبحر الأبيض (البوسفور والدردنيل) والبت فى هذا الموضوع .

«هذا وللدلالة على قبول هذه الشروط الأساسية ، يقوم المندوبون بالتوجه

إلى اوديسا أو سيواستيبول للتفاوض مع المندوبين الروس رأسا فى مقدمات الصلح .

«وعلى أثر اخطار القائد العام للعساكر القيصرية بقبول هذه الشروط الدولية بصورة رسمية ينظر فى أمر عقد الهدنة بين القوات المتحاربة فى ميدانين وتوقف الحركات العدوانية مؤقتا .

«وعلى أثر عقد الهدنة تصدر الاوامر إلى العساكر العثمانية بشأن إخلاء قلاع ودين وروسجق وسلستره فى الميدان الاوربى وإخلاء قلعة أرضروم فى الميدان الاسيوى ، وذلك للدلالة على أن الباب العالى قد قبل شروط الهدنة المذكورة ، وليكون إخلاء القلاع ضمانة مادية تؤيد الدخول فى مفاوضات الصلح . وعدا ذلك فإن للعساكر الروس الحق فى أن يرابطوا فى المواقع الحربية التى ستعين ابان عقد الهدنة بين الطرفين المتحاربين طيلة مدة المفاوضة [١]» .

وقد اعترض مندوبو الدولة العثمانية على المواد الخاصة ببلغاريا وبالتعويضات الحربية . ولكن الجانب الروسى أصر على قبولها بأكملها أو رفضها بأكملها . وأوضح بأن هذه الشروط قد وضعت قبل سقوط موقع بلونه ، ولا ينتظر تعديلها مطلقا فى هذه الحالة .

وفى تلك الأثناء تقدم الروس نحو الآستانة فوصلوا إلى فارشذيران وتبعد عن العاصمة التركية بنحو ٢٥ ساعة ، كما حاولت قوات روسية أخرى الاطباق على كليسا وسيلورى [٢] . فازدادت الحالة فى العاصمة التركية سوءا ، وعم

---

(١) المصدر السابق

(٢) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى مهردار الخديو فى ٤ فبراير ١٨٧٨ (غرة صفر سنة ١٢٩٥) .

الذعر وتدفقت سيول المهاجرين اليها تحت ضغط الجيوش الروسية الزاحفة ، فقلت الاغذية وندر وجود القمح والشعير ولم يستطع الاهالى الحصول على مايسد رمقهم إلا بشق الأنفس. وفى ذلك الوقت سارع الخديو اسماعيل بإرسال كمية كبيرة من القمح والشعير ومختلف الأطعمة لاسعاف العاصمة (١) .

وإزاء تقدم القوات الروسية السريعة دخلت سبع قطع من الأسطول الانجليزى بحر مرمرة ووقفت على بعد ١٥ ميلا تجاه الآستانة رغم إرادة الدولة العثمانية التى كانت تخشى من دخولها حتى لا تتخذ الحكومة الروسية من ذلك ذريعة لإحتلال العاصمة. ولكن لم تستطع الحكومة العثمانية أن تفعل أكثر من مجرد الاحتجاج الذى تقدم به قائد القلاع لمنطقة المضايق إلى قائد الاسطول الانجليزى (٢) .

وانضم إلى السفن الانجليزية السبع سفينتان نمساويتان . ولكى يبرر الباب العالى موقفه أمام الحكومة الروسية أرسل باحتجاج إلى الحكومة الانجليزية على دخول أسطولها منطقة المضايق بما يتنافى مع العهود والمواثيق الدولية. وفى نفس الوقت أرسل برقية اعتذار إلى الحكومة الروسية عن دخول السفن الانجليزية بحر مرمرة ، حتى لا يفسر دخولها على أنه كان بناء على طلب الدولة العثمانية واستدعائها (٣). كما صرح اللورد دربى فى مجلس اللوردات البريطانى فى ١٤

---

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى مهردار الخديو ٩ فبراير ١٨٧٨ .

(٢) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى مهردار الخديو فى ١٣ فبراير ١٨٧٨.

(٣) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى مهردار الخديو =

فبراير سنة ١٨٧٨ بأن وجود الأسطول الانجليزى أمام الاستانة لا يعتبر فى مقابل دخول القوات الروسية تلك المدينة (١) .

ولكى لايزداد الموقف تعقيداً أمرت الحكومة الانجليزية اسطولها بالرسوفى مياه بروسه على بعد أربعين أو خمسين ميلا من الآستانة حتى لا تتخذ الحكومة الروسية من جوده قريبا من العاصمة حجة للاستيلاء عليها (٢) . وفى نفس الوقت تعهدت الحكومة الروسية لانجلترا بألا تحتل الساحل الاسيوى لبحر مرمرة (٣) .

وقد وافقت الحكومة العثمانية على عقد مؤتمر أوربى فى مدينة بادن بادن ، وعينت الحكومة الانجليزية السير هنرى اليوت والمسيو لايارد Layard مندوبين عنها (٤) . وكذلك قبلت حكومة الآستانة عقد الهدنة بالشروط التى فرضتها الحكومة الروسية عليها ، وهذا نصها : «كتاب من حسن باشا إلى أعتاب ولى النعم (الخديو اسماعيل) .

= فى ١٤ فبراير ١٨٧٨ (١٢ صفر ١٢٩٥).

(1) D.D.P, ler serie vol. II p. 257 Le Marquis d'Harecurt, à M. Waddington No. 247 Londres, 14 Feb. 1878.

(٢) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى مهردار فى ١٩ فبراير ١٨٧٨ (١٧ صفر ١٢٩٥).

3 - D.D.P. ler serie vol. II p. 257 Le marqis d'Harecurt M. Waddington No. 254 Londres, 21 Feb. 1878.

4 - D.D.P. ler serie vol. II p. 269 M. Waddington aux Representants des France à l'Etrangère. paris, 7 mars 1878.

«كنت عرضت فى عريضتى التى رفعتها إلى والى النعم فى ١٤ صفر سنة ١٢٩٥ . أن مواد عقد الهدنة الاساسية التى أمضيت لم ترد بعد . وبعد هذا التاريخ ارسلت لنا نظارة الحربية مع خطاب منها نسخة من ترجمة عقد الهدنة التى تمت بمعرفة القواد العسكريين الذين انتخبوا من قبل مفوضى الدولة العلية والروسية ، فقد طلب منا فى الخطاب أن نقوم باجراء المواد الخاصة بموقفنا هنا طبقا لأحكام المواد المندرجة بها ، وعليه الغيت الحدود التى اقمناها قبلا باتفاقنا مع الجنرال زمرمان قائد عساكر الروس الموجودة فى بازارجق وترك بين حدودنا وحدود الروس منطقة مسافة ٥ كيلو مترات ، وحيث أن خطنا الفاصل يبتدىء مما يليها إلى ناحيتنا، ويمتد خط الروس الفاصل على خط مستقيم من بالجق إلى بازارجق أى مما يليها إلى ناحيتهم وفقا لشروط عقد الهدنة. أما الحالة هنا فنظراً لأن العساكر ستخلى سلسترا وروسجق على نحو ما قدمته قبلا وستصل إلى هنا اليوم أو غدا جميع عساكر سلسترا وطوابير روسجق العشرة فستربوا الطوابير التى ستوجد هنا على خمسين طابورا ، ومن البداهة أن الحالة هنا ستسوء بوجود هؤلاء العساكر وذاك العدد العظيم من المهاجرين وبما أنى فهمت من البرقية السامية التى سبق أن تكرمتم بإرسالها إلى عبدكم بناء على ما سبق عرضه أنه فى حالة ما إذا قبل المهاجرون الذين يريدون الهجرة إلى مصر أن يعملوا فى فلاحة الارض فإن من المناسب إرسالهم . فانى عملا بالامر العالى قد أرسلت إلى مصر على الباخرة الفيوم ٥٠٧ مهاجراً من مهاجرى قرى طرنوه وهزار غراد وبازارجق . كما أعدت على الباخرة نفسها بعض أثقال المدفعية التى لا لزوم لها ونحو من ٦٠٠ نفر من العساكر المرضى . أما كيفية معاملة هؤلاء المهاجرين فإنها تتوقف على ارادة ولى النعم . ونظراً لظهور الجدرى والحمى التيفوسية فى بعض الأهلين قد نصبت لهم خيام فى مكان

بعيد عن البلدة مخافة سريان المرض إلى العساكر ، وعين لهم الأطباء لمعالجتهم واتخذت الأسباب والوسائط الصحية لمنع إنتشار المرض . إلا أنه نظراً لازدحام الناس وتزايدهم بالمهاجرين الوافدين فإن من الملحوظ أن ينتشر المرض . ولذا فانى أرى من واجب الذمة أن أعرض الموقف من الآن ، وها انى قد عرضت الحالة الراهنة ، وأنى التمس دوام وبقاء عطف ولى النعم على عبده وعلى كل حال الأمر والفرمان فى هذا الشأن لحضرة من له الأمر [1]». ١٨ صفر سنة ١٢٩٥ .

العبد

حسن

(١) محفظة ٥٥ (معية تركى) وثيقة ٣٩ من حسن باشا إلى اعتاب ولى النعم الخديو اسماعيل ١٨ صفر سنة ٩٥ (٢٠ فبراير سنة ١٨٧٨) .

ترجمة شروط الصلح المرفقة بالوثيقة

« بما أن حضرتى صاحبى الدولة سرور باشا ونامق باشا مفوضى الباب العالى قد أبديا موافقتهما على قبول الأسس التى وضعتها الدولة الروسية لعقد الصلح بين الطرفين المتحاربين بناء على التكليف قد أبان الواقع من جانب الباب العالى القائد العام للجيش الروسى أنه على استعداد لتوقيف الحركات العسكرية وتعيين من قبل صاحب الفخامة القائد العام للجيش الروسى للمفاوضة فى عقد الهدنة الجنرال ثابوفويجسكى رئيس أركان حرب الجيش المحارب وأحد جنرالات المشاة والياور الحربى للامبراطور والجنرال لوجسكى الماجور جنرال فى المعية الامبراطورية ومعاون الجنرال ثابو فويجسكى وتعيين من قبل مفوضى الباب العالى بنفس الغرض حضرة صاحب السعادة الأركان حرب نجيب باشا وحضرة صاحب السعادة المير لواء الأركان حرب عثمان باشا وقد قرر حضرات المذكورين بما لهم من الرخصة الكاملة التى يحملونها الشروط الآتية :

« أولا : عقد هدنة بين القوات العسكرية الروسية والصربية والرومانية وبين قوات الدولة العلية العسكرية ، على أن يظل حكم هذه الهدنة نافذا طيلة مدة المفاوضة فى الصلح حتى تأتى بنتيجة حسنة أو تنقطع المفاوضات . وفى حالة ما إذا انقطعت المفاوضات يتحتم على الطرفين المتحاربين أن يحددا اليوم والساعة اللذين سيعودان فيهما إلى القتال وأن يبلغا فسخ عقد الهدنة قبلها بثلاثة أيام . وهذه الأيام الثلاثة تبدأ من الوقت الذى يبلغ فيه أحد الطرفين إلى الطرف الآخر الأمر الذى يتلقاه من رئيسه وستطلب الدولة الروسية من الجبل الأسود أن تكف عن القيام بالحركات العسكرية وأن توافق على شروط الهدنة التى تقررت مع

،الدولة العليةوعلى الدولة العلية أيضا أن تكف عن القيام بالحركات العسكرية ضد الجبل الاسود .

ثانياً : تكون أحكام شروط الهدنة نافذة المفعول إعتبارا من تاريخ قبولها والتوقيع عليها،وعلى الطرفين المتحاربين ايراد الغنائم التى استولى عليها عساكرهما الذين يكونون قد اجتازوا الخط الفاصل الموضح فيما يلى بعد الوقت المذكور وأن تنسحب عساكرهما إلى الوراء .

ثالثاً : حيث أن عساكر الدولة العلية ستخلى قلاع ودين ور وسجق وسلستره المشروط اخلاؤها فى نص المصالحة فإنها ستخلى أيضاً بلفرادجق وهزار غراد وحاجى اوغلى وبازارجق . وعليه فقط تعيين الخط الفاصل بين عساكر روسيا وصربيا . رومانيا وبين العساكر العثمانية على نحو ما يأتى : يمر الخط الفاصل من بلجق وحاجى اوغلى وبازارجق فى خط مستقيم ويمتد إلى هزار غراد وتترك قبالة هذا الخط منطقة حياد عرضها خمسة كيلو مترات . ثم يمتد هذا الخط الفاصل من هزار غراد إلى أسكى جمعة إلى عثمان بازاى حيث ينتهى هناك أى فى فازان . وتقيم عساكر الروس فى هذه الجهات وتكون منطقة الحياد إلى مسافة ١٥ كيلو مترات فيما يلى الخط المذكور والخط الفاصل الذى يلى ذلك يكون على إمتداد أنهر مردان ودلى قامجى وبوغاز دره ويمر من أوغلانلى كوبى وحاجى دره إلى ميسورى ومنطقة الحياد التى عرضها ٥ كيلو مترات تمتد على طول شاطىء الأنهر المذكورة حتى البحر ومن ساحل البحر حتى بحيرة درفوز . ولكى يسهل جلب المؤنة للعساكر الروس ولا يدخل فى ذلك جلب المهمات العسكرية ستقيم عساكر الروس فى بوغاز ومديه على ساحل البحر الأسود . ويمر الخط الفاصل بين بحيرة ترتوس من جشمة جك وفارجالى فى خط مستقيم ويقطع المنطقة

الحديدية مارا من الشاطىء الأيمن لنهر قره مو ويمتد على طولها حتى مرمره ، وتنسحب العساكر العثمانية من خط الاستحكامات وتخلى درقوس وخادم كوبى وبيوك جكمجه ويمر الخط الفاصل فى هذه الجهة كوجك جكمجه بطريق ايابورجى واد بينار وينتهى عند ساحل البحر الأسود . وتظل الاراضى التى بين خطى العثمانيين والروس على الحياد ما دامت الهدنة قائمة لا تقام استحكامات جديدة ولا تزاد أو ترمم الاستحكامات الموجودة فى الحاضر . أما الخط الفاصل من بحر مرمرة فإنه يبدأ من كيلبولى وناركوى إلى أورجه ويمر على طول ساحل بحر ايجه وينتهى عند دره أغاج ومكرى . وهذه النطقة أى مكرى داخله فى الخط الفاصل . ثم خط فاصل آخر يبدأ من المكان الذى قسمت فيه المياه المنصبة فى نهر مسريج على أن تدخل ضمنها اردا والجداول المنصبة فى بحر ايجه حتى جمعه . ثم يمر على الخط الذاهب إلى كوسنديل وأورانيه وبلانيتا غولياق ونسليجه وبلانيتا غرابا ستنجه ولويج حتى حدود سنجق يكنى بازار وينتهى فى صربيا مارا من النقطة المسماة قوبانيك لانينا ، وتقيم عساكر الروس أو عساكر الصرب فى جمعة وكوسنديل ، وكوساندیل واورانية كما تقيم العساكر العثمانية فى برشتنه . أما الخط الفاصل بين عساكر الدولة العثمانية والجبل الأسود فتعينه لجنة خاصة من المفوضين الذين ستوفدهم الدولة العلية والجبل الاسود على أن يشترك فى هذه اللجنة أحد المندوبين الروس . وبمجرد إعلان هذه الشروط تتشكل لجنة مكونة من ضباط أقرب قوات الجيش المتحاربين إلى الحد الفاصل ، تكون مهمة هذه اللجنة تحديد الخط الفاصل بين جيشى الدولتين المتحاربتين من غير ما أضاعه للوقت . والخط الفاصل الذى لا يوجد بجواره قوات عسكرية يسير فى إتجاه الحدود الطبيعية المبلغة للجيش والمدونة بعاليه ، والحد الفاصل الذى سيعمل من جمعة إلى حدود لواء يني بازار - بطريق ايورانية - وحدد فى محله بمعرفة لجنة

ومكونة من مندوبى القوات السلطانية والعربية ويشترك معها مندوب روسى ،

رابعاً : تنسحب العساكر العثمانية من النقاط المحصنة المذكورة فى البند الثالث وترتد بأسلحتها ومهماتها الحربية وأدواتها القابلة للنقل إلى الجهات الآتى بيانها :

تنسحب القوات السلطانية من ودين وبلغرادجق عن طريق مضيق سان نيقولا إلى آق بلانقة ونيش وبسكو فحه ، وبها أن تختار الشخوص إلى الجهة التى تراها أقرب للوصل إلى السكة الحديدية أو أن تنسحب عن طـــريق برشته . والعساكر السلطانية الموجودة فى روسجق وسلستra وحاجى اوغلى وبازارجق وهزار غراد تنسحب إلى وارنه أو إلى شمنى على نحو ما يقرره القواد العثمانيون . وتأخذ العساكر العثمانية معها المهمات الحربية التى باطيرى أو تودع عند الادارة العسكرية الروسية . وإذا اختير الشق الثانى ينظم بها كشفا ذا نسختين يوقع عليهما وتحافظ الادارة العسكرية على ما احتواه الكشف وإلى حين عقد الصلح. أما المؤنة القابلة للتلف فتباع أو تترك للادارة العسكرية الروسية بالثمن الذى يتفق عليه ولا تمس أموال الأهالى . وتخلى القلاع والنقاط المحصنة المذكورة آنفا فى خلال سبعة أيام على الأكثر إعتبارا من يوم استلام الأمر الذى يصدر من قائد المنطقة .

خامسا : تنسحب العساكر العثمانية والسفن الحربية من بلدة سنته خلال ثلاثة أيام إذا لم تحل الثلوج دون ذلك ، وتزيل الادارة العسكرية الروسية جميع المواقع الموجودة فى نهر الطونة وتسمح فى سير السفن فيه على أن يكون لها حق الاشراف على السفن التى تعمل فى الملاحة .

سادساً : عند إمضاء هذه الشروط إذا وجد موظفون مدنيون للدولة العلية فى الولايات التى تحتلها العساكر الروسية أو عساكر حلفائها يظل هؤلاء الموظفون مكانهم يوطدون الأمن بين الأهالى ويحافظون على النظم وينفذون رغبات القواد العسكريين الروس على قدر المستطاع .

سابعاً : تحافظ القوات العسكرية الروسية على السكك الحديدية الواقعة فى المناطق التى تحتلها مثلما تحافظ على أموال الأهالى ، وتكفل حرية العمل فى جميع هذه الخطوط وتخول الدولة العلية لشركات السكك الحديدية حق تيسير قطاراتها على الخطوط العثمانية والخطوط التى بيد الادارة العسكرية الروسية جميعها . وعلى أن يكون نقل البضائع والركاب حرا . إلا نقل المهمات العسكرية الحربية والجنود بين الخطوط الفاصلة فهو ممنوع . والسكك الحديدية الواقعة فى الجهات التى يقيم فيها جيشا الطرفين تكون تحت اشراف الادارة العسكرية التابعة لكل جيش من هذين الجيشين .

ثامناً : يفك الباب العالى الحصار عن موانىء البحر الأسود طيلة مدة الهدنة ولا يمانع فى دخول السفن إلى هذه الموانىء .

تاسعاً : جرحى ومرضى العساكر العثمانية التى تظل فى المناطق المحتلة من قبل القوات الروسية والصربية والجبل الأسود تتكفل الدولة الروسية وحلفاؤها بالمحافظة عليهم . وإذا كان فى هذه المناطق أطباء عثمانيون ، تولوا معالجتهم وسوف لا ينظر إلى الجرحى والمرضى كأنهم أسرى . إلا أنه لا يجوز نقلهم إلى مكان آخر قبل استحصال تصريح بذلك من قواد الدولة الروسية وحلفائها العثمانيين تبدأ الهدنة فى الساعة السابعة من مساء اليوم الواحد والثلاثين من شهر كانون الثانى (يناير) . أما المهل الأخرى فإنها تقرر فى متن شروط الهدنة

«(والتفصيلات) الخاصة بالمواقع الحربية الموجودة بالأناضول ستقرر بواسطة المفوضين الذين سيعينهم القائد العام للجيش الروسى والدولة العلية . وسيفاد قائد الجيش الروسى بالأناضول برقيا عن تاريخ بدأ الهدنة فى المواقع الحربية فى الروم إلى [1]».

امضاءات

اؤيس . زيوفوجنسكى عثمان نجيب

وبعد توقيع الحكومة العثمانية على شروط الهدنة أرسل حسن باشا قائد القوات المصرية بوارنة إلى والده الخديو اسماعيل يخبره بأنه لم يعد لبقائه وجنوده بوارنة أية فائدة بعد توقيع الهدنة ، ويطلب منه أن يسمح له بالرحيل إلى الآستانة [2] . أى أن حسن باشا أراد أن ينتهز هذه الفرصة للانسحاب من ميدان القتال والعودة إلى مصر ، مع أن الموقف ما زال معلقا ولم يصل الطرفان التركى والروسى إلى اقرار شروط الصلح بصفة نهائية . بل ربما أدى تدخل انجلترا إلى استئناف القتال من جديد .

وبناء على ذلك أرسل الخديو اسماعيل برقية بالشفرة إلى طلعت باشا (القبوكتخدا) بالآستانة يحثه على السعى لدى رجال الحكومة العثمانية للحصول

---

(١) محفظة ٥٥ (معية تركى) من حسن باشا إلى أعتاب ولى النعم الخديو اسماعيل . وثيقة رقم ٣٩ فى ١٨ صفر سنة ٩٥ (٢٠ فبراير ١٨٧٨).

(٢) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف حسن باشا) برقية من حسن باشا إلى مهردار الخديو فى ١٤ مارس ١٨٧٨ .

على موافقتهم على عودة الجنود المصرية إلى بلادهم بعد أن تم توقيع الصلح فى ١٥ مارس سنة ١٨٧٨ . وأوصاه بأن يكون ترحيل جنود المشاة أولا وتتبعهم جنود المدفعية والسوارى [١] .

وقد شكا الخديو اسماعيل إلى فيفيان (قنصل انجلترا الجنرال بمصر) من استمرار حجز القوات المصرية بوارنه كالمساجين (على حد تعبيره) "boxed up like prisoners" [٢] . وأخبره بأن الأمير حسن يعمل على ترحيل المواد الحربية والمعدات العسكرية بالتدريج منعا من احتمال حجزها هناك ، وبأنه سر من موافقة الأمير حسن على اقتراح الباب العالى بإرسال القوات المصرية إلى سالونيك ، وأن هدفه من ذلك إبعاد القوات المصرية عن خطر الدفن فى التراب [٣] .

وقام القنصل الانجليزى الجنرال (فيفيان) يلفت نظر حكومته بما أبداه الخديو من شك بسبب حجز القوات المصرية بتركيا فى تلك الفترة الحرجة التى تمر بها العلاقات الانجليزية الروسية ، وعجز مصر عن الدفاع عن نفسها فى حالة غياب تلك القوة . وبما أظهره الخديو من تلهف شديد بعودة هؤلاء الجنود

---

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين برقية بالشفرة من الجناب العالى إلى طلعت باشا فى ٢١ مارس ١٨٧٨ .

(2) F. O. 78-2854 C. vivian to the Earl of Derby. Political No. 96 Confidential Cairo March 30 1878.

(٣) المصدر السابق .

إلى مصر [١] .

أى أن الخديو اسماعيل حاول استغلال الموقف الدقيـــق الذى تعرضت له العلاقات الانجليزية الروسية ، فى الاستعانة بمساعدة الحكومة الانجليزية على سحب قواته من الأراضى العثمانية بحجة الدفاع عن مصر إذا ما حاولت الروسيا الاعتداء على بلاده .

وفى ذلك الوقت ترددت بعض الأسئلة فى الأوساط الانجليزيه عن موقف مصر فى حالة قيام حرب بين انجلترا والروسيا ، واحتمال وقوف الدولة العثمانية على الحياد أو التحالف مع الروسيا؟

وقد أجاب شريف باشا ناظر الخارجية المصرية قنصل انجـــلترا الجنرال بمصر عن هذا التساؤل بقوله بأن الخديو اسماعيل لن يساعد الروسيا تحت أى ظرف من الظروف ، وأخبره بصفة سرية (أى الخديو) بأنه على استعداد لتجهيز ٤٠ ألف مقاتل إذا كانت ذات فائدة للحكومة الانجليزية ـ للقتال إلى جانب القوات الانجليزيه ضد الروسيا .

واصل الخديو إسماعيل طلبه فى ضرورة عودة قواته إلى مصر نظراً للضائقة المالية الشديدة التى تعانيها البلاد [٢] . وقد وافقت الحكومة العثمانية أخيراً على ذلك . وفى ٤ أبريل سنة ١٨٧٨ أبلغ الخديو إسماعيل فيفيان بأن الأمير حسن

---

(1) F.O 78-2854 C. Vivian to the Earl of Derby Political No. 96 Confidential Catre March 30th 1878o

(٢) محفظة ٢٨٥ عابدين برقية بالشفرة من طلعت باشا إلى جناب الخديو فى ٢ ابريل ١٨٧٨ .

قد نجح فى الحصول على تصريح من الباب العالى بعودة القوات المصرية على دفعات بحيث تكون جنود الفرسان والمدفعية آخر الدفعات التى تغادر الأراضى التركية. وقد وصلت إلى الآستانة ١٧ أورطه قادمة من وارنة . وقد سر الخديو من المهارة والذكاء اللذين أظهرهما الأمير حسن فى معالجته لموضوع سحب الجنود [١] .

وقد حاول الباب العالى بعد أن وافق على عودة الجنود المصرية حجز الأسلحة والمدافع المصرية لشدة حاجته اليها فغضب الخديو اسماعيل لهذا الطلب فأرسل بتعلياته الى طلعت باشا (القبوكتخدا) بأن يوضح الصدر الأعظم بلطف، ولكن بلهجة حازمة بأن من المستحيل أن يقبل الخديو هذا الطلب ، وذلك لعدم وجود أسلحة تفيض عن حاجته . وطلب منه بأن يبلغ الصدر الأعظم بأنه إذا كان الباب العالى فى حاجة لتلك الأسلحة لتزويد قواته بها للاشتراك فى حرب متوقعة بين انجلترا وروسيا ، فمن المحتمل كثيراً أن تكون الحكومة الانجليزية على إستعداد لإمداده بالأسلحة والعتاد اللازمين لهذا الغرض .

وعندما اختلفت الحكومة العثمانية فى حجز الأسلحة والمعدات المصرية لجأت إلى حيلة أخرى ، فأبرقت إلى الخديو اسماعيل مبدية رغبتها فى بقاء القوات المصرية التى لم تبحر بعد إلى مصر فى الوقت الحاضر . فزاد عجب الخديو اسماعيل وقلقه لهذه الرغبة وطالب حسن باشا بالسعى لإرسال باقى القوات المصريه فى أقرب وقت مستطاع .

---

1 - F.O. 78-2854 G. Vivian to the Marquis of Salisbury. Political No. 105 Confidential Cairo April 4. 1878.

ويبدو من تصرفات الخديو اسماعيل فى ذلك الوقت بأنه لا يرغب مطلقا ـ نظراً لتحرج الموقف فى الشرق الادنى فى أن يترك أيه قوات مصريه معطلة فى الاراضى التركية أو تحت إمرة الباب العالى (١) .

وما أن حصل الامير حسن على الموافقة بعودة الجنود المصريه إلى أرض الوطن ، حتى أسرع بارسال الدفعة الاولى إلى مصر ، فأبحرت البواخر المصرية ؛ الدقهلية ومحمد على والمحلة قاصدة الاسكندرية فى ٥ ابريل سنة ١٨٧٨ تحمل ثلاث أورط مصرية واحدة من المشاة وبعض الانفار من سلاح المدفعيـة (٢) . وفى ١٦ ابريل سنة ١٨٧٨ غادر الامير حسن الاستانة فى طريقه إلى الاسكندريه على الباخرة المحروسة بعد أن أعاد جميع الجنود المصرية إلى ديارهم (٣) .وقبل مغادرة الآستانه بيوم واحد تناول طعام الغذاء مع السلطان عبد الحميـد ، حيث وجد ترحيبـا من لدنه ، كما لمس فى حديث جلالته شعورا طيبا نحو الخديو اسماعيـل . كما استدعى السلطان بعض الضباط المصريين وأنعم عليهم بالاوسمة تقـــديراً لمجهوداتهم الحربية (٤) . وبعد عودة جنود الحملة ، أصدر الخديو أمره بالإنعام

---

(1) F.O. 78-2854 C Vivian to the Marquis of Salisboury . Political no. 114 Confidential Cairo april 6. 1878

(٢) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف حسن باشا) برقية من حسن باشا إلى مهردار الخديو فى ٥ ابريل سنة ١٨٧٨ .

(٣) محفظة ١٦٠ عابدين (ملف حسن باشا) برقية من حسن باشا إلى مهردار الخديو فى ١٦ ابريل سنة ١٨٧٨ .

(4) 73-2854 C. Vivian to the Marquis of Salisboury. Poltical. no. 120 Confidential Caire April 13 1878.

على جميع أفرادها من ضباط وجنود بعلامات الامتياز والنياشين (١) . كما منحوا أجازات بعد وصولهم مباشرة إلى أرض الوطن فعادوا إلى قراهم وبيوتهم (٢) .

الدعوه لعقد مؤتمر برلين وتوقيع معاهدة سان استفانو

بينما كانت الدول الاوربية الكبرى مثل ألمانيا وفرنسا والنمسا وانجلترا تتبادل الرسائل بشأن عقد مؤتمر لتسويه شئون البلقان ، كانت المفاوضات تجرى بين الجانبين الروسى والتركى لعقد معاهدة الصلح بسان استفانو التى اتخذتها قيادة الجيش الروسى مقرا لها بعد توقيع الهدنة . وكان يمثل الحكومة التركية فى المفاوضة رأفت باشا ناظر الخارجية التركية وسعد الله بك سفير تركيا فى برلين ، وعن الجانب الروسى الجنرال اجناتيف ونيلدوف . وفى ٣ مارس سنة ١٨٧٨ اضطر المندوبان العثمانيان إلى التوقيع على معاهدة سان استفانو سرآ دون علم الدول الاوربية وتألفت هذه المعاهدة من ٢٩ مادة تتلخص فيما يلى :

١ - ازدياد رقعة أراضى الجبل الأسود إلى الضعف ، مع ضم مينائى أسبيزا وأنتيفارى (بار) اليها .

٢ - تأخذ الصرب لواء نيش ومنح رومانيا الاستقلال مع ضم جهات دوبرا ويجة اليها بدلا من بسارابيا التى ضمت إلى الروسيا .

٣ - أن تعامل بلغاريا معاملة الولاية الممتازة وتمتد حدورها من نهر

---

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٥٣ .

P.O 78-2785 A. H Layard to the Marquis of Salisboury Political No. 132 Cairo April 15. 1878.

الدانوب شمالا إلى بحر الأرخبيل جنوبا ، وتسكنها عناصر كثيرة غير بلغارية . بحيث لا يصبح للدولة العثمانية بالقارة الأوربية سوى البوسنة والهرسك والبانيا وأبيروس وسلانيك وفاليجولى والآستانة .

٤ ـ أما فى الميدان الآسيوى فتستولى الروسيا على قارص وارضهان وباطوم وبايزيد . وأن تدفع الحكومة العثمانية غرامة حربية قدرها ١,٤١٠,٠٠٠,٠٠ روبل (١) (٢٤٥,٢١٧,٣٩١ ليرة عثمانية) .

وقبل أن يصل إلى علم الحكومة الانجليزيه نبأ توقيع تلك المعاهدة أدلى اللورد داربى بتصريح فى منتصف مارس سنة ١٨٧٨ بأنه يجب أن يكون مفهوما أن كل بند من بنود المعاهدة التى ستوقع بين الحكومتين الروسية والعثمانية ، أن يعرض على مندوبى الدول الأوربية فى المؤتمر لاللتصديق عليه ولكن للنظر فيه.

ولم يصل إلى علم الحكومة الانجليزية نبأ توقيع المعاهدة إلا فى ٢٣ مارس أى بعد انقضاء ثلاثة أسابيع على توقيعها (٢) . وقد علق اللورد بيكونزفيلد على إبرام تلك المعاهدة فى مجلس اللوردات البريطانى فى ٨ إبريل سنة ١٨٧٨ بقوله (٣):

« ان معاهدة سان استفانو قد قضت نهائياً على ما يعرف بتركيا الأوربية ومحت الامبراطورية العثمانية من أوربا » .

ولذا اشترطت الحكومتان الانجليزيه والفرنسية لتلبية الدعوة التى وجهت اليها لعقد مؤتمر برلين شروطا خاصة . ففرنسا أعلنت أنها لن تشترك فى المؤتمر إلا إذا تلقت توكيدات رسمية بأن أعمال المؤتمر ستقتصر على المسائل التى نتجت

---

(1) Medlicot : The Congress of Berlin and after P. 11

(2) Buckle, The Life of B. Disraeli, vol 11 P. 1131

(٣) المصدر السابق ص ١١٢٠ .

عن الحرب التركية الروسية فقط . وهى لا تعنى بذلك استبعاد المسائل التى تتعلق بغرب أوربا فحسب ، بل مسائل مصر وسوريا والأراضى المقدسة [١] . فصرح اللورد داربى لسفير فرنسا فى لندن المركيز دى هاركورت بأن الحكومة الانجليزية توافق على التحفظات الفرنسية بشأن المؤتمر [٢] . كما وافقت أيضا الحكومة الروسية عليها [٣] .

أما الحكومة الانجليزية فقد أعلنت بأنها تصر على ضرورة الموافقة على عرض بنود الاتفاقية (معاهدة سان استفانو) التى وقعت بين الحكومتين الروسية والتركية على المؤتمر كشرط أساسى للاشتراك فيه [٤] . ولهذا تأخرت موافقتها على قبول الدعوة لعقد المؤتمر . وقد وعدت الحكومة الروسية بنشر تفاصيل المعاهدة قبل عقد المؤتمر [٥] .

ولقد أعربت الحكومة الفرنسية لحكومة لندن عن مخاوفها من أن تؤدى المباحثات بين الحكومتين الروسية والانجليزية إلى اتخاذ بعض التدابير لحماية

---

1 - D D.F. 1ere serie vol. 11 P. 269 M. Waddington aux Representants de France à l'Etrangère, Paris 7, Mars 1878.

2 - D.D.F. 1er serie vol. I1 P. 270 Le Marquis d'Harcourt à Waddington, No. 265 Londres, 8 Mars 1878.

3 - D.D F. vol 11 d. 272 Le Général Le Flô, Amb.de France à Petersbourg à Waddiugton. No. 265 Petersbourg 16 Mars 1878.

4 - D.D.F. vol. II p. 270 Le Marquis d'Harcourt à Waddington No. 263 Londres, 8 Mars1878.

5 - D D.F. vol p. 273 Le Marquis d'Harcourt à Waddington No. 277 Londres, 18 mars 1878.

المصالح البريطانية فى منطقة الشرق الأدنى ، وأن الحكومة الانجليزية قد ترى من مصلحتها احتلال مصر . ولهذا فمهما كانت المسائل التى أثارتها الحرب بالنسبة للمسألة الشرقية ، فإن فرنسا ترى أن يراعى - قبل أى شىء آخر - المحافظة على الحالة الراهنة Statu quo فى البحر المتوسط [١] .

غضبت انجلترا لتوقيع معاهدة سان استفانو وأخذت تستعد لاحتمال وقوع حرب بينها وبين الروسيا ، فأصدرت أوامرها بجمع الاحتياطى العام من الجنود وتركيز قطع الأسطول الانجليزى حول جزيرة مالطة ، كما استقدمت فى نفس الوقت جيشا من الهند وأنزلته أرض الجزيرة استعداداً لما قد تتطور اليه الأمور [٢] .

وكانت الحكومة الألمانية تسعى إلى تهدئة الموقف وايقاف الاستعدادات الحربية من الجانبين ، والعمل على تقريب وجهات نظر الحكومتين الانجليزية والروسية [٣] . واقترح بسمرك إبعاد كل من الأسطول الانجليزى والجيش الروسى عن الآستانة كشرط أساسى لقبوله الوساطة بين الطرفين المتنازعين [٤] . فوافقت كل من الحكومتين الانجليزية والروسية على ذلك ، فسحبت الحكومة الانجليزية أسطولها إلى مياه سالونيك على شرط أن يسمح له بعبور المضيق إذا

1 - D.D.F. vol. II p. 293 Waddington á Marquis d'Harcourt. No. 285 Paris 8 Avril 1878.

2 - Buckle : The Life of B. Disraeli : vol. II p. 1131.

3 - D D.F. vol. II p. 297 M. de Saint Vallier, Amb. de France à Berlin, à Wanddington, Berlin, 15 Avril 1878.

4 - D.D.F. vol II p. 298 M. de Saint Vallier, Amb. de France à Berlin â Weddington, Berlin, 17 Avril 1878.

ما اضطر إلى ذلك تأمينا لسلامة الدولة العثمانية (١) . كما سحبت الحكومة الروسية قواتها من سان استفانو وجتالجة إلى ادرنه (٢) .

وأخيراً استطاع بسمرك - بعد أن كادت الحرب تنشب بين انجلترا والروسيا - من إيجاد اتفاق بين الدول الثلاث انجلترا والنمسا والروسيا بشأن عرض معاهدة سان استفانو على مؤتمر أوربى . وبناء على ذلك وجهت الدعوة إلى الدول الموقعة على معاهدتى سنة ١٨٥٦ و ١٨٧١ للاجتماع فى برلين فى ١١ يونية سنة ١٨٧٨ لمناقشة معاهدة سان استفانو المعقودة بين روسيا وتركيا (٣) .

وقد انتهزت الحكومة الانجليزية فرصة الاستعدادات الجارية لعقد المؤتمر ودخلت فى مفاوضات مع الباب العالى ، الغرض منها عقد معاهدة دفاعية بين الحكومتين الانجليزية والعثمانية للمحافظة على ممتلكات الباب العالى ، ومساعدة الحكومة العثمانية فى تخفيف شروط معاهدة سان استفانو لصالح تركيا ، فى مقابل إحتلال انجلترا لجزيرة قبرص بصفة مؤقتة إلى أن تجلوا القوات الروسية عن مدينتى قارص وباطوم اللتين استولت عليهما الحكومة الروسية بصفة نهائية

(١) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى مهردار الخديو فى ٢٣ ابريل ١٨٧٨ (٢٠ ربيع الثانى ١٢٩٥) .

(٢) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من طلعت باشا إلى مهردار الخديو فى ٢١ أبريل ١٨٧٨ (ربيع ثانى ١٢٩٥) .

3 - D D F. II p. 321 M de Saint Vallier, Amb. de France à Berlin, à Waddington No. 307 Berlin, 25 Mai 1878,

فى أول يوليه سنة ١٨٧٨ [١] .

ونظراً لحالة الضعف والاضطراب التى وصلت اليها الدولة العثمانية، ولوجود الأسطول الانجليزى فى المياه التركية ، اضطرت الحكومة العثمانية إلى توقيع المعاهدة بالآستانة فى ٤ يونيه سنة ١٨٧٨ بين صفوت باشا وزير الخارجية التركية والمستر لايارد السفير الانجليزى بالآستانة . وقد استاءت الحكومة الفرنسية عندما علمت بنبأ توقيع تلك المعاهدة بصفة سرية بعد اتمامها بيومين اثنين، واعتبرت هذا العمل من جانب بريطانيا مخالفا لما اشترطته الحكومة الفرنسية وقبلته انجلترا وهو الاحتفاظ بالحالة الراهنة Statu quo فى البحر المتوسط [٢] . ولكن الحكومة الانجليزية أخذت تهدىء من ثائرة فرنسا وأوضحت لها بأن هذا الإجراء اقتضته الظروف الحاضرة .

وفى ٩ يوليه سنة ١٨٧٨ أبرق كامل بك القبوكتخدا إلى الخديو يخبره بنبأ توقيع معاهدة سرية دفاعية بين انجلترا والباب العالى [٣] .

---

1 - D.D F. vol. ll p. 352 Waddington to M. Dufaure, Président chargé par intérime du Ministre des Aff Etrang. No. 325 très confidentiel Berlin, 8 Juillèt 1878.

2 - D.D.F. vol. ll p. 352 M. Waddington to M. Dufaure, Président du Conseil, chargé par intêrime du Ministre des Aff. Etrang. N. 325 très confidentiel Barlin. 9 Juillet 1878.

(٣) محفظة ٢٨٥ عابدين (تركى) برقية من كامل بك إلى الجناب العالى فى ٩ يوليه ١٨٧٨ (٩ رجب ١٢٩٥) .

أنعقد المؤتمر الدولى فى برلين فى ١٣ يونية سنة ١٨٧٨ تحت رئاسة بسمرك، وكان يمثل الجانب التركى فى المؤتمر محمدعلى باشا وقرة تيودورى باشا وسعدالله بك وبعد مناقشات استغرقت جلسات عديدة وقعت معاهدة برلين وأهم محتوياتها :

أولا : تقسيم ولاية بلغاريا إلى قسمين ، القسم الشمالى ويتكون من بلاد البلغار الممتازة ويتمتع باستقلال داخلى . أما القسم الجنوبى أو الروملى الشرقى فيقوم على حكمه وال مسيحى يعينه السلطان .

ثانياً : استقلال رومانيا مع ضم مقاطعة دوبراويجه اليها فى نظير استيلاء الروس على بسارابيا .

ثالثاً : استقلال الصرب وضم منطقة نيش اليها .

رابعاً : استقلال الجبل الأسود مع منحه ثلث الأراضى التى منح اياها فى معاهدة سان استفانو مع ضم ميناء انتيفارى (بارا) اليها .

خامساً : استيلاء الروس على بساربيا التى انتزعت منها بمقتضى معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ وضم المدن التركية بآسيا وهى قارص واردهان وباطوم اليها مع جعل باطوم ميناءاً حرا وهدم استحكاماتها العسكرية .

سادساً : تبقى الغرامة الحربية كما هى بشرط ألا تؤثر على مصالح الدائنين الاوربيين .

سابعاً : تحتل النمسا ولايتى البوسنة والهرسك لمدة غير محدودة لإدخال ما تراه من اصلاحات عليها .

ثامناً : تحتل ايران اقليم قطور. ووعدت اليونان بضم تساليا وابيروس اليها،

تاسعا - أن يقوم الباب العالى بتنفيذ النظام الاساسى الذى طبق عام ١٨٦٨ فى كريت ، وأن يعم هذا النظام فى الولايات الاخرى المشابهة .

عاشراً - تظل نصوص معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ سارية المفعول فيما يختص بدولية المضايق ونهر الطونة واحترام سيادة الدولة العثمانية وإستقلالها .

نتائج الحرب.

كان لمعاهدة برلين نتائج خطيرة وبعيدة المدى بالنسبة لأوربا بصفة عامة ، فقد أوجدت نوعا من الاستقرار داخل القارة الأوربية فترة ستة وثلاثين عاما من إبرام تلك المعاهدة حتى قيام الحرب العالمية ألاولى فى سنة ١٩١٤ .

ولما كانت الحكومة الانجليزية لا تستطيع أن تفكر بصفة جدية فى احتلال مصر فى السنوات القليلة التى سبقت عقد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ نظراً لعزلتها السياسية نتيجة لاتحاد الاباطرة الثلاثة (أباطرة النمسا والروسيا وألمانيا) ، ولحاجتها الشديدة إلى صداقة فرنسا التى يسوؤها انفراد انجلترا باحتلال مصر. لهذا لجأت إلى مفاوضة الباب العالى مستغلة الظروف السيئة التى تمر بها الدولة العثمانية فى الحصول على جزيرة قبرص المطلة على السواحل الشمالية لمصر كخطوة أولى تتبعها خطوة أخرى وهى احتلال مصر عندما تحين الظروف .

وقد وجدت الحكومة الفرنسية أن استيلاء انجلترا على جزيرة قبرص فيه إخلال بالتوازن الدولى فى البحر المتوسط ، ولهذا عملت على احتلال تونس فى عام ١٨٨١ لإيجاد نوع من التوازن فى النفوذ فى البحر المتوسط بينها وبين انجلترا . كما أن احتلال انجلترا لقبرص زاد من اهتمامها بمصر . وهذا بدوره دفع فرنسا إلى الاهتمام بمصير مصر، والعمل على ألا تنفرد انجلترا بشئونها.

أما بالنسبة للروسيا ، فرغم خروجها من الحرب منتصرة إلا أنها لم تتمتع بثمرة انتصاراتها إلى المدى الذى كانت تنتظره - فلذا ماكانت الروسيا تستطيع أن ترضى تمام الرضى عن مسلك الحكومة الانجليزية فى مصر بعد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ ، إذكانت تعتقد أن ذلك المؤتمر كان إذلالا كبيراً لها ، وأن انجلترا إلى حد كبير مسئولة عن ذلك الإذلال . ولذا لم تكن ميالة لتسهيل الأمور لانجلترا لا فى مصر وحدها بل فى كل أجزاء الشرق الأدنى (١) . ولهذا فقد عارضت فى طلب انجلترا وفرنسا عزل الخديو اسماعيل .

وإذا نظرنا إلى نتيجة تلك الحرب بالنسبة للدولة العثمانية نجد أنها قد كلفتها الكثير من الرجال والأموال ، وأضعفتها إلى حد كبير. كما أنها فصلت عنها أجزاء كبيرة من ممتلكاتها فى أوربا ، ولو أن هذه الخسائر قد خفضت إلى حد ما عما كانت عليه بمقتضى معاهدة سان استفانو .

كما منحت هذه الحرب السلطان عبد الحميد فرصة ذهبية للتخلص من الدستور العثمانى ومن المنادين بالحركة الدستورية فى ١٣ فبراير سنة ١٨٧٨ بحجة أن سلامة الدولة العثمانية فى خطر شديد، وأن حالة الحرب تستدعى تركيز السلطة فى يديه للنجاة بسفينة الدولة إلى بر الأمان . وسيتخذ الأحرار والمنادون بعودة الدستور فى تركيا من هزيمة السلطان عبد الحميد فى الحرب دعاية قوية لبث التذمر فى النفوس ومحاولة هدم سلطة الباب العالى الاستبدادية . كما أن تقلص نفوذ الدولة العثمانية فى أوربا ركز جهود السلطان فى الأمور الداخلية والتنكيل بالأحرار والمنادين بالاصلاح ، مما سيدعو الى زيادة روح السخط وتكتل الأحرار للعمل فى جمعيات

---

(١) الدكتور صفوت - الاحتلال الانجليزى لمصر ص ١٧٢ .

سرية لإسقاط السلطان عبد الحميد ، إلى أن تواتيهم تلك الفرصة فى مستهل القرن العشرين أى فى عام ١٩٠٩ .

كما سيكون لموقف الحكومة الألمانية فى المؤتمر أثره الحسن لدى الحكومة العثمانية ، إذ أنها قد خرجت من المؤتمر نظيفة اليدين ولم تحاول أن تستغل الظروف السيئة التى تمر بها تركيا للحصول على مغنم من ممتلكاتها ، وخصوصا بعد أن حصلت انجلترا على جزيرة قبرص فى مقابل تعهدها بالمحافظة على ممتلكات الدوله العثمانية فى آسيا . وسوف يؤدى ذلك الى التقارب من المانيا والنفور أو الشك فى نوايا انجلترا . وما سيترتب عليه من انضمام تركيا الى جانب ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى .

أما بالنسبة لمصر فقد أتاحت لها حرب الصرب والحرب التركية الروسية فرصة عظيمة للاشتراك والمساهمة فى أهم مشكلة دولية كانت قائمة فى ذلك الوقت ، ألا وهى المسألة الشرقيه" . أى أن مصر لم تكن فى عزلة" عن الأحداث الدولية كغيرها من الولايات العربية الخاضعة للدولة العثمانية ، بل كانت لها شخصيتها وكيانها وجيشها الذى يعتمد الباب العالى على معونته عند الحاجة .

وقد رأينا مدى الاهتمام الذى أبدته الدول الأوربية الكبرى بشأن إرسال النجدات العسكرية المصرية لمعاونة الباب العالى . وكيف كانت بعض الدول الأوربية مثل انجلترا لاتعارض فى إرسال تلك المساعدات الحربية ، وكيف كانت بعض الدول الأخرى تعارض فى ذلك مثل الروسيا وفرنسا إلى حد ما ، وكيف وقفت دول أخرى موقف الحياد مثل الامبراطوريه" النمساوية . وكيف كان الاتصال السياسى يتم بين قناصل الدول الاوربية الجنرالات فى مصر وبين

الخديو اسماعيل مباشرة فى مسائل على درجة كبيرة من الأهمية والحيوية ولا يجوز للخديو التصرف فيها دون أن يتصل اتصالا مباشرا بالباب العالى .

وكيف حاول والى مصر أن يوفق بين رغبة الباب العالى فى إمداده بالمساعدة الحربية المطلوبة وبين مصالح الدائنين الأوربيين . وكيف جمعت نفقات تلك الحملة من مختلف الضرائب التى يقع العبء الأكبر منها على طبقة الفلاحين دون أن يستطيع الخديو المساس باستحقاقات الدائنين خشية أن إغضاب الدول الأوربية فتحمل الشعب نفقات الحملة وبذل دماءه فى الدفاع عن كيان الدولة العثمانية، وفى مساعدتها على الاحتفاظ بسيطرتها على الشعوب البلقانية المغلوبة على أمرها دون أن يكون لمصر مصلحة من وراء ذلك .

وقد أدى فرض الضرائب الإضافية على الشعب لمواجهة تكاليف الحملة إلى زيادة السخط على الوالى وعلى أفراد أسرته . هذا فى نفس الوقت الذى تأخر فيه صرف مرتبات الضباط والجنود مدة ثلاث سنوات من ١٨٧٦ - ١٨٧٨ ، فتضعضع الروح المعنوى للجنود وانتشر التذمر بينهم ، ولو أنه لم يظهر بشكل سافر إلا فى عهد الخديو توفيق .

ولكن مما خفف من أعباء تلك الحملة عن المصريين بعض الشىء ، أن الحملة لم يقصد بها - كما أذيع فى ذلك الوقت - إلا الدفاع عن الدين الإسلامى ممثلا فى الدولة العثمانية ضد هجمات الروسيا المسيحية، أى أن فكرة الجامعة الاسلامية كانت مسيطرة على عقول الطبقة المستنيرة حين ذاك فكان الدافع الدينى إذاً من العوامل الهامة التى هونت على المصريين بعض الشىء .

أما من الناحية الحربية، فان حرب الصرب كانت فرصة ذهبية لخوض غمار معارك كبيرة ضد القوات الصربية تحت القيادة الروسية وضد الجيش الروسى نفسه . وكانت تلك المعارك بلا شك درسا عمليـــا أصقل من معدن الجندى المصرى ، وجعله يشعر عن جـدارة بأنه يقف على قـدم المساواة مـع الجيوش الأوربية المحاربة، وأنه لايقل عنها شجاعة وإقداما.

وقد أبلت القوات المصرية فى حرب الصرب بـلاء حسنا . أمـا فى الحرب التركية الروسية فلم تقم بدور كبير فيها، ولم يكن ذلك راجعا إلى تقاعد الجيش المصرى بقدر ما هو متعلق بسياسة الخديو اسماعيل وبتعليماته التى أصدرها إلى نجله الأمير حسن بأن يحرص على أن تـكون القوات المصرية تحت قيـادته هو حتى لاتتعرض للخطر . مما قد يدفع الباب العالى إلى طلب غيرها من مصر فى نفس الوقت الذى كانت تعانى فيه البلاد أزمة مالية خطيرة .

وكان من نتيجة ضعف مركز الدولة العثمانية السياسى والحربى ، أن أيقن الخديو اسماعيل أن بقاءه فى ولاية مصر متوقف إلى حـد كبير على رضاء الدول الأوربية عليه وعلى الخصوص إنجلترا التى بدأ يتقرب إليها ـ كما سبق أن أشرنا فى غير هذا المكان ـ وسنجد أن الخديو إسماعيل عندما يحاول أن يحـد من نفوذ الدول الأوربية فى إدارة شئون البلاد الداخلية ، وأن يسترجع نفوذه المسلوب إستناداً على تأييد مجلس شورى النواب الذى كان يعتبر ممثلا للشعب المصرى فى ذلك الوقت ، تضغط كل من إنجلترا وفرنسا على الباب العالى لخلعه، فيرضخ لهذا الطلب ، ولم يستطيع الباب العـــالى أو مجلس شورى النواب الدفاع عنه أو حمايته .

وستكون السنوات القلائل التى أعقبت مؤتمر برلين فاصلة فى تاريخ مصر ،

إذ ستنتهز إنجلترا الفرصة لإحتلالها فى عام ١٨٨٢ ، وهى الخطوة الثانية بعد إحتلال جزيرة قبرص . وستحقق إنجلترا الخطوة الثالثة فى نهاية الحرب العالمية الاولى، حيث تقوم باحتلال الولايات العربية الاخرى وهى العراق وفلسطين وشرق الاردن بعد تثبيت أقدامها فى مصر .

أثر معاهدة برلين على البلاد العربية

لقد استطاعت معاهدة برلين ١٨٧٨ أن توطد السلام فى أوربا وأن توجد نوع من التوازن فى القوى الاوربية لصالح المانيا ، ولكن كل هذا قد تم على أساس سياسة تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بين الدول الكبرى الطامعة . كما أن هذه المعاهدة قد وجهت نظر الدول الكبرى إلى سياسة التوسع والفتح فى الناحيتين السياسية والاقتصادية فى قارتى آسيا وأفريقيا، وبصفة خاص على حساب الشعوب الاسلامية والعربية والافريقية وشعوب الشرق الأقصى .

آثرها على احتلال تونس

كان احتلال انجلترا لجزيرة قبرص بمقتضى الاتفاقية السرية التى عقدت بينها وبين الدولة العثمانية فى سنة ١٨٧٨ أثناء انعقاد مؤتمر برلين فاتحة لاحتلال فرنسا وانجلترا لبعض أجزاء من الوطن العربى. فعقد تلك المعاهدة قد أثار فرنسا ثورة عنيفة واعتقدت بأن انجلترا قد خانتها حينما انتزعت من الباب العالى جزيرة قبرص التى تمنح انجلترا مركزاً متفوقاً فى شرق البحر المتوسط . وقد رأت انجلترا أن تهدىء ثائرة فرنسا عن طريق التفاهم فيما بينهما للوصول إلى اتفاق يحقق مصالح الطرفين. فأوضح سولسبرى وزير خارجية انجلترا لوادنجتون وزير خارجية فرنسا بأن انجلترا مستعدة للاعتراف بمصالح فرنسا فى البحر المتوسط وفى الاعتراف بنفوذ مساو لنفوذها فى مصر، وكذلك الاعتراف بمصالحها فى الأراضى المقدسة وفى لبنان، ولاسيما فيما يتعلق بحماية الرعايا العثمانيين الكاثوليك فى تلك المنطقة .

بل ذهبت انجلترا فى إرضائها لفرنسا إلى حد، وافقتها على اطلاق يد فرنسا فى

فى تونس . أى أن انجلترا رأت فى تلك الفترة أن تشترك فرنسا معها فى المسألة المصرية وفى تحقيق التوازن بينها فى البحر المتوسط ، لا سيما وأن هذه السياسة كانت تحظى بموافقة بسمرك .

وقبل أن تقدم فرنسا على أية خطوة إيجابية إزاء تونس حرصت على أخذ موافقة رسمية مكتوبة من انجلترا ، وقد أرسل سولسبرى خطابين إلى وادنجتون وزير خارجية فرنسا يتضمنان موافقة انجلترا على اطلاق يد فرنسا فى تونس فى مقابل اعتراف فرنسا بتفوق المصالح البريطانية فى الهند وفارس وافغانستان وآسيا الصغرى . وكانت الحكومة الانجليزية فى أول الأمر متحرجة فى إعطاء هذا الوعد المكتوب ، لولا خشيتها من أن تغضب فرنسا وتنحاز إلى جانب الروسيا .

ورغم موافقة انجلترا على تحقيق المطامع الفرنسية فى تونس إلا أنها لم تعد فرنسا بتأييدها ضد المطالب الايطالية . فكان على فرنسا إذاً أن تسوى علاقتها بإيطاليا وحدها دون الاعتماد على معونتها .

ولكن إذا كانت تلك السياسة الانجليزية قد أرضت فرنسا إلى حد كبير فإن فرنسا كانت تشك فى قبول ايطاليا لتلك السياسة ، خصوصا ما يتعلق منها بالإستيلاء على تونس . فايطاليا كانت تنظر إلى تونس كمنطقة نفوذ لها بعد أن احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠ . فلم يكن من المستطاع إذاً أن تقبل ايطاليا إحتلال فرنسا لتونس أيضا . وكانت فرنسا على استعداد لان تساوم ايطاليا على إحتلالها طرابلس الغرب فى مقابل عدم معارضتها لإحتلال تونس .

وفى نفس الوقت كانت فرنسا حريصة على تفوق نفوذها فى تونس بكل

الوسائل والعمل على منع أية دولة أوربية من أن يكون لهـا نفوذ مساو لنفوذ فرنسا أو متفوق عليها . وقـد بذل قنصل فرنسا الجنرال روستان Roustan بتونس جهودا ضخمه للقضـــاء على مقاومة القنصـل الانجليزى ريتشارد وود Richard Wood لتغلغل النفوذ الفرنسى بتونس .

وقد شجع فرنسا على أن تخطو خطوات جدية إزاء تونس موقف التأييد من قبل المانيا وانجلترا، فقد كانت تعلم بأن موافقة هاتين الدولتين ستذلل لها الكثير من العقات فى سبيل بسط سيادتها على تونس ، فالدول التى يهمها الأمر بعد انجلـترا والمانيا لا تعـد ايطاليا والدولة العثمانية ، بالإضافة إلى بايات تونس .

أما عن الدولة العثمانية فـلم يكن سلطانها على تونس كبيراً ، بل إن البايات كانوا مستقلين استقلالا يكاد يـكون تاما عن الدولة ، كما أنهم لم يرتبطوا بالدولة العثمانية سوى بالرباط الاسمى الذى جاء بفرمان عام ١٨٧١ . فالدولة العثمانية من وجهة نظر فرنسا لا تتمتع بسلطان حقيقى فى تلك البلاد . ثم أن فرنسا كانت تعلم بأن معارضة الباب العـــالى لبسط حمايتها على تونس لن تقوى أمام موافقة وتأييد انجلترا وألمانيا .

أما عن ايطاليا ، فكانت فرنسا تعـلم مدى تطلعها إلى احتلال تونس، ولم يكن هذا يخاف على الدول الأوربية ، لا سيما وأن ايطـاليا ـ لولا ترددها ـ لا ستطاعت احتلال تونس فى مناسبتين متواتيتين لها وقد لاحت المناسبة الأولى فى عام ١٨٧٠ عقب هزيمة فرنسا وضياع نفوذها وهيبتها كدولة كبرى فى أوربا ، الفرصة الثانية جاءت عقب مؤتمر برلـين الذى منح الامبراطورية النمسوية نفوذاً متفوقا فى غرب البلقان دعا إلى محاولة إيجاد مخرج لها خارج حدود أوربا، وذلك عن طريق فرض حمايتها على تونس . وكما قلنا لم يكتب للمحاولتين النجاح .

وقد أفهمت الحكومة الفرنسية ايطاليا بما لا يدع مجالا للشك بأنها لن تسمح لأى قوة خارجية أن تحتل تونس ، فهى لن تسمح لايطاليا بمناقشتها فى مسألة تونس ، ولكنها على إستعداد لأن تتباحث معها بشأن الموافقة على الاعتراف بحقوقها فى طرابلس تعويضاً لها عن تونس . وأكدت لها بأنها ـ أى فرنسا ـ لن تقدم على أى عمل إزاء تونس ما لم يصل الطرفان إلى اتفاق .

وفى نفس الوقت حاولت ايطاليا من ناحية أخرى أن تجد لها موضعا لقدم فى مصر ، فطلبت من الحكومة الانجليزية الاعتراف لها بمركز مساو لمركز انجلترا وفرنسا فى مصر . ولكن انجلترا لم توافق على ذلك لحرصها على إبعاد أى نفوذ يعرقل مصالحها ونفوذها فى مصر .

أما بخصوص موقف فرنسا من باى تونس فإنها عندما اطمأنت إلى تأييد انجلترا المانيا لها فى هذه المسألة لجأت إلى مفاتحة الباى فى موضوع فرض حماية فرنسية عليه بصفته الشخصية لا بصفته الرسمية . وقد انزعج الباى لهذا الطلب خصوصا وأن بايات تونس كانوا يخشون الخطر الفرنسى على بلادهم منذ احتلالهم الجزائر سنة ١٨٣٠، ومنذ أن بدأت فرنسا تتخذ سياسة نشيطة فى تونس، فلجأ الباى سيدى محمد الصادق إلى القنصلين الانجليزى والإيطالى لمعرفة موقف حكومتيهما إزار المطالب الفرنسية . فأنكر القنصلان وجود أى اتفاق سابق بين حكومتيهما بخصوص هذا الموضوع ، وإن صح هذا الأنكار بالنسبة لقنصل ايطاليا فإنه غير صحيح بالنسبة لقنصل انجلترا . وأعرب القنصلان عن تأييدهما لموقف الباى فى تمسكه بإستقلاله وعدم خضوعه لمطالب فرنسا .

ولما كان قنصل انجلترا فى تونس ريتشارد وود يمثل عقبة كؤود فى تقدم النفوذ الفرنسى فى تونس ، فقد اضطرت حكومته إلى سحبه [1] بناء على طلب

1 - Newton : Lyons Vol. 11 PP. 155,156

الحكومة الفرنسية وتنفيذا للاتفاق السرى بينهما. وبذلك تنتهى المنافسة الانجليزية الفرنسية فى تونس .

بقيت المنافسة الايطاليه لفرنسا على أشدها ، وصممت الحكومة الايطالية على إتخاذ سياسة أكثر ايجابية إزاء فرنسا فى تونس ، فعينت ما تشيو قنصلا جنرال لها فى تلك البلاد ، وكان معروفا بقوة شخصيته وعنفه.ووجدت الحكومة الفرنسية نفسها مضطرة لتأمين مصالحها فى تونس ، وذلك عن طريق دفع الباى محمد الصادق إلى عقد حلف دفاعى معها ، تتولى بمقتضاه الدفاع عنه ضد أى عدوان خارجى . ولكن الباى رفض هذا الافتراح لأن خشيته من فرنسا تفوق تخوفه من أية قوة أوربية أخرى .

أخذ التسابق بين الدولتين الفرنسية والايطالية يشتد حول تونس ، ففرنسا حاولت جاهدة أن تسيطر عليها سياسيا واقتصاديا ، وأن تبعد النفوذ الايطالى عنها بأى ثمن [١] . كما أنها لم تكن ترضى بمجرد اشتراك ايطاليا معها فى النفوذ .

وقد رأت فرنسا ضرورة استغلال الموقف الدولى المؤيد لها للقيام بضربتها لإحتلال تونس قبل أن تتشجع ايطاليا وتقدم على عمل قد يعرقل أهداف فرنسا فى تلك البلاد . ووجدت الحكومة الفرنسية نفسها مدفوعة إلى القيام بعمل حربى ضد تونس تحت ضغط سفيريها فى برلين وروما.وتغير الوزارة الانجليزيه. فأرسلت حملة تحت قيادة الجنرال بريار Bréare الذى وجه إنذاراً إلى باى تونس لقبول المعاهدة التى أمهل للموافقة عليها أربع ساعات فقط .

ولما لم يجد الباى له نصيرا فى الدول الأوربية قبل مضطراً التوقيع على معاهدة

1 - F. O. 45 - 430 Me Donald to Salisbury - August 26,1878

الحماية على تونس فى ١٢ مايو سنة ١٨٨١ .

وإذا كانت انجلترا قد قبلت منذ أول الأمر بسط فرنسا حمايتها على تونس ، إلا أن إحتلال فرنسا لتلك البلاد قد أثار غيرة الانجليز الذين وجدوا فى تونس تعويضاً كبيراً لفرنسا لايدانيه استيلاء الانجليز على قبرص . وترتب على ذلك أن الحكومة الانجليزية أصبحت بعد فرض فرنسا حمايتها على تونس حريصة على تحقيق هدفين : أولهما الوقوف بحزم ضد تطلعات فرنسا لطرابلس حتى لايصبح البحر المتوسط بحيرة فرنسية .

والثانى إحتلال مصر كتعويض لإحتلال فرنسا لتونس ، فتوازن القوى الذى اختل فى نظر انجلترا ببسط فرنسا حمايتها على تونس ، لن يرجع إلى حالته الأولى إلا بإحتلال انجلترا مصر .

اثرها على مصر

أما بالنسبة لأثر معاهدة برلين على الأوضاع فى مصر ، فكان شديداً ، إذ اتفقت الدولتان الانجليزية والفرنسية على أن يكون نفوذهما متساو فى مصر ، وأن تعمل الدولتان على تحقيق مصالحهما فى تلك البلاد ، ففرضت إنشاء صندوق الدين ، وفرض المراقبة الثنائية على مالية البلاد ، ووضع وزيرين أجنبيين فى الوزارة أحدهما انجليزى والآخر فرنسى ، يشرفان على الايرادات والمصروفات، ويكون لهما حق الاعتراض على كل مشروع قانون يعرض على الوزارة. وبذلك شلت يد الخديو اسماعيل .

وعندما حاول الخديو التخلص من هذه السيطرة بالتستر وراء الحركة الوطنية فى مصر ، ضغطت الدولتان على السلطان العثمانى لعزله . وفى ظل حكم توفيق

تدعمت مصالح الدولتين بشكل لم يسبق له مثيل ، وفقدت البلاد هيبتها وكرامتها وسخرت جهودها لخدمة حفنة من الدائنين المغامرين. وتطورت الأمور فى مصر بفضل تحريض الدولتين للخديو على مقاومة الحركة العرابية إلى التدخل المسلح وإحتلال مصر .

وبإحتلال انجلترا مصر تبدأ المنافسة بين الدولتين تتخذ مظهراً خطيراً فى أزمة فاشودة التى كادت تؤدى إلى قيام حرب مسلحة بينهما لولا تراجع فرنسا فى آخر الأمر . وقد أعطتها تلك الأزمة درساً لن تنساه ، وأقنعتها بعدم جدوى الاعتماد على محالفة الروسيا فى مقاومة انجلترا . وأدى ذلك إلى التقريب بين الدولتين وإلى عقد اتفاقية لانزدون كامبون فى سنة ١٩٠٤ .

كذلك كان من آثار مؤتمر برلين إتجاه الروسيا نحو الشرق ، أى نحو التوسع فى أواسط آسيا الاسلامية وتوطيد دعائم نفوذها فى ايران وأفغانستان .

أثرها على الدولة العثمانية

كان من جراء موقف بسمرك من الدولة العثمانية فى مؤتمر برلين ، وعزوفه عن الاشتراك مع الدول الأوربية الأخرى فى استقطاع أى جزء من ممتلكات الدولة ، أثره فى ميل العثمانيين إلى التقرب من ألمانيا ، إذ وجدوا فيها دولة غير طامعة فى أراضيهم . وازداد هذا التقارب بشكل واضح بعد سقوط بسمرك ، فأخذت الشركات الإستغلالية الألمانية تقوم بإنشاء معظم المشروعات فى الدولة ، لاسيما مشروع سكة حديد برلين بغداد مارا بالآستانة . وإن كان هذا المشروع له الصفة التجارية إلا أن الصفة السياسة تغلب عليه الى حد كبير .

كذلك استقدمت الحكومة التركية بعثة عسكرية ألمانية لتنظيم الجيش العثمانى وتدريبه على الأساليب الحربية الحديثة .

كما استغلت الدولة العثمانية حركة الجامعة الإسلامية فى تكتيل العالم الإسلامى خلفها لدفع خطر الدولتين الاستعماريتين الكبيرتين انجلترا وفرنسا . وكان لنمو حركة الامبريالزم بعد مؤتمر برلين أبعد الأثر فى القضاء على الدولة العثمانية فى نهاية الأمر . فتمسك الأتراك بفكرة الجامعة الطورانية ، وتغليبهم الناحية العنصرية على ما عداها قد أغضب العرب الخاضعين لحكمهم ، بحيث وجدنا أن فشل الدولة فى تحقيق المساواة بين العنصرين التركى والعربى كان عاملا فى سقوطها آخر الأمر فى الحرب العالمية الأولى .

أولا : - المراجع العربية والتركية

١ - وثائق لم يسبق نشرها

من قسم المحفوظات بالقصر الجمهوري :

(١) - دفاتر عابدين - وتضم مجموعة تقرب من الخمسين دفترا وتشتمل على المكاتبات المتبادلة بين الخديو إسماعيل وبين الباب العالي عن طريق ممثله في الآستانة (القبوكتخدا) . ولهذه الدفاتر أهمية كبيرة نظراً لما تلقيه من ضوء على علاقة الخديو بالباب العالي في مختلف الشئون من حربية وسياسية وإدارية ، وتوضح الأهداف الخفية في سياسة إسماعيل . وقد ضمت مجموعة من الوثائق السرية (غير الرسمية) المتبادلة بين إسماعيل وممثله في الاستانة إزاء المساعدات الحربية المصرية للباب العالي .

(٢) - دفاتر (معية تركى) - من رقم ٥٢٧ إلى ٥٨٥ و ١٨ دفترا بدون نمر. دونت بهذه الدفاتر المكاتبات المتبادلة بين المعية السنية ومختلف دواوين الحكومة ومنها ديوان الجهادية فيما يتعلق بالشئون الحربية .

(٣) - محافظ (معية تركية) - من رقم ٣١ - ٥٥ وتضم المكاتبات المرسلة من رؤساء الدواوين ومنها ديوان الجهادية إلى المعية السنية وتتضمن تفاصيل التوسع المصرى في السودان وعلاقة مصر بالحبشة.

(٤) - دفاتر قيد الأوامر الكريمة الواردة لديوان الجهادية - وتشتمل على الأوامر التى أصدرها الخديو إسماعيل إلى ديوان الجهادية فيما يتعلق بشئون الجيش .

٥ - دفاتر وارد الجهادية - من رقم ٢٥ (سنة ١٢٦٠) إلى رقم ٤٦٣٨ (سنة ١٢٩٠) وعددها ٧٥١ دفتراً وتشتمل على المكاتبات المختلفة الواردة لديوان الجهادية من مختلف وحدات الجيش .

٦ - دفاتر صادر الجهادية - من رقم ١ (سنة ١٢٦٠) إلى رقم ٥١٢٧ (سنة ١٨٧٣) وهى غير مسلسلة وتشتمل على جميع المكاتبات الصادرة إلى ديوانا لجهادية إلى الأورط والالايات المختلفة .

٧ - دفاتر أوامر - من رقم ٥٣٠ (سنة ١٢٧١) إلى رقم ٢٩٥٤ (سنة ١٩٢٧) وعددها ٢٨ دفترا وتضم الأوامر الصادرة من الخديو إلى ديوان الجهادية. وهى غير مسلسلة وتوضح تلك المكاتبات سياسة الخديو إسماعيل للنهوض بالجيش.

٨ - دفاتر قيد التلغرافات الواردة لديون الجهادية - من رقم ٢٨٥٦ (سنة ١٢٨٦) إلى رقم ٢٩٩٤(سنة ١٦٩٤) وعددها ٢٥ دفترا وتشتمل على التلغرافات الواردة لديوان الجهادية من مختلف وحدات الجيش لطلب الأسلحة والمؤن والكساوى والمرتبات . وتكشف لنا تلك المكاتبات عما آلت اليه حالة الجيش المصرى فى أواخر عهد إسماعيل عندما اشتدت الأزمة المالية ، واضطربت شئون البلاد فساءت حالة الجيش وتدهورت روحه المعنوية وعم السخط وزاد التذمر .

٩ - محافظ الجهادية - من رقم ٧ إلى رقم ١٢ وقد اشتملت على الأوامر الصادرة من الخديو إلى ديوان الجهادية بشأن الخدمات العسكرية. وأغلب تلك المكاتبات باللغة التركية والبعض الآخر باللغة العربية .

١٠ - دفاتر يوميات الآلايات - من رقم ١٤٢ (سنة ١٨٦٥) الى رقم الى رقم ٩٤٥ (سنة ١٨٦٦) وعددها ١١ دفترا غير مسلسلة، وقيدت فيها المطالب اليومية لكل الآلاى .

٢ — مراجع باللغة العربية

رتبت المراجع الآتية بالنسبة لأهميتها لهذا البحث .

١ — أمين سامى باشا ـ تقويم النيل وعصر عباس وسعيد الجزء الثالث (المجلد الاول) القاهرة سنة ١٩٣٦ .

٢ — أمين سامى باشا ـ تقويم النيل وعصر اسماعيل (المجلد الثانى والثالث) القاهرة سنة ١٩٣٦ .

٣ ـ اسماعيل سرهنك باشا ـ حقائق الأخبار عن دول البحار . جزءان و(الثالث غير كامل) ولهذا الكتاب أهمية خاصة بالنسبة لحرب الضرب والحرب التركية الروسية نظراً لاشتراك مؤلفه كياور لقائد الأسطول المصرى قاسم بك الذى ساهم فى الحربين المذكورتين .

٤ — نعوم شقير بك — تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته . ثلاثة أجزاء القاهرة سنة ١٩٠٣

٥ — محمد مصطفى صفوت: مؤتمر برلين ١٨٧٨ وأثره فى البلاد العربية . معهد الدراسات العربية . ١٩٥٧ .

٦ — محمد عيسوى (الدكتور) ـ الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر القاهرة سنة ١٩٤٨

٧ — الدكتور صبرى — مصر فى افريقيا الشرقية ، القاهرة سنة ١٩٣٩

٨ — اللواء محمد مختار (باشا) — التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية ، بولاق سنة ١٣١١هـ

٩ ـ فيليب جلاد (بك) ـ قاموس الادارة والقضاء ـ سبعة مجلدات ، اسكندرية سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٨٩٦

١٠ - كتاب اسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته ، القاهرة ١٩٤٥

١١ - أحمد عرابى (باشا) - كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية (مخطوط) الاجزاء ١ سنة ٨١ — ١٨٨٢

١٢ - سليم خليل نقاش - مصر للمصريين أجزاء من ٤ إلى ٩ الاسكندريه ١٨٨٤

١٣ - عبد الرحمن الرافعى (بك) - عصر اسماعيل جزءان - القاهرة ١٩٣٢

١٤ - عبد الرحمن الرافعى (بك) - الثورة العرابيـــة والاحتلال البريطانى القاهرة سنة ١٩٣٧

١٥ - الاميرالاى ابراهيم فوزى (باشا) - السودان بين يدى غوردون وكتشنر

١٦ - عمر طوسون (الامير) - بطولة الاورطه السودانيه المصريه فى حرب المكسيك ، اسكندريه ١٩٣٣ .

١٧ - محمد مصطفى صفوت (الدكتور) - الجمهورية الحديثة الاسكندريه ١٩٥٨

١٨ - محمد مصطفى ثروت (الدكتور) - الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الاوربية إزاءه . القاهرة ١٩٥٢

١٩ - محمد مصطفى صفوت (الدكتور) - انجلترا وقناة السويس . القاهرة ١٩٥٦

٢٠ - محمد أحمد الجابرى - فى شأن الله ، أو تاريخ السودان كما يرويه أهله ، القاهرة ١٩٤٧

٣ ـ الدوريات

١ ـ الوقائع المصرية ـ وهى سجل حافل لأهم الأحداث التى وقعت فى عصر إسماعيل . ويستطيع الباحث أن يستخرج منها المعلومات الكثيرة . وقد اعتمد عليها أمين سامى باشا إعتمادا كبيراً فى تدوين مؤلفه (تقويم النيل .)

٢ ـ الجريدة العسكرية المصرية ـ وهى صحيفة شهرية قمرية بدأ صدورها فى غره جماد الثانية سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥) وقد اهتمت بأخبار الجيش المصرى وبنظمه وتعاليمه .

٣ ـ مجلة أركان حرب الجيش المصرى ـ عاصرت هذه المجلة الجريدة السابقة وصدرت لأول مرة فى ١٥ جماد أول سنة ١٩٢٠ (١٠ يوليو سنة ١٨٧٣). وقد عنيت بنشر أخبار الحروب التى خاضها الجيش المصرى والنشاط الذى ساهمت فيه هيئة أركان حرب من القيام بحركة الكشوف الجرافية ورسم الخرائط المختلفة لأنحاء السودان .

٤ ـ مجلة الجيش ـ وهى مجلة حديثة ، وتصدرها رئاسة أركان حرب الجيش المصرى ومازالت تصدر حتى الآن وتتناول نشاط الجيش المصرى فى عصره الحاضر وفى العصور الماضية .

٤ - الخرائط

١ - خريطة لكريت - موجودة أيضا بالقصر الجمهورى وتوضح معالم كريت بتفاصيل كبيرة ومكتوبة باللغه اليونانية.

٢ - خريطة تفصيلية للدويلات البلقانية قامت بطبعها وزارة الحربية التركية القديمة (بالحروف العربية) ومساحة تلك الخريطة ٢١٠×١٤٠ سم ومقياس الرسم = ١ : ٠٠٠ و ٦٠٠ . ولهـذه الخريطة أهمية خاصة أولا لأن وزارة الحربية التركية قد عنيت فى رسمها ببيان المدن الحصينة وعدد سكانها بالتقريب وأشهر المواقع التى حدثت بين الجيش العثمانى وبين قوات تلك الولايات أو قوات الجيش الروسى. وثانيا لأنها تكاد تكون النسخة الوحيدة بالقطر المصرى . وقد اعتمدت عليها اعتمادا كبيرا فى تحقيق المواقع والبلدان التى ورد ذكرها فى الوثائق العربية والتركية والتى كانت محرفة فى بعضها . ونفس الوقت لم أستطع الاعتماد على ترجمتها من الأطالس والخرائط الاوربية نظرا لاختلاف نطقها وكتابتها فى بعض الأحيان إختلافا واضحا عنه فى اللغة التركية .

ثانياً ـ المراجع الأوربية

١ ـ وثائق لم يسبق نشرها

(١) الوثائق الانجليزية المنقولة عن وزارة الخارجية الانجليزية .

والتى رمزت اليها فى الرسالة بالحرفين .F.O وتضم المراسلات التى تبودلت بين قناصل انجلترا الجنرالات بمصر فى فترة حـــكم اسماعيل ووزارة الخارجية الانجليزية والمتعلقة بشئون مصر من سياسية وإدارية وحربية وكذلك المكاتبات المتبادلة بين سفير إنجلترا بالآستانة وزارة الخارجية الانجليزية فيما يختص بشئون مصر . وأيضا المراسلات المتبادلة بين سفراء إنجلترا بالدول الأوربية المختلفـة ووزارة الخارجية الانجليرية الخاصة بمصر . وتلقى تلك الوثائق ضوءا كبيرا على سياسة اسماعيل ازاء انجلترا طوال فترة حكمه .

وقد رتبت تلك الوثائق على النحو التالى :

Dossier No.	24	1862 - 63
«	25	1864
«	26	1865
«	27	1866 – 69
«	28	1867—70
«	29	1875 – 79
«	30	1876
«	31	1877
«	32	1878
«	33	1879
«	34	1882

(ب) الوثائق الفرنسية المنقولة من وزارة الخارجية الفرنسية .

Ministère des Affaires Etrangers

والتى رمزت اليها بالحرفين A.E وتشتمل على جميع المرسلات المتبادلة بين وزارة الخارجية الفرنسية وقناصل فرنسا الجنرات بمصر أو سفرائها بالدول الاوربية بشأن المسائل المصرية. وهى توضح سياسة فرنسا إزاءمصر فى فترة حكم الخديو اسماعيل ، ومدى العلاقة أو الارتباط بين السياستين المصرية والفرنسية ، وقدرتبت تلك الوثائق على النحو الآتى :

Doss. No.	46	1863
«	47	1364
«	48	1865
«	49	1866 - 68
«	50	1869
»	51	1870 — 72
«	52	1873 — 75
»	53	1876
«	54	1875 — 76
«	55	1877
«	56	1878
«	57	1879
«	58	1879

(ج) الوثائق النمساوية المنقولة عن وزارة الخارجية النمساوية .

وقد رمزت اليها فى البحث بالحروف W.S.A وتضم المراسلات والتقارير المتبادلة بين وزارة الخارجية النمساوية وقناصل النمسا الجنرالات بمصر وسفرائها بالدول الأوربية بشأن مصر . وهى مكتوبة باللغة الالمانية ، ومرفق بكل وثيقة ترجمتها باللغة الفرنسية . وقد تولت وزارة الخارجنة النمساوية عملية الترجمة وقد رتبت تلك الوثائق على النحو التالى :

Doss. No.	39	1862
«	40	1863-66
«	41	1865
«	42	1866
«	43	1867
«	44	1868
«	45	1868-69
«	46	1869
«	47	1869
«	48	1869
«	49	1870
«	50	1870-72
«	51	1872

Doss.	No.	52	1873
	«	53	1873
	«	54	1873
	«	55	1873
	«	56	1873
	«	57	1874–77
	«	58	1875
	«	59	1876
	«	60	1876
	«	61	1877
	«	62	1878
	«	63	1878
	«	64	1879
	«	65	1879
	«	66	1879
	«	67	1879
	«	68	1879

(د) الوثائق الامريكية :

1 - Egyptian Despatches from the Consulate General of The United States of America in Egypt to the Dep. of State, Washington in 16 volumes, Covering the years 1849-1879. inclusive.

2 - Instructions to the Consuls of the United States in Egypt for the Dedartmente of Stat found in vol. XIV Department of State, Washington, U.S.A. (1848-1868).

3 - Instructions to the Consulate General of the United States at Alexandria, Egypt for the Department of States found in volume XV (1868-1875)

Printed Documentary Sources :

— Documents Diplomatiques Français (1871 - 1914) 1ère serie (1871 - 1900).

— The Blues Books, Egypt. No. 3 (1884).

— Egypte : Affaires Etrangères, Documents Diplomatiques Paris 1885.

— Douin : Histoire de la Règne du Khédive Ismail, Le Caire : 1933 -1939.

Tome 1er — Les premières Années du règne (1863 - 1867).

" 2 — L'apogées (1867 - 1873)

" 3 — l'Empire Africain :

1er partie (1863 - 1869)

2 ,, (1869 - 1873)
3 ,, (1874 - 1876)

— Buckle : The Life of Benjamin Disraeli. Earl oi Beaconsfield. 2 vols London 1929.

-- Dye. W. Mc. ; Moslem Egypt and Christian Abyssinia, or Military Science Under the Khedive in his provinces and beyon the borders as experienced by the American Staff.

— Safwat ; Tunis and the great Powers (1878 - 1881) Alex. 1943.

— Sumner, B. H, Russia and the Balkans. (1870 - 1880).

— Sumner, Survey of Russian History. London 1945.

— Medlicot : The Congress of Berlin and After. A Diplomatique history of the Near East Settlement. (1878 — 1880). 1938

— Chaille - Long : My Life in four Continents. London 1912.

— ,, ,, : L'Egyp te et ses provinces perdues. Paris 1892.

— ,, ,, : Les Trois Prophets. Le Mahdi: Gordon arabi. Paris 1886.

— Loring : A Confederate Soldier in Egypt. New York 1884

— De Leon (Edwine) The Khedive's Egypt. London 1877.

— ,, ,, : Egypt Under it's Khedive's. London 1882.

— Farman E.E; Egypt & its Betrayal. New York 1809.

— Drialt 'et l'héritier : Histoire Diplomatique de la Grèce de 1821 à Nos jours I-III.

— Baker. Sir S.-W; Ismailia, London 1895.

— Abbat Dr. Le Soudan sous le règne du Khedive Ismail.

— Gordon ; Letters of General Gordon to his Sister. London 1888.

— Dicey ; The History of the Khedivate. London 1902.

— Mc Goan : Egypt as it is London 1877.

— Crabités P. : Americans in the Egyptian Army : London 1938.

— Politis ; Un Projet d'Allianie entre l'Egypte et la Grèce en 1867. Le Caire 1931.

— Sabry M. : L'Empire Egyptienne sous Ismail et l'Ingerence Anglo-Françuise. Paris 1939

— Cromer (Earl) Modern Egypt. 2 vols. 1908.

General Books

— The Cambridge Modern History. vol XII. Egypt and The Egyptian Sudan (1841—1907) by F.M. Sandwith·

— Histoire Général. vol. XII Ch. XII " La Politique Europeene jusqu'au Traité de Berlin 1871 - 1878 par M. A. Malet.

— The Historians History of the World. Vols. 23 — 24

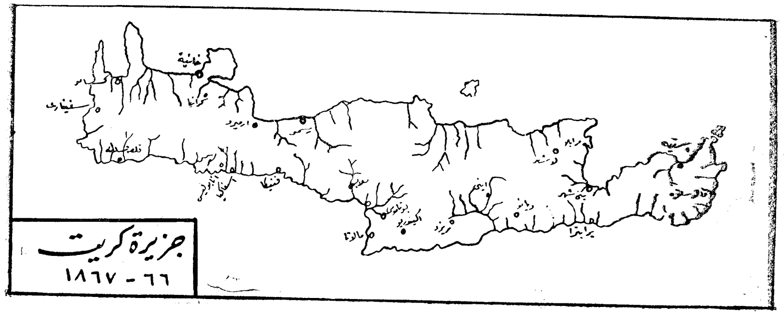
جزيرة كريت
٦٦ - ١٨٦٧

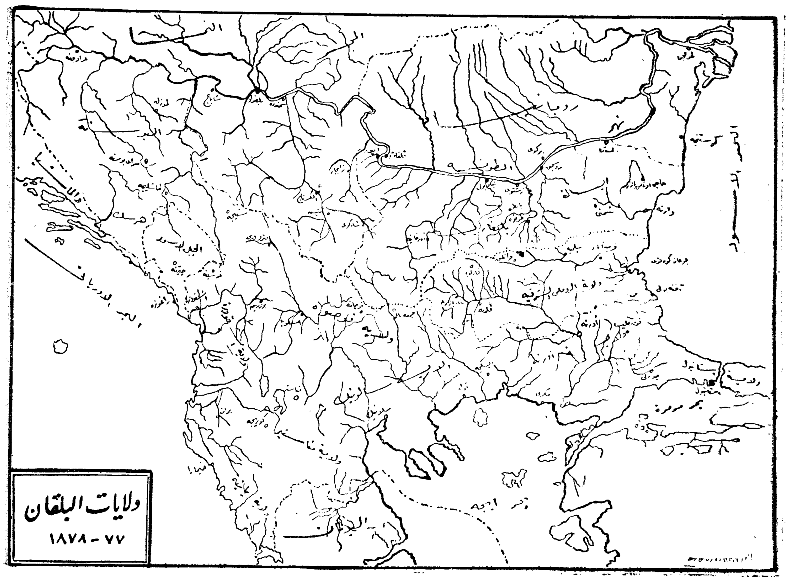
ولايات البلقان
٧٧ - ١٨٧٨
البحر الأسود
أدرنة
استانبول
بحر مرمرة

محتويات الكتاب

صفحة

تصدير ١
مقدمة - المسألة الشرقية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ... ٥
حرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦) ١٤
مؤتمر باريس ٢٣

الباب الأول

مسألة كريت

يوليو ١٨٦٦ - نوفبر ١٨٦٧

الفصل الاول

تدخل مصر السياسى والعسكرى

أسباب قيام الثورة ٣٣
مساعدة مصر الحربية... ... ... ٣٦

الفصل الثانى

سياسة اسماعيل إزاء مسألة كريت فى الفترة الأولى

هزيمة أبى قرون ٦٤
موقف انجلترا من مسألة كريت ٧٣

صفحة

موقف فرنسا من مسألة كريت ٧٧
التقرب بين مصر واليونان ٨٢
معركة أبى قرون الثانية ٨٥
موقعة دير أركادى ٨٩
وصف المعركة ٩٢

الفصل الثالث

سياسة مصر إزاء كريت فى الفترة الثانية

اضطراب موقف اسماعيل ١٠٠
تكملة العمليات الحربية ١٠٨
كيف تم إنسحاب القوات المصرية من كريت ١١٥
نتائج حملة كريت ١١٨

الباب الثانى

حرب الصرب

١٧٧٦ — ١٨٧٧

الفصل الاول

مصر والموقف فى البلقان

موقف الدول الأوربية الكبرى... ... ... ١٢٩

صفحة

مقدمة الحرب ١٢٩
الحرب مع الصرب ١٣٩

الفصل الثانى

تدخل مصر الحربى

النجدة المصرية العسكرية ١٤٢
المعارك الحربية ١٥٦

الفصل الثالث

التدخل الدولى وموقف القوات المصرية

شروط الصلح ١٧٠
الهدنة (١٠ اكتوبر ١٨٧٦) ١٧١
مؤتمر الاستانة ١٧٧
مشروع البروتوكول ١٨٤

صفحة

الباب الثالث

الحرب التركية الروسية

١٨٧٧ - ١٨٧٨

الفصل الاول

الموقف فى البلقان وسياسة اسماعيل إزاء انجلترا

موقف انجلترا وفرنسا وروسيا من اشتراك مصر فى الحرب
التركية الروسية ٢٠٠
الموقف الدولى عند إعلان الحرب ٢٠٧
حالة الدولة العثمانية عند إعلان الحرب ٢١٣
موقف مصر من المساعدة الحربية ٢١٦

الفصل الثانى

سير القتال

الاستعدادات الحربية ٢٣٥
الطوابى الموجودة بحرى وارنة ٢٣٧
« « قبلى « ٢٣٨
سير الحرب ٢٤٠

صفحة

الفصل الثالث

التوسط الدولي وعقد معاهدة برلين

ترجمة شروط الصلح المرفقة بالوثيقة ٢٨٠
الدعوة لعقد مؤتمر برلين وتوقيع معاهدة سان استفانو ٢٩٠
نتائج الحرب ٢٩٧
أثر معاهدة برلين على البلاد العربية ٣٠٣
أثرها على إحتلال تونس ٣٠٣
أثرها على مصر ٣٠٨
أثرها على الدولة العثمانية ٣٠٩
مراجع البحث ٣١١